جـامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله

كلـية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

الجوائح الطبيعية بالمغرب الأوسط ق (7-8 هـ/ 13-14 م)

من خلال كتب النوازل

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في التاريخ

تخصص: التاريخ الوسيط

الطالب:

سمراني مصطفى

إشـراف:

أ. د / نور الدين غرداوي

– أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
نبيلة عبد الشكور	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	رئيسا
نورالدين غرداوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	مشرفا مقررا
موسى هواري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	عضوا مناقشا
عبد القادر شريف	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 02	عضوا مناقشا
بشير مبارك	أستاذ محاضر أ	المركز الجامعي تيبازة	عضوا مناقشا
رضا رافع	أستاذ محاضر أ	جامعة البويرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1445-1446 هـ/ 2023-2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً على نعمة العقل التي خصّ بها البشرية، حيث تميز الإنسان بالعقل عن باقي الكائنات الحية، فالعقل هو نقطة التدبير والتأمل والتمييز في مخلوقات الله تعالى وكونه، وبه يبرع الإنسان في حياته ومجالاته اليومية، وبالعقل يستطيع الإنسان الوصول إلى مبتغاه وما أراد، وبهذه النعمة المميزة التي أعطاها الله تعالى لعباده وصلوا إلى الرقي والحضارة والازدهار في مختلف جوانب الحياة.

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أمي حفظها الله ورعاها وأطال الله في عمرها، وإلى أبي رحمة الله عليه وأسكنه فسيح جنانه مع الصديقين والشهداء والأبرار والأنبياء، اللذين ربّياني على حب العلم والتعلُّم، وزوجتي التي ساندتني، وإخوتي بنصحهم ، وإلى أساتذتي في كل مراحل التعليم، وأستاذي **غرداوي نور الدين** حفضه الله ورعاه الذي أرشدني بهذا الموضوع الشيق حيث أن قدم لي من العلم الغالي والنفيس، الذي لازمته ثلاث سنوات كاملة، حيث كان مرشدي وقدوتي، كما أنه لم يبخل عليا بأي طلب كان في البحث والعلم، الذي كان دائما يشجعني حتى أتممت رسالتي، وأستاذي والأب الروحي **أحمد شريفي** بجامعة الجزائر 2 حفضه الله وأطال في عمره الذي رافقني في مشواري الدكتوراه حتى أتممت الرسالة ومزال يرشدني ويريني الطريق الصحيح، كما أخص في هذا المقام أستاذي **بشير يزير** بجامعه المدية حفضه الله ورعاه وسدد خطاه، الذي سار معي في طريق البحث والعلم في مشواري حتى أتممت الرسالة ومزالا يلازمني.

كما أتقدم بالشكر والعرفان الجزيل لكل من ساهم في إنجاز هذا البحث، كان شخصاً طبيعياً أو معنوياً، ولولاهم لما خرج هذا البحث بهذا الشكل والكيف، فلهم مني جميعهم جزيل الشكر وجزيل العرفان والتقدير والاحترام .

" وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

الإهـــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

أساتذتي الذين علموني منهم الاحياء حفضهم الله وأطال في عمرهم والأموات رحمة الله عليهم،

و أبي رحمه الله برحمته الواسعة التي وسعت كل شيء

وأمي حفضها الله ورعاها وأطال في عمرها

وأستاذي وشيخي غرداوي نور الدين

وأستاذي أحمد شريفي وبشير يزير

وإخـــــــوتي

أساتذتي وزملائي بالعمل حاليا بجامعة يحي فارس بالمدية

أساتذتي وأصدقائي بجامعة الجزائر 2

زملائي في الدراسة فتحي شواطي وأسامة براهيمي

طلبتي بجامعة المدية حاليا

وأصدقـــــائي

وكل من له روح علمية وتشوق للعلم

وإلى شهداء الأمة الإسلامية

وإلى كل الفاتحين الأوائل ومنهم المتأخرين الذين نشروا العقيدة والدين الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي

وإلى الفقهاء والعلماء والقضاة الذين ضحُّوا بالغالي والنفيس من أجل الفصل بين الخصوم والظلم

وتقديم لكل ذي حقٍ حقه من خلال الفتاوى والنوازل الفقهية.

مقدّمة

مقدّمة

توجّهت الدراسات الأكاديمية التاريخية في الجامعة الجزائرية مؤخّرا إلى الاهتمام بالتاريخ الوطني في بعديه الاجتماعي و الاقتصادي، و بما يرتبط بهما من زخم تراثي و مادّي أصيل كان كامنا بين ثنايا المصادر المتنوعة، سواء المطبوعة منها أو المخطوطة، و تأتي كتب النوازل و مدوّنات الفقه و الكتابات المنقبية كمصادر غير تقليدية في صلب دائرة اهتمام الباحثين المعاصرين لما سيعوّلون عليها في سدّ ثغرات التاريخ العام، فيما غاب فيه من تفاصيل في الحياة الاجتماعية للجماعات البشرية و تحرّكاتها المجالية، و في تفاعلها و تدافعها و نزوع أفردها و قبائلها و في استقرارها و عمارتها لأرض هذا الإقليم.

و الكتابات النوازلية و المنقبية و مدونات الفقه و رغم عنايتها بالأجوبة و الفتاوى إلاّ أنّها تتجاوز معطيات الفقه و اختلافاته و قضايا أصوله و تفريعاته لتحمل بين ثناياها مادّة خبرية دقيقة ستعين الباحثين على إعادة بناء الواقعة التاريخية في وجهها المتكامل الأبعاد، و على إعادة تتبّع مختلف الظواهر الإنسانية لتظهر ملامح بنيات المجتمعات في سياقها التاريخي السابق، و كيف أفضت أحداثه إلى الواقع المعيش في محاولة لفهم الحاضر و مربكاته التي ترتبط بالثقافة و المجتمع و الاقتصاد، و هي أحد أهمّ مهامّ المؤرخين و الباحثين في علم التاريخ.

و ضمن هذا المجال المفاهيمي توجّهت للبحث في مدى حضور الأوبئة و الجوائح الطبيعية في كتب الفقه و النوازل في بلاد المغرب الأوسط في النصف الثاني من العصر الوسيط و جاء موضوع بحثي بعنوان: **الجوائح الطبيعية بالمغرب الأوسط 7-8هـ/13-14 م من خلال كتب النوازل**

و نقصد بالجوائح الطبيعية هي كل ما يصيب الأفراد و الجماعات من أخطار طبيعية و بيئية و جوّية كبرى مربكة لمسارهم المجتمعي و معطّلة لتراتب عيشهم العادي، و كانت الطبيعة مسبّبا رئيسيا لذلك في إقليم بلاد المغرب الأوسط، الذي يتوسّط المغربين الأدنى و الأقصى في النصف الثاني من الفترة الوسيطة في القرنين السابع و الثامن الهجريين/الثالث و الرابع عشر ميلادي، على أن تكون مادّة هذا البحث أساسا مستقاة من كتب الفقه و النوازل في عمومها إلاّ ما استدعته ضرورة البحث و حيثياته.

إشكالية البحث والدراسة:

أكدت العديد من الدراسات والبحوث المعاصرة على أهمية كتب النوازل في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الاوسط بصفة خاصة، هذا ما أردنا توضيحه في مقدمة هذا المشروع.

والجوائح الطبيعية إحدى القضايا والمسائل التي وردت في كتب النوازل التي عالجها الفقهاء في فتاويهم من جوانب عدة.

لذا جاء مشروع هذا البحث للوقوف على الجوائح الطبيعية التي عرفها المغرب الاوسط خلال الفترة الممتدة بين القرن 07 – 08هـ / 13 – 14م، وتأثيراتها على مختلف مجالات الحياة لمجتمع المغرب الأوسط من خلال ما ورد في كتب النوازل.

فما هي الصورة التي تقدمها لنا هذه النوازل عن الجوائح الطبيعية وتعاملها مع المسائل المطروحة في المغرب الأوسط خلال القرنين 07 – 08هـ / 13 – 14م؟

الإشكاليات الفرعية:

و قد تفرّعت إشكاليته الأساس إلى إشكالات فرعية تتوافق مع مادّة البحث و تقسيمات و تفريعات فصوله نلخصها في الآتي ذكره:

ـ كيف ساهمت كتب الفقه و النوازل في التعريف بالتاريخ الاجتماعي و ما يرتبط به من ظواهر طبيعية و مجتمعية كانت ستتجاوزها كتب التاريخ العام؟.

ـ ما مدى قيمة المادة الخبرية الموجودة في كتب النوازل ؟ و إلى أيّ مدى يمكن أن يعوّل عليها الباحثون في إعادة كتابة التاريخ الوطني في شقّ الاجتماعي؟.

ـ ما هي الكوارث و الجوائح الطبيعية التي مست إنسان و إقليم و مجال المغرب الأوسط؟ و هل استطاعت الكتابات النوازلية نقل و تصوير تفاعل بنيات المجتمع معها؟

ـ كيف تفاعل إنسان هذا الإقليم مع تلك الكوارث و الجوائح الطبيعية؟ و هل أثّرت في ذهنياته و أساليب عيشه سلبا و إيجابا؟

ـ كيف تفاعلت المرجعيات الثقافية و الدّينية و أجهزة الحكم المختلفة مع تلك الكوارث و الجوائح؟ و ما مدى مساهمتها في التقليل من آثارها الاجتماعية على بنية المجتمع و استقراره؟.

ـ ما مدى ارتباط الأوضاع الاجتماعية في شقّها الصحي مع ما أفرزه من آثار يفترض أنها تكون مربكة للاستقرار المجتمعي بحالة التردّي و الانكسار الحضاري العميق التي مست بلاد المغرب الأوسط و العالم الإسلامي نهاية الفترة الوسيطة؟

دوافع الموضوع:

الخوض في غمارة البحث لهذا الموضوع من أجل الخروج عن دائرة البحث في التاريخ السياسي العام الذي عرف تشبّعا في البحث الأكاديمي في جامعاتنا، و توجّه غالبية الباحثين إلى تناول مواضيعه لما أتيحت لهم مادته المصدرية بسهولة، فبقيت المواضيع التي تتعلّق بفروع التاريخ الأخرى تراوح مكانها تنتظر الباحث الحاذق لإطراقها و سدّ ثغرات في تاريخنا الوطني في مختلف فتراته.

كما أنّ البحث في المواضيع الجديدة و من مصادر غير تقليدية سيجعل البحث العلمي ذي جدوى كونه يحمل الجديد الذي يعطي دلالات تاريخية معينة تعين على إعادة تفسير ظواهر مجتمعية كانت إلى وقت قريب مبهمة و يعين البحث في هذا المجال كذلك على الاطلاع على ثقافات كيف نشأت و أفكار كيف انتقلت و تلاقحت، و على قيم مدنية و حضارية كيف تأسّست و كيف استقرّت أو تبدّلت.

أهداف الموضوع:

لما حاولت البحث في إشكاليات الموضوع كانت تحضرني أهداف مرسومة تتعلّق أساسا بميدان البحث و مجاله الجغرافي المحدّد في فترته المبيّنة و تعلّقت الأهداف أساسا بما يلي:

ـ التعريف بكتب الفقه و النوازل كمادة مصدرية موازية لكتب التاريخ العام في تعريفها لنا بزوايا مهمّة من تاريخنا و تراثنا المادّي و اللاّمادي.

ـ تشمل نصوص كتب النوازل مجالات وجوانب عديدة ومُهمّة، منها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية، وهي مواضيع تحتل مكانة عالية وقيمة كبيرة في حياة المجتمعات المغاربية،

لما تتضمنه من معلومات ونصوص قلّما يلتفت إليها المؤرخون والدارسون، وتتناولها المصادر التاريخية.

ـ البحث في فترات تأسيس ثقافة المجتمع و ما واجهه من صعوبات أثّرت في واقعه الاجتماعي والاقتصادي و الأمني و كيف تغلّب عليها و عن آليات مقاومته و تفاعله مع محيطه الطبيعي و البيئي.

ـ هناك إشارات عن الحياة الاجتماعية، المتعلقة بالأسرة ومظاهرها، كالزواج والطلاق واللّباس، والعادات والتقاليد الاجتماعية خلال العصر الوسيط...الخ.

ـ البحث عن الحلول المساهمة في القضاء على الجوائح الطبيعية وكيفية التصدي لها والتقليل من حدة انتشارها على بلاد المغرب الإسلامي.

ـ معرفة العواقب التي تعود على العنصر البشري والحيواني والنباتي بعد ظهور الجوائح الطبيعية، واتساعها على بلاد المغرب الإسلامي.

ـ البحث عن مدى تواصل إنسان و مجتمع هذا الإقليم مع محيطه الإقليمي، في عمارته للأرض و في تلاقح أفكاره و في حمايته لمنظومته القيمية و الروحية و الدينية.

ـ إنّ البحث في التاريخ الاجتماعي و الاقتصادي سيوفّر للباحثين المختصّين في الاقتصاد و قضايا المجتمع دراسات و رؤى تأريخية معمّقة، تعينهم على فهم نزوع الأفراد و الجماعات و الشعوب و ذهنياتهم، و أنماط عيشهم و تفكيرهم و تساعد هؤلاء الباحثين في مجالهم لفهم الواقع المجتمعي و الاقتصادي، و تعينهم على رسم خريطة التنمية الصحيحة و على حماية و أمن المجتمع فكريا و ثقافيا.

ـ إضافة إلى النظم الاقتصادية بمختلف جوانبها، كالزراعة والصناعة والحرف، والمبادلات التجارية، والجوانب الثقافية، كالتعليم ومراكزه، وأنظمته، والشخصيات العلمية البارزة في المجتمعات المغربية، وبعض معالم الحياة الدينية، ومختلف العلوم وغيرها من المظاهر المختلفة التي لا يتسع المجال هنا لذكرها.

ـ إنّ البحث في مجال المجتمع و الاقتصاد و الثقافة سيعوّل عليه في خلق نوع من الترابط بين العلوم الإنسانية و الاجتماعية، و هي محاولة و إسهام في الرفع من جدواها في حلّ مشكلات و معضلات معاصرة ترتبط بالمجتمع و الثقافة و الاقتصاد.

ـ إنّ إعادة كتابة تاريخنا الوطني في فتراته المتعاقبة و في ميادينه المتعدّدة سيساهم في ربط الأمّة بتاريخها و قيمها التي ستستخدمها في حماية بنيتها الثقافية و الدينية و الحضارية لمواجهة تغوّلات العولمة و حرب التكتّلات الإقليمية و الاستقطابات الدولية المعاصرة.

التخوفات و الصعوبات المنهجية:

عند ولوجي غمار البحث في هذا الموضوع واجهتني عدة صعوبات تتوفر فيما يلي:

1 – منهجية تتعلّق أساسا بتحديد بالمجال الجغرافي للبحث خاصة عند معالجتي للحدود الإقليمية لبلاد المغرب الأوسط، التي كانت تتأثّر بالمشاكل السياسية بين دولة بني عبد الواد و بين الحفصيين شرقا من جهة، و المرينيين غربا من جهة أخرى، فكانت حدود القطر غير مستقرّة تماما طيلة الفترة الوسيطة، تخضع لعامل القوّة السياسية الناجمة عن استقرار الحكم في الدولة الزيانية.

2 – كما شكّل تعدّد النسيج المجتمعي للمغرب الأوسط بتعدّد قبائله و مكوّنه المجتمعي صعوبات جمّة تتعلّق بحالات عدم الاستقرار، التي صاحبت سبل عيش تلك القبائل و تحرّكها و انزوائها وفقا لعوامل غير ثابتة فصعب من مهمّتي في تتبع ما يطرأ على مسارها المجتمعي سلبا و إيجابا.

3 – و من الصعوبات التي كادت أن تربك عملية البحث الالتزام و التقيّد بأخذ المادّة العلمية من كتب النوازل و الفقه دون غيرها ممّا أحدث فجوات معرفية في معالجتي لإشكاليات الموضوع، فكان أن استعنت بالكتابات المنقبية و كتب الطبقات و الأنساب و الجغرافيا وكتب التاريخ العام من أجل استكمال البحث.

4– كما واجهتني صعوبات معرفية ترتبط بصعوبة تناول المادة العلمية التاريخية من المصادر الفقهية و النوازلية و ذلك بسبب صعوبة المصطلح الفقهي و دقّته، و بسبب توجّهه أساسا لمعالجة مشكلات ترتبط بالفقه و الدين لا بالتاريخ وبالمعرفة التاريخية، إذ لم يكن القصد من تدوينها نقل تفاصيل الحياة

المجتمعية و يومياتها و دقائق أمورها، فجاءت أخبار المجتمع متضمّنة فيها عرضا زاد من صعوبتها خلوّها من بعض التوصيفات التي تتعلّق بزمان و مكان الواقعة، فكان لزاما على الباحث أن يلجأ للإسقاط التاريخي و اعتماد الاستقراء و المقارنة و مراعاة تشابه الوقائع و تشابك حيثياتها للبحث عن ما يفيد الكتابة التاريخية و لو بالنّزر القليل.

5 – صعوبة تحديد المجال الجغرافي والزماني.

و كل هذا الصعوبات تم تذليلها بفضل الله وحده، ثم بتوجيه أهل الاختصاص والأستاذ المشرف نور الدين غرداوي، فإن أصبت فمن الله و إن أخطأت فمن نفسي و الله الموفّق.

الدراسات السابقة:

بالعودة إلى الدراسات السابقة تبين لي أن موضوع البحث المتناول غير مدروس في جامعاتنا وخالي من الدّراسات الأكاديمية التي عالجت موضوع الكوارث و المجاعات و القحوط و الأوبئة، اللهمّ إشارات فرعية غير ذي بال وجدتها منتشرة في الدراسات التي اهتمت بالنّوازل و الفتاوى و دورها في الكتابة التاريخية، فقد اختصّت تلك الدّراسات بمعالجة و تقديم قضايا التجارة و النّقود و الزراعة و الفلاحة والأنشطة الحرفية و الحياة العلمية و التربية و الفتيا و الأسرة و القبيلة، و لم تعالج موضوع و إشكالية بحثي في موضوع أو دراسة مستقلّة.

لاكن هناك مواضيع قريبة من موضوع البحث التي تتوفر فيما يلي:

1- بلقاسم شتوان، **الخطبة والزواج في الفقه المالكي**، دار الفجر، قسنطينة، 2007

2- خالد بلعربي: **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن**، دار الألمعية، الجزائر، 2011.

3- زهور أربوح: **أوضاع المرأة بالغرب الإسلامي من خلال نوازل " المعيار للونشريسي"**، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 2013م

4- صابرة خطيني، **فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية**، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

5- عبد الرحمان بشير، **اليهود في المغرب العربي**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ، دم، 2001

6- عبد العزيز عامر: **الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية فقهاء وقضاء**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961.

7- عبد الرحمان الصابوني: **نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام**، دار الفكر، الخرطوم، 1968،

8- عبد العزيز فلالي: **تلمسان في العهد الزياني**، دار معظم للنشر، الجزائر، 2009.

9- عبيد بوداود: **الوقف في المغرب الإسلامي**، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2011

10-عمر بنميرة: **النوازل و المجتمع، مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط (8-9هـ/14و15)**، منشورات كلية الآدب والعلوم الإنسانية جامعة مُحَّد الخامس، مطبعة الأمنية، الرباط، المغرب، 2012.

11-كمال السيد(أبو مصطفى): **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال النوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي** ، مركز الاسكندرية للكتاب ، الاسكندرية ، مصر ، 1997.

12-لخضر عبدلي: **التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد**، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

13-مختار حساني: **تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الاجتماعية)**، ج3، دار الحضارة، الجزائر، 2009م.

14- مختار حساني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني، مخبر المخطوطات، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2004.

15 - نبيلة عبد الشكور: **القضاء والقضاة في عهد الدولة الزينية**، منشورات الحضارة، الجزائر، 2011.

الرسائل والمذكرات:

01 - بركات إسماعيل، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني (883هـ / 1478م)**، عبد العزيز فيلالي، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وأثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009 – 2010.

02 - بلمداني نوال، **نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (10 – 11م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الأثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013 – 2014م.

03 - بن خروف عمار، **العلاقات بين الجزائر والمغرب (922 – 1069هـ) / (1517 – 1659م)**، ليلى الصباغ، مذكرة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1403هـ / 1983م.

04 - بوحلوفة مُحَمَّد أمين، **أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي**، بوركبة مُحَمَّد، تاريخ وحضارة إسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013 – 2014م.

05 - بوساق رحيمة، **دور المكتبات في نشر العلوم بالمغرب الأوسط تاهرت الرستمية (2 – 3 هـ / 8 – 9 م) وتلمسان الزيانية (8 – 9هـ / 14 – 15م)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مُحَمَّد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2017 – 2018م.

06 - البياتي بان علي مُحَمَّد، **رسالة ماجستير النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (03 / 06 هـ)**، صباح إبراهيم الشيخلي، قسم التاريخ، كلية التربية للبنات، بغداد، 2004م.

07 - حوالة يوسف بن أحمد، **الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح: وحتى منتصف القرن الخامس هجري (90 / 450)**، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى، مركز البحوث الدراسات الإسلامية مكة المكرمة، 1421 هـ / 2000 م.

08 - شقدان بسام كامل عبد الرزاق، **تلمسان في العهد الزياني (633 – 962 / 1235 – 1555هـ)**، أبو رميلة هشام، رسالة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ – 2002م.

09 - ضيف شوقي، **الرحلات**، دار المعارف، القاهرة، 2000م. شريخي نبيل، **دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع هجري (14 – 15 هـ)**، رسالة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2009 – 2010 م.

10 - طوهارة فؤاد، **المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، تخصص علم المخطوط العربي، عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010 – 2011م.

11 – عميور سكينة، **ريف المغرب الأوسط في القرنين 05 و06هـ / 11 و 12م**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة02، الجزائر، 2012 -2013م.

12 – نورالدين غرداوي، **كتاب الجامع للقاضي أبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني " المتوفي سنة 833هـ / 1478م" (الجزء الرابع من ديوان الدرر المكنونة في نوازل مازونة) دراسة وتحقيق**، عبد العزيز مُحَمَّد لعرج، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، ج01، 2010 – 2011م.

13 – قموح فريد، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المازوني (ت 883هـ) دراسة وتحقق لمسائل الجهاد والأيمان والنذور** ، مذكرة ماجستير في تاريخ الوسيط تخصص علم المخطوط العربي، قسم التاريخ والآثار ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010 / 2011م.

14 – كربوع مسعود، **نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي جمعا ودراسة وتحليل**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012 – 2013..

15 – كرطالي أمين، **الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (09 – 10هـ / 15 – 16م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، مُحَمَّد بوركبة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران، الجزائر، 2013 / 2014م.

16 – مزدور سمية ، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588 – 927 هـ / 1192 – 1520 م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وأثار كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، (1429 – 1430 هـ / 2008 – 2009 م).

17 – نميش سمية، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (07 – 10 هـ / 13 – 16 م)**، عبدلي لخضر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبوا بكر بالقايد تلمسان، الجزائر، 2013 – 2014 م.

18 – هواري موسى، **تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (ق 01 – 07 هـ / 07 – 13م)**، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008 / 2009م.

19- يزير بشير، الحركة الاقتصادية في ريف وبادية المغرب الأوسط وآثارها الاجتماعية في العصر الوسيط، ق7-8هـ/ 13-16م، أحمد شريفي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، 2018-2019م.

06– المراجع باللغة الأجنبية:

01 – E.F.Gautier,**le passé de l'Afrique du nord** , petite bibliothèque payant, Paris, 1952 .

02 – Mercier. **E, Histoire de l'Afrique septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française**, Edition Ernest Leroux, Paris, 1888,t 2.

03 – Mrs. N. morsy.**Gentusesinhisiory**.Dr. M. A. Morsy. T01. Topmibayrot.A 1994.S 98.

04 -Edmonde Dotté ,**Magie et religion dans L'Afrique du nord**, typographie Adolphe Jordanne ,Alger , 1909 .

05 - R.Basset,**L'histoire des religion** , , Erneste raux Editeur, Paris , 1910.

07 – الدوريات والمجالات والمقالات:

01 – إبراهيم أحمد سعيد، **إسهامات المقدسي في الجغرافيا والدراسات الإقليمية**، مجلة دراسات التاريخية، العدد 117 – 118، كانون الثاني، حزيران، 2012م.

02 – بالعربي خالد، **المجاعات والأوبئة في تلمسان في العهد الزياني(69 – 845هـ/1299 – 1442م)**، قسم التاريخ، كلية الآدب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، دورية كان التاريخية إلكترونية محكمة ربع سنوية – العدد الرابع – يونيو 2009.

03 – يخلف حاج عبد القادر، **مصطلح المغرب الأوسط في المصادر الإسلامية الوسطية**، عصور الجديدة– المجلد 07 –العدد 26، ردمك issn 2170 – 1636 ، الايداع القانوني : 2014 – depotlegal 1156 ، شتاء – ربيع أفريل 1438 هـ / 2016 – 2017 م.

04 – بوكنة عبد العزيز، **مجلة الدراسات التاريخية مجلة دورية محكمة**، العدد الرابع عشر 14، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، الجزائر، 1433هـ – 2012.

08 – البوابات والمواقع الالكترونية:

01 – عبد الله الجمعان، **كيفية تكون البرد موقع مركز العاصمة**، طريقة فيزيائية، تحجم خسائر بشرية ومادية، يوم 07 / 03 / 2010م..https://www.storm.ae/vb/showth

02 – منظمة الصحة العالمية (07 تموز / يوليو 2022م)، **منظمة الصحة العالمية** – جمع الحقوق محفوظة،*www.who.int*://***https**<**detail**<**plague***،سنة2022م.

http://adresse complète (consulté le jour/mois/année)

قراءة لأهم مصادر ومراجع البحث:

1 – اعتمدت في بحثي بصفة رئيسية و مركزة على كتب النوازل و مدوّنات الفقه و الأجوبة في جمع مادّة البحث، و في انتقاء ما يتعلّق منها بالموضوع، و ركّزت بصفة رئيسية على ديوان" المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس و المغرب " لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي ت914هـ / 1508م، بوصفه أكبر موسوعة فقهية جامعة للتراث المالكي في الغرب الإسلامي خاصّة في نصفه الثاني من العصر الوسيط، و قد جمع فيه المؤلّف مئات الفتاوى النوازلية من العلماء الذين التقاهم أو من الذين راسلوه من قطر المغرب الأوسط أو من بلاد المغرب و الأندلس، كما جمع ونقلا مهمّة من نوازل البرزلي و من نوازل المازوني صاحب الدّرر، و رغم كثرة اعتماد الباحثين على كتاب المعيار للونشريسي والمازوني لدرر المكنونة في نوازل مازونة، إلاّ أنّه لم يفقد قيمتهما المصدرية التاريخية، و ذلك لتعدّد مضامين المحتوى الفقهي فيه و شموليته لجميع مناحي الحياة و لاتّساع معالجاته المجالية.

2 – نظرا لأهمّية فتاوى البرزلي التي تعرف "بجامع مسائل الأحكام لما نزل من قضايا المفتين و الأحكام" أبي القاسم بن أحمد بن مُحَمَّد بن المعتل البلوي القيرواني الشهير بالبرزلي ت841هـ / 1438م فقد وجدتها قد جمعت اجتهادات المتأخّرين القريبين لزمن بحثي من المالكية كابن رشد و ابن عبد النور والمازوني صاحب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"، فاعتمدت عليها من أجل معالجة مقاربات تاريخية تتعلّق بالموضوع و تحدّثت عنها نوازل حدثت في قطري بلاد المغرب و بلاد الغرب الإسلامي عموما و كانت محلّ نقاش بين الفقهاء و المفتين و أفادت بمادّة خبرية هامة للموضوع خاصة، و أنّها لم تختلف عن نوازل الونشريسي في دقتها و شموليتها لتفاصيل دقيقة كالتي تتعلّق بما يصيب الأنعام و الدواب من أمراض و جوائح لم تكن تتوفر لها عن حلول فقهية خاصة عند وجود الشركات العائلية و الشركات الحرفية التي تتداخل فيها الملكيات و آثار التعاملات و ما ينجر عنها من حقوق وواجبات.

3 – قد استقى بحثي مادّة علميّة مهمّة من كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المازوني ت883هـ/1478م ،خاصة و أنّ فتاوى الدّرر تتحدّث عن الأنشطة الحرفية و الزراعية في تلمسان و بجاية في النص الثاني من القرن الثامن الهجري/15م، و حوت هذه الفتاوى أخبار مجموعة في فتاوى من بلاد المغرب الأوسط و بلاد المغرب و الأندلس تحدّثت عن جوائح و كوارث طبيعية و كيفية معاوضة الزروع و الثمار المعرّضة لها.

4 – بما أنّ الكتابات المنقبية لا تختلف كثيرا عن الكتابات النوازلية في شموليتها لتفاصيل دقيقة عن مضامين أسئلة الفتاوى و إجاباتها و مختلف التأصيلات التابعة لها فقد اعتمدت على المناقب المرزوقية لأبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني ت781 هـ ، على أنّ الكتابات المنقبية ستكون أكثر دقّة في توصيفها للشخص الذي يريد المؤلّف أن يدوّن مناقبه و يعدّد خصاله و مآثره، فأفادت تلك المناقب بدور صاحب المنقبة زمن الكوارث و المجاعات و القحوط و الأوبئة و الجوائح و جاءت أخبارها في الهامش فقط عند محاولة المؤلّف تدوين فضائل و أعمال صاحب المنقبة، فأفادت منها المعرفة التاريخية ما حرمت منه في كتب التاريخ العام التي أهملت تفاصيل الحياة الاجتماعية لصالح مشاكل السياسة و المقاتل و الفتن و الحروب و المعارك و الصراعات.

5 – رغم أنّ بحثي كان مختصّا أساسا تناول مادّته العلمية الخبرية من كتب الفقه و النوازل، إلاّ أنّ ضرورة البحث ألجأتني إلى الاعتماد الجزئي على بعض كتب التاريخ العام، ككتاب "العبر" ومقدّمته لعبد الرحمن ابن خلدون ت808هـ، و ذلك لما يعرف عن ديوان ابن خلدون من اتّساع و شمولية و دقّة في تناول الأخبار و عرضها، و من طرح فلسفي تحليلي في مقدّمته التي كان لها السبق و الاختصاص في علم العمران البشري و نظرياته و ارتباطها بواقع الجماعات و الشعوب وتحرّكاتها المجالية و عاداتها و نزوعها و أنماط عيشها و تفكيرها.

6 – من كتب الطبقات التقطت إشارات مهمّة للبحث من كتاب" عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " لمؤلّفه أبي العبّاس أحمد الغبريني ت 714 هـ / 1322م، إذ حوى بعض أنشطة العلماء و الفقهاء و المتصوفة المجتمعي زمن الكوارث و الجوائح بقطر بجاية و إقليمها في شرق المغرب الأوسط، والتي عايشها المؤلّف و كان شاهدا عيانا على بعضها بداية من القرن الثامن الهجري/14م.

7 – بما أنّ الجغرافيا مهمّة للتعريف بشكل السطح و الغطاء النباتي الطبيعي و عوامل جذب التجمعات البشرية فقد أفدت في بحثي من كتاب "وصف إفريقيا " للحسن الوزّان ق9هـ، الذي شكّل سابقة فريدة في عصره لما اعتمد مقاربات وصفية إحصائية دقيقة للأنشطة الاقتصادية الزراعية و التجارية و الحرفية، أفدنا منها في التعرّف على ملمح بلاد المغرب الأوسط أثناء الجوائح و الكوارث و القحوط، و عرّفنا ببعض طبائع و سلوكيات و ذهنيات الإنسان و أنماط عيشه، و على الفروق بين ساكنة الأرياف و ساكنة المدن و عن المنحى الحضاري العام لبلاد المغرب الأوسط، و عن بداية تأخّر مدنيته و انكسار حضارته.

8 – أمّا عن المراجع المتخصّصة فلا تتوفّر المكتبة التاريخية الجزائرية على دراسات دقيقة اختصّت بدراسة الأوبئة و الجوائح و الكوارث الطبيعيّة في الفترة الوسيطة، و ذلك لحداثة الدراسات الاجتماعية التاريخية التي تتناول ظواهر طبيعية ذات تأثير اجتماعي عبر مقاربات تاريخية تأصيلية، و على هذا الأساس كان لزاما على الباحث أن يتوجّه للبحث عن إسقاط مفاهيمي من الدراسات التي تناولت الموضوع في بلاد المغرب بصفة عامّة، و رغم عدم تدقيق تلك الدراسات بسبب اتساع المجال الجغرافي التي عالجته تلك الكتابات و رغم اتّساع مداها الزمني إلاّ أنّها أخذت بزمام المبادرة و أسّست لدراسات متخصّصة في هذا المجال، و كان أهمّها دراسة للحسين بولقطيب بعنوان" جوائح و أوبئة مغرب الموحّدين"، و هي دراسة و رغم طابعها الإخباري إلاّ أنّها تعتبر دراسة رائدة في مجالها أفادتني في ترتيب بعض الوقائع و الأحداث التي لها علاقة بموضوع بحثي، و سهّلت لي التوجّه إلى المصادر للبحث عن المادّة من مصادرها الأصلية.

9 – أمّا عبد الهادي البياض فقد ألّف "الكوارث الطبيعية و أثرها في سلوك و ذهنيات الإنسان في المغرب و الأندلس ق 6-8هـ /12-14م "، و كان كتابه علامة فارقة في البحث التاريخي في شقّه الفلسفيّ التحليلي لما عرف بالكوارث الطبيعيّة، و بحث عن تأثيراتها العميقة في وجدان و ذهنيات الفرد و الجماعة ليبحث عن أثر الطبيعة و البيئة و المحيط في مسار الجماعات البشرية في استقرارها، و في تحرّكاتها و في نزوعها و في تدافعها الغريزي و الطبيعي الناجم عن عوامل خارجية قسرية قاهرة و موجّهة للفعل الإنساني و مشكّلة له .

10 – ومن بين المراجع المنهجيّة المهمة ألّف الباحث مُحَّد فتحة "النوازل الفقهية و المجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6 إلى 9هـ/12-15م ط 1999م"، و هو مؤلّف مهمّ للتعريف

بكتب الفقه و النوازل كمصادر للبحث في التاريخ الاجتماعي، و بالضبط حول علاقة الفقه المالكي بالمجتمع و بنياته و أنشطته و تفاعله مع بيئته و دور الفتاوى في تنظيم الحياة الاجتماعية، و أفدت منه في هذا الجانب في إطراقي لإشكالية دور النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية و ملمح الإنسان و المجتمع في مدونات الفقه و الأجوبة الفقهية و النوازل.

11 – نورالدين غرداوي، كتاب الجامع للقاضي أبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني " المتوفي سنة 833هـ / 1478م" (الجزء الرابع من ديوان الدرر المكنونة في نوازل مازونة) دراسة وتحقيق)، الذي قام بتحقيق الجزء الرابع من ديوان الدرر المكنونة في نوازل مازونة، من تراث العلمي الثقافي الديني للمجتمع الإسلامي في العصر الوسيط.

مناهج البحث:

لإنجاز هذا البحث اعتمدت على المنهج التاريخي، الذي يعتمد على أدوات (الوصف، التحليل، الاستنتاج، المقارنة)، حيث استعملت أدوات الوصف والتحليل في تحليل المادّة الخبرية للموضوع المستقاة من مصادر الموضوع الأصلية و التي هي كتب الفقه و النوازل و التي حوت مادة خبرية مهمّة تكاد تختفي بين ثنايا المادة الفقهية و تفريعاتها المقصودة أصلا، بالتأليف فكان التحليل التاريخي منهجي في إعادة تقديم هذه المادّة في شقّها التاريخي و بالضبط في جانبه الاجتماعي المرتبط أساسا بموضوع البحث.

و استعملت بعض أدوات المنهج الإحصائي في تصنيف الجوائح الطبيعية في جداول إحصائية، وقيم كمية لتوضيح تأثيراتها على باقي مجالات الحياة الاجتماعية، بغرض الوصول إلى التحليل الكمي السليم للظاهرة الناتج عن دلالات ومعطيات و مقاربات رقمية ولتفادي الأحكام المسبقة والوصول إلى نتائج علمية دقيقة وموضوعية خالية من الذاتية والتزييف.

شرح الخطة:

قسمت مادّة البحث حسب ما تقتضيه مادة البحث و متطلّبات الإجابة على إشكاليات البحث وإلى خمسة فصول، تناولت في الفصل الأوّل التعريف ببلاد المغرب الأوسط و عالجت فيه إشكالية حدوده الإقليمية و تحديد مجاله القطري الذي كان عرضة للتحرشات الشرقية من طرف الحفصيين و

على حدوده الغربية من طرف بني مرين، و عرّفت بجغرافيا السطح و بالمجال البشري و الجماعات و القبائل الساكنة فيه و على بعض عاداتها و سلوكياتها و طبائع عيشها و أنشطتها و تحركاتها المجالية و تدافعها حول مقّدرات العيش ووسائله زمن البحث في القرنين السابع و الثامن الهجريين/13-14 م.

و لأنّ البحث يختصّ أساسا بالأوضاع الاجتماعية فقد تناولت في الفصل الثاني التعريف بالأوضاع الحضارية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 07 – 08هـ / 13 – 14م لمعرفة مدى ارتباط موضوع البحث بالوعاء الجغرافي و مكوّنه البشري، فتناولت بالدّراسة و التقديم الأوضاع الاجتماعية التي سادت مدّة البحث و تناولت في الجانب الديني و الروحي مظاهر تديّن الساكنة و نزوعهم الوحي و تناولت معها مظاهر الحركية العلمية و الإنتاج العلمي بوصفها معايير ثابتة للمدنية و الرقي الحضاري متفق عليها ما بين المؤرخين و الباحثين.

و تناولت في الفصل الثالث الحضور التاريخي في المدونات الفقهية و الكتابات النوازلية و المنقبية، و عرفت المصطلحات الفقهية ذات الدلالات التاريخية، التي سنحاول توظيفها كمادّة خبرية مرافقة و مكمّلة للمادة التاريخية المستقاة من كتب التاريخ العام، و عرفت بأعلام كتب النوازل، و مضامين المدونات الكبرى المشهورة في قطر المغرب الأوسط و بلاد الغرب الإسلامي، و عرفت بأساليب تدوين الفتاوى كمصادر للمادة التاريخية.

و لأنّ مادّة بحثنا مستقاة في عمومها من كتب النوازل، حيث قمنا بتتبع مراحل التدوين التاريخي المتضمّن في كتب النوازل، و حاولت معالجة كيفية انتظام أخبار المجتمع و الاقتصاد و السياسة و الثقافة و العلوم، وتطرقت لقيمتها العلمية و التاريخية، و على معالجتها لمتعلّقات مادّة البحث خاصة ما يتعلّق منها بالكوارث الطبيعية، و الأمراض ذات الطابع الوبائي المتضمّنة أخبارها في المادة الفقهية النوازلية، كما عرفت في هذا الفصل بأشهر المدونات الفقهية النوازلية كنموذج لمادّة البحث الأصلية.

و تناولت بالدّراسة في الفصل الرابع الجوائح الطبيعية من حيث طبيعتها وأسبابها وأنواعها و حاولت تتبع مسار وقوعها المباشر على الفرد و الجماعة في الإقليم و مجال البحث، ذلك أنّ كل قطر من المعمورة يتميّز عن غيره بكوارث طبيعية و نوازل و جوائح تختصّ به حسب موقعه الجغرافي و الجيولوجي في العالم ، و عرّفت بجوائح التصحّر ورياح السيروكو و السيول و الفيضانات و البرد و الثلوج، و تناولت بالتعريف جوائح الجراد و البكتيريا و الطفيليات و الحيوانات المفترسة و الهوام و الحرائق و

الزلازل، التي كانت نوازل اختصت بها بلاد المغرب الأوسط الواقعة على خط زلزالي نشط عند التقاء الصفيحتين الإفريقية و الأوراسية، و عرفت بمختلف الأمراض الوبائية كالجذري و الحصبة ، و حاولت التعريف بملمح تفاعل الإنسان مع هذه الأوبئة و الجوائح و الكوارث في الكتابات الفقهية و النوازلية.

أمّا الفصل الخامس فقد أفردته للبحث في تأثيرات هذه الجوائح و الأوبئة على إنسان و مجتمع هذا الإقليم و بالتفصيل على الدولة و بنيات المجتمع و على الاقتصاد الذي يتمثّل في موارد المجتمع المتعلّقة أساسا بالمعطيات الحياتية التي تعتمد على الأرض و نقاط الماء و على النبات الطبيعي الذي سيكون في مواجهة هذه الأوبئة و الجوائح كأخطار محدّقة لا يمكن التكهّن بأسبابها و مسبّباتها، و حاولت البحث في تعامل المرجعيات السياسية و الدينية معها للتقليل من آثارها المجتمعية و الاقتصادية، و ما إن كان لهذه الجوائح ارتباط ببداية تدنّي المنحى الحضاري العام لبلاد المغرب الأوسط خصوصا و بلاد الغرب و الشرق الإسلامي بصفة عامة.

الفصل الأوّل:

بلاد المغرب الأوسط " الموقع ، المجتمع، الدولة"

أفادت المصادر الإخبارية العربية الإسلامية و مصادر الفتح الإسلامي بأنّ الوحدات الإقليمية للشمال الإفريقي لا تكاد تختلف عن بعضها البعض في مكونها البشري وفي امتدادها الجغرافي، و لعلّ ما زاد من وحدتها و تكتّلها هو نضالها ضدّ الوجود الأجنبي منذ عصور موغلة في التاريخ، فمنذ استقرار الجماعات البشرية الأولى عبر الهجرات التاريخية تكوّن شعب البربر الذي وجده الفاتحون عشية الفتح الإسلامي يتكوّن من قبائل منتظمة و عشائر لا تختلف كثيرا عن قبائل العرب في طبائع عيشها و في معطيات حياتها.

إن التعريف ببلاد المغرب الأوسط يسوقنا حتما إلى التعريف بالمكوّن البشري والجغرافي لبلاد المغرب كلّها ذلك أن الوحدة البشرية و الجغرافية كانت تتوالى عليها التأثيرات الخارجية على قدم المساواة، فلم يتميّز مجال عن الآخر إذ انتظمت كلّ أقطاره من جديد، و انخرطت في هيكل العالم الإسلامي، وكوّنت جناحه الغربي الذي يعرف ببلاد المغرب الإسلامي، و هي المكوّن الأصيل لبلاد الغرب الأوسط بعد فتح الأندلس.

على إثر ذلك توحدّت المرجعيات الثقافية و الفكرية لبلاد المغرب الأوسط و انتقلت النظم الحضارية بسلاسة بين أقطاره و لم تكن الكيانات السياسية المستقلّة التي تأسّست في أقطاره عائقا أمام تبادل القيم و العلوم و الثقافة و العادات و التقاليد و تلاقح الأفكار و تساوي سبل العيش و تماثلها، لذا يلاحظ الباحث دائما تساوي وتكامل التراث الفكري و الموروث الفقهي الذي أنتجته النخب العالمة و لا يرى حرجا من اعتمادها كمرجع للبحث التاريخي دون مراعاة للحدود السياسية الناشئة لأقطاره التي تكوّنت فيما بعد وفقا لظروف تاريخية معيّنة.

قسّم العرب المسلمون الفاتحون بلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاثة أقسام لما استعصى عليهم تسيير البلاد كلها إلى المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وبعد مرور الزمن أصبحت الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط والدولة المرينية بالمغرب الأقصى، وعاشت الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط تقاوم تدخلات الدولتين المرينية والحفصية و محاولة توسّعها على حساب مجالها

السياسي حوالي ثلاثة قرون كانت الحرب فيها بينهم سجالا على جناحي الدولة الشرقي و الغربي.[1]

و إلى جانب كتب التاريخ العام فإنّ كتب النوازل الفقهية والمؤلفات المنقبية مكنت المهتمين من بناء فكرة متكاملة حول الأوضاع الاجتماعية و الحياة الاقتصادية و تأثّرها بعوامل طارئة كالكوارث الطبيعية و الأمراض و الجوائح التي تصيب الإنسان و الأرض و النبات و الحيوان و تؤثّر في استقرار المعطيات الحياتية للفرد و الجماعة و تؤثّر في استقرار الحكم السياسي و في مقاومة التدخلات الخارجية و الفتن و المقاتل الدّاخلية.

المبحث الأول: المعنى اللغوي لبلاد المغرب الإسلامي:

1-لغةً: المغرب لغوياً كما جاء في القواميس وعند المؤرخين هو عكس وخلاف للمشرق، وفي دراساتنا لكتب الفقهاء والمؤرخين نجد أنهم لا يفرقون بين الغرب والمغرب بمعنى واحد في اللغة[2]، فذكر ابن خلدون عبد الرحمان أن « لفظ المغرب في أصل وضعه اسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة بإضافته إلى جهة المشرق كذلك بإضافته إلى جهة المغرب».[3]

جاء في القرآن الكريم المعنى الحقيقي كما قال الله سبحانه وتعالى : « رب المشرقين ورب المغربين»[4]، والمغرب بالنسبة للمشرق هو جهة غروب الشمس، فإن جل الباحثين والفقهاء والمؤرخين يرون بأن الغرب هو من جهة غروب الشمس، وهناك من يرى أن كل البلدان والمناطق الواقعة اتجاه الشمس، والمشرق هو البلدان التي تقع في جهة شروق الشمس أي المغرب عكس المشرق[5].

---

[1] نورالدين غرداوي، **كتاب الجامع للقاضي أبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني " المتوفي سنة 833هـ / 1478م" (الجزء الرابع من ديوان الدرر المكنونة في نوازل مازونة) دراسة وتحقيق**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، ج01، 2010 – 2011م، ص 22.

[2] يوسف بن أحمد حوالة، **الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس هجري (90 – 450هـ / 708 – 1058م)**، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى، مركز البحوث الدراسات الإسلامية مكة المكرمة، 2000 م، ج01، ص 39.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون (ت 808هـ / 1405م)، **العبر ودوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق خليل شحادة و سهيل زكار، دار الكتاب اللبناني لطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1959م، ج 06، ص 193.

[4] سورةالرحمان ، **الآية** 17.

[5] يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع السابق**، ص 40.

و من أكمل توصيفات حدود بلاد المغرب ما جاء به إبراهيم التهامي نقلا عن ياقوت الحموي ت (626 هـ / 1228م) بقوله: "المغرب – بالفتح – ضد المشرق وهي بلاد واسعة كثيرة و وعثاء شاسعة، قال بعضهم: « حدّها من مدينة مليانة وهي آخر حدود إفريقية[1]، إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط وفيه جزيرة الأندلس، وإن كانت إلى الشمال أقرب منها إلى الجنوب» ، فهذا التعريف اللغوي وجده الباحث في معجم البلدان الذي أمدّنا بتعريف و وصفً متكامل[2].

2– اصطلاحاً: أفادنا الكثير من الفقهاء والمؤرخين والجغرافيين والباحثين عن أصل تسمية بلاد المغرب الإسلامي وتقسيماته السياسية وحدوده الجغرافية من العصر القديم حتى العصر الوسيط، حيث سميت بلاد المغرب الإسلامي في العصر القديم بإفريقية التي ذكرها عمر ابن الخطاب ﷺ وأرضاه حيث قال لعمر ابن العاص عند توجهه نحو بلاد المغرب « أنها إفريقيا المفرقة»[3]، وجاءت هذه التسمية في قول علي ﷺ وأرضاه عند محاربة معاوية ابن أبي سفيان، قال تجهزوا لمعاوية في بلاد المغرب.

ورد ذكر المغرب في أحاديث لم تذكرها كتب الصحاح و أوردها الإخباريون الأوائل كابن عبد الحكم إلا حديثا واحدا ذكره البخاري في كتاب الفتن مفاده و نصّه أنّ رسول الله مُحَمَّد صلّى الله عليه و سلّم قال: « أوّل أشراط السّاعة نار تحشر النّاس من المشرق إلى المغرب»[4].

و لم ترد في شروح الأحاديث إن كان يقصد صلّى الله عليه وسلّم الجهة الغربية التي تقابل المشرق دون تخصيص البلاد بتسمية "المغرب"، أو كان يقصد في حديثة الشريف تسمية البلاد بلفظها هذا تعيينا و تخصيصا فتعتبر بذلك أوّل تسمية تطلق على الجناح الغربي لدولة الإسلام و هي التسمية التي يجب أن تعتمد بموجب نصّ الوحي الشريف الذي يجب أن يعتمد دون نقاش ولا تمحيص.

---

[1] **إفريقية** : ذكرها أول مرة الواقدي من خلال المؤرخين المسلمين الذي توفي ستة (207 هـ / 822م) في تأليفه فتوح إفريقية، أما بن عبد الحكم ذكر قول: "أن عمر ابن العاص استشار عمر بن الخطاب لغزو إفريقية بعد فتحه: أطرابلس فأرسل له فرمان: لا إنها ليست بإفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت"، حتى أن الملك جرجير خرج عن سلطة هرقل وتغلغل في إفريقية، حتى أصبح يحكم من أطرابلس إلى طنجة، أما البكري قال من برقة شرقاً إلى طنجة غرباً، أنظر / حسن الوزان ، **وصف إفريقيا**، تحقيق مُحَمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج1، ص ص 71 – 72. حاج عبد القادر يخلف، **مصطلح المغرب الأوسط في المصادر الإسلامية الوسطية**، عصور الجديدة، مج07 ، ع26، 2017م ، ص 146 .

[2] إبراهيم التهامي، **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان، 2002 م، ص17.

[3] ابن عبد الحكم، **فتوح مصر و المغرب**، تحقيق علي مُحَمَّد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2004، ص200.

[4] البخاري أبي عبد الله مُحَمَّد إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 2002، رح394، ص109.

و إلى ذلك نستطيع أن نعتمد هذا الحديث الذي ورد صحيحا في سلسلة صحيح الإمام البخاري لنعضّد به السياقات الاصطلاحية الأخرى، و منها أن الخليفة عمر بن الخطاب[1]، أمر بفتح إفريقية من عمر بن العاص فاتح مصر، ولم يستجب له، كذلك عندما أراد عقبة بن نافع أن يؤسس مدينة القيروان، قال لمعاوية بن أبي سفيان: « إنّ إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر »[2].

ظهر لفظ المغرب في عهد النبي ﷺ والخلافة الراشدة، ثم اتسع هذا اللفظ مع الدولة الأموية في فترة حكم آل مروان، بعد أن ولى الخليفة الوليد بن عبد المطلب موسى بن نصير على إفريقية والمغرب[3]، و يرى المتخصّصون في المصطلح الجغرافي و تسمياته أن تسمية هذه المنطقة باسم المغرب هي تسمية لم تكن معروفة من قبل بل هي حديثة مع الفتح الإسلامي خلال القرن الأول هجري، باعتباره في الجهة الغربية بالنسبة لمركز الخلافة الإسلامية التي توجهت منها الجيوش لفتح المغرب، ومن هذه التسمية جاءت التقسيمات الثلاثة منها : المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى[4].

تبلورت هذه الفكرة مع الولاة الأمويين بتسمية المغرب الإسلامي وأخذوا هذا اللفظ من تلك الحقبة، حيث قال : الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموي، لمحمد بن يزيد المولى القريشي: « يا مُحَمَّد بن يزيد، أتقِّ الله وحده لا شريك له، وقم فيما وليتك بالحق والعدل، وقد وليتك إفريقية والمغرب كله، فانصرف وقال: مالي عذرٌ عند الله إن لم أعدل »[5].

لقد تبلور هذا المعنى الاصطلاحي زمن الدولة العباسية، مع تقسيم الخليفة المهدي بن المنصور بين ولديه الرشيد والهادي، الذي منح الرشيد المغرب كله من مصر إلى المحيط الأطلسي، أما الهادي فمنحه المشرق كله وأذربيجان و أرمينية، وهناك بعض العلماء والمؤرخين يرجعون التقسيم إلى الرشيد الذي قسم

[1] ابن عذارى المراكشيّ ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983 م، ج 1، ص 06.

[2] يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع السابق**، ص 42 .

[3] ابن عذارى المراكشيّ، **المصدر السابق**، ج01، ص 14 .

[4] عبد الله مُحَمَّد جمال الدين، **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب** ، القاهرة، مصر، 1991 م ، ص 11.

[5] ابن عذارى المراكشيّ، **المصدر السابق**، ج01، ص 47 .

دولته على النحو السابق لأبيه، وعندما نعود إلى أحاديث الرسول الله ﷺ ، وإلى كتب الأنساب والنوازل الفقهية وكتب التراجم والطبقات وكتب المؤرخين والرحالة وكتب الأساتذة والباحثين نجد أن المدلول الاصطلاحي ظهر في العصر الوسيط مع ظهور الدولة الإسلامية[1].

ويرى الجغرافيون والفقهاء والمؤرخون المسلمون القدامى أن أهل مصر كانوا ينظرون اتجاه الجنوب ويسمّون أيمانهم مغربا، وعن شمائلهم مشرقاً.[2]

أما ابن عذارى فقد ذكر أنه في سنة (55هـ / 674م) خلّف معاوية بن أبي سفيان على مصر وإفريقية مسلمة بن مخلد الأنصاري، وعزل معاوية بن حديج عن مصر، ثم عزل عقبة بن نافع عن إفريقية، ثم ولّى مولاه أبا المهاجر ديناراً على إفريقية، فجمع مصر إلى طنجة، وهو أول من جمع له الغرب كلّه.[3]

وفي موضع آخر قال: « الذين أخذهم حسان من المغرب الأوسط قبله، ثم ولى طارق بن زياد على المغرب الأقصى، وقال أيضاً تم إسلام أهل المغرب الأقصى».[4]

بينما يرى ابن حوقل ت (367 هـ / 977م) في تعريفه لبلاد المغرب بأن الأندلس تابعة لها، وهي جزء منه، بقوله: « وأما الأندلس فهي تتصل بالبر الأصغر من جهة جليقية، وإفرنجية، وهي من جملة المغرب ويحيط بها الخليج المذكور ».[5]

أما المراكشي فيفيد في البيان المغرب في عبارة مباشرة أنّ« بلاد الأندلس أيضا من المغرب وداخلة فيه لا تسألها به ».[6]

---

[1] يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع السابق**، ص 41 .

[2] الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977 م، مج1، ص 54.

[3] ابن عذارى المراكشيّ، **المصدر السابق**، ج01، ص 21 .

[4] **المصدر نفسه**، ج01، ص 43 .

[5] أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، دج، د ط ، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1992 م، ص 105-106.

[6] ابن عذارى المراكشيّ، **المصدر السابق**، ج1، ص6-7.

ورغم كل اختلاف الباحثين والفقهاء والمؤرخين حول مدلول كلمة المغرب سواء من حيث التسمية أو الجغرافية التاريخية، نستطيع القول إنه يعني: « المغرب العربي الإفريقي بتنظيماته السياسية المعروفة اليوم، وهي الجماهيرية الليبية، الجمهورية التونسية، الجمهورية الجزائرية، المملكة المغربية، ثم الجمهورية الموريتانية، والجمهورية العربية الصحراوية، »، هذا هو المغرب العربي أو شمال إفريقيا لأن هذه الجمهوريات تقع في شمال القارة الإفريقية[1].

و إجمالا أطلق هذا الاسم أو مصطلح المغرب على المنطقة التي تمتد من أرض مصر إلى ساحل المحيط الأطلسي ومن تخوم أوروبا إلى بلاد الصحراء الكبر أو بلاد الزاب، وهناك من المؤرخين من يضم بلاد الأندلس إلى المغرب.

ويقسم الأصطخري، بلاد المغرب إلى قسمين يمتدان على بحر الروم، فالنصف الأول من شرقه الذي يحتوي على برقة وتاهرت وسوس و زويلة، والنصف الثاني من غربه يحتوي على الأندلس. [2]

بينما ذكر المقدسي[3]، أن بلاد المغرب تمتد من مصر وبرقة وإفريقية و تاهرت حتى فاس و سجلماسة ثم سوس الأقصى دون إضافة بلاد الأندلس.[4]

المبحث الثاني : الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي:

1-الإطار الجغرافي:

[1] يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع السابق**، ص 44 .

[2] الأصطخري أبي إسحاق إبراهيم بن مُحَمَّد الفارسي الكرخي، **مسالك الممالك**، مطبعة بريل، ليدن ألمانيا ،1927، ص31.

[3] **المقدسي ت (335هـ / 946م)**: هو شمس الدين أبوا عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي البشاري الذي ولد في البيت المقدس، ثم أصبح متقن للفارسية إلى أن توفي (390هـ / 1000م)، الذي ناهز عمره (55هـ أو 53م)، الذي ساهم جده في بناء ميناء عكا في عهد ابن طولون ثم ارتحل إلى العراق وكتابة تأليفه عن المؤلفات المؤرخين الآخرين. أنظر/ إبراهيم أحمد سعيد، **إسهامات المقدسي في الجغرافيا والدراسات الإقليمية**، مجلة دراسات التاريخية، العدد 117 – 118، كانون الثاني، حزيران، 2012م، ص 154م.

[4] بان علي مُحَمَّد البياتي، **رسالة ماجستير النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (03 – 06 هـ / 09 –12م)**، صباح إبراهيم الشيخلي، قسم التاريخ، كلية التربية للبنات، بغداد، 2004م، ص 08.

استعرضت المعنيين اللغوي والاصطلاحي لبلاد المغرب الإسلامي من أجل تسهيل عملية توضيح الإطار الجغرافي التاريخي لبلاد المغرب الإسلامي وأقسامها، التي تعد مسرحاً للحوادث من بداية ظهور الإنسان عليها وتأسيس الكيانات فيها من العصر القديم إلى العصر الوسيط، و محاولة إنسان هذا الإقليم إثبات وجوده و تميّزه و تعمير أرضه و مقاومة التدخلات الأجنبية و بناء مدنيته و خصوصياته الحضارية التي ستظهر مع الفتح الإسلامي و طيلة الفترة الوسيطة[1].

اختلف المؤرخون والفقهاء والجغرافيون الذين استخدموا علم الجغرافيا[2] حول هذا المدلول وضبطه، فهناك من يعتبر أن اللَّفظ الجغرافي والتاريخي يعني كل ما بين مصر غربا حتى المحيط الأطلسي إلى الأندلس والجزر المتوسطية منها (جزر البليار، صقلية، سردينيا، كورسيكا)، لذلك نشب الاختلاف بين الباحثين والفقهاء والجغرافيين، عندما نعود إلى تقسيم دولة هارون الرشيد بين ولديه الأمين والمأمون، عندما قدم المغرب كله إلى الأمين الذي يشمل بلاد الشام والعراق ومصر وإفريقية، لذلك نستطيع القول بأن هذا تقسيم إداري يخضع لاصطلاحات السياسة و ضروراتها فقط[3]، وسنرى في شرحنا التالي لجغرافية المغرب الإسلامي و وصف الرقعة الجغرافية[4].

بلاد المغرب هي جزءً من البلاد الإسلامية التي تتميز بخصائصها ومظاهرها وطبيعة تشكيلة البنية التكوينية سواءً اجتماعية وسياسية واقتصادية أو ثقافية وغيرها، على ممر الزمان التي تحاذي بلاد المشرقِ من الجهة الغربية ، وتمتد من برقة شرقا والبحر الأبيض شمالا حتى المحيط الأطلس غربًا، وبعد الفتح الإسلامي أصبح المغرب الإسلامي غرب مصر حتى بلاد الأندلس[5]، ومما ذكره ابن حوقل في كتابه " صورة الأرض" أنّ المغرب يمتد من مصر وبرقة إلى إفريقية حتى طنجة وسبة غربا، أما شمالا القسطنطينية وجليقية والصقلية حتى الأندلس، أما جنوبا من نهر النيل إلى أرض النوبة وغانة وأدغست حتى برغواطة[6]،

[1] عبد الله محمّد جمال الدين، **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب** ،القاهرة، مصر، 1991 م ، ص 11.

[2] جمال الفندي، **الجغرافيا عند المسلمين**، بيروت، لبنان، 1982 م ، ص 12 .

[3] يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع السابق**، ص 44 .

[4] حسين عليوي ناصر الزيادي، **تطور الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة**، مجلة أوروك، جامعة ذي القادر، م 07، ع 01، 2014 م، ص 15 .

[5] نميش سمية، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (07 – 10 هـ / 13 – 16 م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2013 / 2014 م، ص 10 .

برغواطة[1]، فهذه البلاد أطلق عليها اليونان اسم ليبيا من مصر شرقاً إلى المحيط الأطلس غرباً والبحر الأبيض المتوسط شمالاً والصحراء الكبرى جنوباً[2].

قال اليعقوبي[3]: « فأما من أراد أن يسلك من مصر إلي برقة وأقاصي المغرب، نفذ من الفسطاط في الجانب الغربي من النيل حتى يأتي ترنوط، حتى المغرب الأقصى»[4] ، ويشير ابن الفقيه إلى الحدود الشرقية فيتضح لنا من قوله: « أن مصر على حساب تسميتها أنها الحدود الشرقية للمغرب الإسلامي، وهي بوابة إفريقيا من الجهة الشرقية للمغرب، وكذلك من خلال مدنها وأريافها والقبائل التي تسكن فيها»، وكذلك نستنتج من حديث أبي الفداء أنها الحدود الشرقية لبلاد المغرب الإسلامي، وأنه يذكر حدود المغرب من الجهة الشرقية بأنّها هي ديار مصر والواحات التي بين برقة والإسكندرية، ومن الجهة الشمالية بحر الروم إلى فم بحر الزقاق عند سلا[5]، ومن مدنها تنس وتونس والجزائر وسجلماسة[6].

ويرى المتأخّرون من المختصّين أن المغرب أطلق على البقعة الممتدة من قرية السلوم غرب الإسكندرية في الشرق، حتى المحيط الأطلس غرباً، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً، إلى بلاد السودان جنوباً "الصحراء الكبرى ومالي ونيجر والسودان "[7]، وقسمة بعضهم إلى أربعة أقسام كل قسم له مميزاته الخاصة الخاصة به، مثل ساحل البحر الأبيض المتوسط الذي يمتد من مضيق جبل طارق حتى تخوم مصر، الذي يتميز بالجبال والهضاب التي تنبع سفحهم بالمياه و تخرج من الينابيع والعيون والبرك، ومن وراء هذه التلال

[1] أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1992 م، ص 64.

[2] بشير رمضان تلسي، **الاتجاهات الثقافية في المغرب الإسلامي**، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2003، ص 27.

[3] **اليعقوبي ت (284هـ 897م)** هو أبو العباس أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي اليعقوبي، وميوله إلى الشيعة كلفته حياته، أما أبوه وجده كذلك عملوا في البريد، فمن تأليفه تأليف كتاب " **البلدان**". أنظر/ عبد الرحمان بن حميدة، **أعلام الجغرافيين ومقتطفات من أثارهم**، دار الفكر، دمشق، 1995م، ص 173.

[4] أبو العباس أحمد اليعقوبي ت (284 هـ – 897م) ، **البلدان** ، دار العلمية، بيروت لبنان، 2002 م ، ص 180.

[5] مُحَمَّد علي الخفاف و مُحَمَّد أحمد عقيلة المومني، **دراسات في التراث الجغرافي العربي الإسلامي**، دار الكندي النشر والتوزيع، الأردن، 2000 2000 م ، ص 28.

[6] أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، **المصدر السابق**، ص 65 .

[7] عبد الله مُحَمَّد جمال الدين، **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب**، القاهرة، مصر، 1991 م ، ص 11.

تظهر سلسلة الأطلس من المحيط غربا حتى بلاد مصر، ثم سهول بلاد نوميديا التي تنبت فيها النخيل وهي عبارة عن بلاد رملية، ثم الصحراء التي تأتي بعد بلاد نوميديا، ثم الصحراء الكبرى[1].

ورغم اختلاف المؤرخين حول الحدود الشرقية، فكذلك يوجد اختلاف حول الحدود الجنوبية إذ يذكر بعضهم أن حدود المغرب الجنوبية هي تخوم السودان، أي تشاد وغربي جمهورية السودان من جنوبها الشرقي ومالي والنيجر من وسطه والسنغال من جنوبه الغربي[2].

وتحدث ابن عذاري عن حدود المغرب وإفريقية فقال: قال أبو مروان في كتاب " المقباس " وابن حمادة في كتاب " القبس " وغيرهم من المؤرخين، « أن حد المغرب من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب وحده مدينة سلا ... مدينة تيهرت ويليها بلاد المغرب وهي بلاد طنجة وحدها مدينة سلا وهي أخر المغرب، وإذا جزت سلا وأخذت إلى ناحية الجنوب تركت مغرب الشمس يمنة وأخذت منها قافلا إلى قبلة فتسمى تلك البلاد تماسنا ويقال لها أيضا بلاد السوس ... مصر وإفريقية كلها والزاب والقيروان والسوس الأدنى والسوس الأقصى وبلاد الحبشة ومنه يتفرع نهر النيل»[3] .

و يشير باحثين آخرين إلى أنّ حدود بلاد المغرب المتعارف عليها من خلال المؤرخين و الجغرافيين، أن المغرب يحده من الشرق برقة ومن البحر الأبيض شمالًا والمحيط الأطلس غرباً وجنوباً الصحراء الكبرى[4].

و يتوسّع باحثين آخرين في توصيفهم لبلاد المغرب الإسلامي بمدنها وحدودها، و يصوّرون المغرب خلال القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م)، بأن تحده تونس والقيروان والجريد شرقا، والبحر الأبيض المتوسط شمالا، وبلاد الأندلس والمحيط الأطلسي غربا، وبلاد الزاب ومنطقة توات والصحراء الكبرى جنوبا.

ثم يتمّ تقسيم المنطقة إلى ثلاثة أقسام منها: المغرب الأدنى[1] المعروف بمملكة بني حفص من تونس إلى إلى بلاد الجريد شرقا حتى بجاية والحضنة و الزاب غرباً، ثم بلاد المغرب الأوسط التي تدعى مملكة بني زيان

[1] حسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر محمّد حجي ومحمّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983، ج01، ص 72.

[2] يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع السابق**، ص 45 .

[3] ابن عذارى المراكشيّ ، **المصدر السابق**، ج 1، ص ص 05 -06.

[4] بشير رمضان تلسي، **المرجع السابق** ، ص 27 .

من بجاية والحضنة و الزاب شرقا حتى تنس و وجدة و واد ملوية غربا، أما بلاد المغرب الأقصى التي تدعى مملكة بني مرين التي تمتد من تنس و وجدة و وادي ملوية شرقاً حتى المحيط الأطلس غرباً[2]، ثم أشار علي دبوز وفق تقسيم الفاتحين المسلمين لبلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاثة أقسام منها: مغرب أدنى ومغرب أوسط ومغرب أقصى بالنسبة إلى بلاد المشرق[3].

ويختار الباحث مُحَمَّد البياتي في توصيفه لبلاد المغرب ما جاء به ابن خردذابة (03هـ / 09م)[4]، الذي قسم المعمورة إلى أربعة أقسام وميز بلاد المغرب في القسم الثاني، و هو الذي يتوافق مع ما ذكره الإدريسي وابن سعيد أن بلاد المغرب هي القسم الأول من الإقليم الرابع لتقسيم المعمورة إلى سبعة أقاليم، حيث أن بلاد المغرب تمتدّ من غرب مصر أي برقة شرقًا حتى سواحل المحيط الأطلس غربًا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالًا إلى رمال الصحراء الإفريقية جنوبًا[5].

وأضاف أبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني جزءا من بلاد الأندلس[6]، فالمغرب الأدنى من الإسكندرية إلى بجاية، الذي يشمل إقليم برقة وطرابلس وتونس وشرق الجزائر حاليا[7]، أما المغرب الأوسط

---

[1] **المغرب الأدنى** (**إفريقية**) : يمتد المغرب الأدنى من طرابلس شرقاً حتى مدينة بجاية وتاهرت غرباً الجزائر حالياً ، الذي اتخذ عاصمته مدينة القيروان، هو الإقليم الذي (يمتد من الأجزاء الشرقية من المغرب أو مكان يعرف بإفريقية القنصلية ... ويرى بعض المؤرخين والباحثين والمحدثين أن إفريقية تعد أول أقاليم المغرب).أنظر /يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع السابق**، ص 46 .

[2] مُحَمَّد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان**، تح: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية، قسنطينة، الجزائر، 1985 م، ص291.

[3] مُحَمَّد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، دار علم المعرفة، الجزائر، 2013 م، ج 3، ص 245.

[4] **ابن خردذابة ت (272هـ / 885م)**: هو أبو القاسم عبد الله بن عبد الله المشهور بابن خردذابة، من أسرة فارسية وأبوه مجوسيًا، وحكم كبرستان في أوائل ق09م، وعلّم ابنه على يدي كثير من المشايخ، ثم تقلد منصب مدير البريد، حتى أن أصبح مقربًا من الخليفة المعتمد، ومن تأليفه الذي ألفه على مدى حياته نذكر المعروفة منها: " **المسالك والممالك** " التي بدأ في كتابتها في سنة (232هـ / 846م)، ويذكر عبد الرحمان بن حميدة أن له 10 مؤلفات معروف عنوانها فقط. أنظر/ عبد الرحمان بن حميدة، **المرجع السابق**، ص 106م.

[5] بان علي مُحَمَّد البياتي، **المرجع السابق**، ص 09 .

[6] أبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني، **المناقب المرزوقية**، تح: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية، المغرب، 2008، ص 22.

[7] مُحَمَّد علي دبوز، **المصدر السابق**، ج 3، ص 245.

الذي يمتد ويشمل بجاية[1] شرقاً إلى وادي ملوية غرباً...، أما المغرب الأقصى فمن وادي ملوية شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً الذي يحتوي على فاس ومراكش[2]، وشمال البحر الأبيض المتوسط[3]، أما جنوبا فجبال رملية ومن مدنها تنس ووهران[4].

و يمكن أن نأخذ بقول ابن حوقل النصيبي في تحديده لبلاد المغرب التي حددها على حساب المدن كمعيار لحدود الدول و مجالاتها الجغرافية ،حيث قال: « وهذه جملة أحوال المدن المشهورة والمراسي والقرى المعروفة على نحو بحر المغرب من حدي برقة إلى بحر المحيط».[5]

و هناك من الباحثين الذين تحدثوا عن تقسيم بلاد المغرب الإسلامي من إقليم برقة مرورا بإفريقية والمغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى، ومنهم من يرى أن بلاد برقة ليست من بلاد المغرب الإسلامي[6].

و إجمالا للقول فيما يخصّ حدود بلاد المغرب يمكن أن نعتمد على توصيف عبد الرحمن ابن خلدون الذي وصف بأنّ: «المغرب قطر واحد ... فحدّه من الغرب البحر المحيط ... أما حده من الشمال فالبحر الرومي ... وأما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال الملتهبة ... إلى برنيق من بلاد برقة».[7]

ومن هذا التحديد نستطيع إعطاء حدود دقيقة لبلاد المغرب ، و نؤكّد بأن بلاد المغرب هي المجالات التي تحدها صحراء برقة من الشرق، والصحراء الكبرى من الجنوب حسب مصطلحنا اليوم، والبحر الأبيض المتوسط شمالاً كما سماه المؤرخون والباحثون سابقاً ببحر الروم، والمحيط غرباً.

فبلاد المغرب الإسلامي هي عبارة عن مناطق وسلاسل جبلية من بلاد مصر حتى بلاد الأندلس مربعة الشكل، تتميز بمنطقة شبه صحراوية، وقد أطلقت على بلاد المغرب الإسلامي الكثير من الأسماء منها:

---

[1] **بجاية**: هي مدينة واقعة بشرق الجزائر التي كانت تمثل مركز أساسي في الجزائر ولعبت دور واسع في تاريخ الجزائر، حتى أن أصبحت عاصمة بني حماد، التي أصبحت لها نفوذ كاملة في المنطقة، وبعد زوال الدولة الحمادية ظهرة الدولة الزيانية ولكن لم تستطيع ظم ممتلكاتها، أنظر/ مُحَمَّد بن عبد الله التنسي ، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، تح: محمود أغا بوعياد، تلمسان، الجزائر، 2011 م ، ص 284 .

[2] مُحَمَّد مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 2007، ج 1، ص46.

[3] مُحَمَّد علي دبوز، **المرجع السابق**، ج 3، ص 517.

[4] صالح بن قربة، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، طبعة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص 207 .

[5] ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص 83.

[6] بان علي مُحَمَّد البياتي، **المرجع السابق**، ص 09 .

[7] عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر** ، تح: خليل شحادة، ج6، ص 128.

البربر، السيوب، الأفارقة، الأمازيغ نسبة إلى جدهم مازيغ[1]، ومن القبائل الساكنة به نجد: "بترونة، بنو غبرين، بني يتروغ، زرخفاوة، بنوا فراوصين، بنوا يراثن، قشتولة، بنوا صدقة، بنوا منقلات، يليتن، مشذالة، بنوا مليكش"، هذه القبائل الكبرى، أما القبائل الصغرى نجدها منتشرة في "وادي بجاية، وبني يعلى العجيسي، وزمّورة التي سكانها الرحالة والمجاورون من بلاد المشرق والأندلس"[2].

ومن المنازل الشهيرة فيه، منزل المنى، والدار الكبير بومينا، والكنيسة المزخرفة، ومنزل الحمام ، ومنازل لبني مدلج، منها منزل الكنائس، ومنزل العوسج، ومنزل معن، ومنزل قصر الشماس، أما منازل العجم والبربر منها، منزل خرابة والرمادة والقصر الأبيض ثم مغاير رقيم ثم الروم وجب الرمل ومن دياري برقة منهم دار مراوة ومفرطة ومصعوبة وزكودة وغيرهم.[3]

المبحث الثالث: الإطار التاريخي لبلاد المغرب الإسلامي:

1-الإطار التاريخي:

تشير المصادر التاريخية ذات الطرح الدّيني إلى أن كل البشرية وكل إنسان على وجه الأرض يعود إلى نسل آدم عليه السلام، و هم الذين هلكوا في حادثة الطوفان خلال عهد سيدنا نوح عليه السلام، ونجا منهم سيدنا نوح عليه السلام ومن ركب معه في السفينة فقط، ومن بعد هذه الحادثة تفرق أبناؤه على ثلاثة فروع منهم: أبناء سام وأبناء حام وأبناء يافث[4].

مما سبق يتّضح أن المسلمين الفاتحين الذين ساهموا في تطوير علم الجغرافيا ورسموا الخريطة ونجحوا في محيط الأرض الكروية[5]، وكذلك المؤرخين المسلمين قاموا بتسمية إفريقية والمغرب من بداية ظهور الإسلام، الإسلام، عندما قام الخليفة عمر ابن الخطاب بتولية عمر ابن العاص على بلاد المغرب، فأرسل عمر ابن العاص رسالة إلى الخليفة ﷺ ضمّنها: « إن الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة

[1] سمية نميش ، **المرجع السابق**، ص 10 .

[2] عبد الرحمان دويب، **الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي**، تر الشيخ المهدي أبوا عبدلي ويلة، قسم التراجم، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013 م ، ص 276.

[3] اليعقوبي ت 284 هـ، **المصدر السابق**، ص 180 .

[4] محمّد مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2007م، ج 2، ص64.

[5] أحمد شلبي، **الفكر الإسلامي**، دار العلوم ، القاهرة ، سنة 1986م، ص112.

أيام »، ثم أعاد إليه الخليفة ﷺ قائلا: « إنها ليست بإفريقية ولكنها المفرقة غادرة مغرورة بها لا يغزوها أحد ما بقيت»، بعد تولية الخليفة عثمان ابن عفان ﷺ ولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح على إفريقية[1].

و يكاد يتفق الباحثون أنّ بديات بروز مصطلح بلاد المغرب الإسلامي ظهر مع علي ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان في حادثة الفتنة الكبرى سنة (37 هـ 657م) ، فسميت مصر وما بعدها عكس بلاد المشرق أو مركز الخلافة بالمغرب الإسلامي، حيث يذكر الطبري[2] حادثة لعلي ﷺ وأرضاه للحرب مع معاوية في الشام فأرسل إلى قائده ابن العباس حاكم البصرة بتهيئة الجيش قال : « أما بعد فإنا خرجنا إلى معسكرنا بالنُخَيْلَةَ وقد أجمعنا على المسيرة إلى عدونا من أهل المغرب فأشخص إلى الناس حتى يأتيك رسولي »، ولقوله لأنصاره: «تسيروا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب »[3].

أما ابن عبد الحكم فيعتمد هذا الاسم بداية من عصره في القرن الثالث الهجري/ 09م، حيث استدل بكلام معاوية بن حديج: « ثم خرج إلي المغرب بعد عبد الله ابن سعد معاوية بن حديج التجيبي سنة 34 هـ / 654م»، ثم عبر الأصطخري قال« المغرب من حدود الإسكندرية حتى المحيط الأطلس مع جزء من الأندلس»، أما ابن عذاري قال ثلاثة أقسام هي : «إفريقية والمغرب والأندلس»[4].

---

[1] بان علي مُحَمَّد البياتي، **المرجع السابق**، ص 09 .

[2] **الطبري ت (301هـ / 913م)**: هو أحمد بن عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطبري القريشي الشافعي، الذي أخذ العلم عن أبيه وكذلك عن أبي الحسن الطبري، فبرز في التفسير من صور النقد وحصر التاريخ بالأمور السياسية والإدارية والقضايا الداخلية للدولة، وكتابه " **تاريخ الرسل والملوك**" يعتبر التاريخ فيه من المشيئة الإلهية والرسالة النبوية وبعدها تاريخ الصحابة، لأنه كتب تاريخه من مشيئة الخلق حتى مماته، أما برهان الدين دّلو يذكر أن الطبري هو أبو جعفر بن مُحَمَّد بن جرير الطبري، الذي ولد في فاس وبعد رحلته استقر في بغداد، ومن مؤلفاته نذكر: تاريخ الأمم والملوك، ذليل المذيل، جامع البيان في تأويل القرآن اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع القرآن، حتى أن وفته المنية في بغداد، وفي طلبه للعلم تبحر في فنون العلم وجمعه، فكان من فقهاء عصره وحافظ لكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ وأقوال الصحابة الكرام. أنظر/ ابن القاضي، **درة الحجال في معرفة الرجال**، ص 35. برهان الدين دلو، **مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي السياسي**، ص 15. نجاة فخري مرسي، **عباقرة من التاريخ**، ص 109. أبي يزيد الثعالبي، **تفسير الثعالبي**، المسمى **بجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تح: عبد الفتاح أبو سنة، دار حياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1997م، ج01، ص 84.

[3] بوحلوفة مُحَمَّد أمين، **أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي**، بوركبة مُحَمَّد، تاريخ وحضارة إسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013 – 2014م، ص 34.

[4] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 146 / 147 .

كما تحدث عبد الرحمان ابن خلدون عن أهل بلاد المغرب الإسلامي «...وأما قطوبال فهم أهل الصين من المشرق، واللمان من المغرب، ويقال أن أهل إفريقية قبل البربر منهم، وأن الإفرنج أيضا منهم، ويقال أيضا أن أهل الأندلس قديما منهم»[1]، ويشير باحثون إلى أنّ المغرب هو المنطقة التي تحدها برقة شرقاً والبحر الأبيض المتوسط شمالاً والمحيط الأطلس غرباً والصحراء الكبرى جنوباً، وأطلق عليها اليونان قديماً اسم ليبيا من الشرق إلى المحيط الأطلس، أما الرومان كانت لهم ولاية نوميديا و ولاية موريتانيا[2].

تعني كلمة أو اسم المغرب المطلق على إفريقيا الذي نجده مدون في كل إنتاج علمي وتاريخي، هو المغرب الذي يمثل الوحدة الحضارية، ومن هذا الاسم انشقت أسماء وهي المغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغربين الأدنى[3]، وكذلك المغرب يضم إفريقية الصغرى أو إفريقية الأمامية التي يحدها من الشرق والشمال والغرب البحر أما جنوباً الصحراء الكبرى، التي تتميز بانعزالها عن العالم وسواحلها الوعرة وبها سلاسل جبلية التي كانت حاجزا في التواصل مع العالم الخارجي[4].

كذلك نستدل ببعض أقوال حاج عبد القادر يخلف الذي نقل عن ابن القوطية ت (376هـ / 986م) « أنَّ سليمان بن عبد الملك ولّى إفريقية وما وراءها من المغرب عبد الله بن يزيد مولى قيس، بعد سخطه على موسى بن نصير وعزله إياه عن إفريقية وما وراءها من المغرب»[5]، ولذلك يرى الجغرافيون المعاصرون في كتاباتهم، أنّ المغرب قسمه الجغرافيون إلى ثلاثة أقسام منها القسم الأول: إفريقيا التي تمثل ليبيا وبعض القطع من تونس، أما القسم الثاني: هو المغرب الأوسط الذي يشمل غرب تونس والجزائر حاليا، أما القسم الثاني: الذي يشمل غرب الجزائر وهي بلاد مراكش[6].

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج1، ص 10.

[2] بشير رمضان تلسي، **المرجع السابق**، ص 27 .

[3] مُحَمَّد حسن، **الجغرافيا التاريخية لإفريقيا**، دار الكتب الجديدة المتحدة، بنغازي ليبيا، 2003 م ، ص 11.

[4] بشير رمضان تلسي، **المرجع السابق**، ص 27 .

[5] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 150 .

[6] مُحَمَّد علي الخفاف ومُحَمَّد أحمد عقيلة المومني، **المرجع السابق**، ص 28 .

وهذه المنطقة التي كانت تدعى بالمغرب فهناك من كان يسميها بالعدوة المغربية مقابل العدوة الأندلسية، ورغم كل التقسيمات التي تحدث عنا المؤرخون لبلاد المغرب الإسلامي، فهناك الكثير من الفقهاء والمؤرخين لم يذكروا هذه التقسيمات بل المغرب كله من برقة إلى الأندلس[1].

إن الباحثين والمؤرخين المعاصرين يرون بأن حدود إفريقية التي تقع بين برقة وبجاية، ومن بجاية إلى المغرب الأقصى المغرب الأوسط، أما المغرب الأقصى الذي يمتد من نهر ملوية وجبال تازة حتى المحيط الأطلسي[2].

و كانت القبائل في هذه الأقسام متنقلة من منطقة إلى أخرى، مثل: قبيلة مكناسة البترية التي نشأت في القرن الثاني هجري على« وادي ملوية من لدن أعلاه بسجلماسة إلى مصبه في البحر وما بين ذلك من نواحي تازة وتسول»، أما مُحَمَّد حسن نقلا عن اليعقوبي فيتحدث عنها بأنها كانت في تلمسان، ونقاوس بالحضنة وبسكرة بالزاب[3].

أما مُحَمَّد على الخفاف يذكر أن ابن الفقيه تحدث عن مصر التي هي حدود المغرب الإسلامي بأنها: «... سميت مصر بمصر بن أينم بن حسام بن نوح وافتتحها عمر ابن العاص، قال ابن السكيت سميت مصر لأنها الحد وأهل هجرة يكتبون في شروطهم اشترى جميع الدار بمصورها أي بحدودها ... وأرض مصر محدودة أربعين ليلة في مثلها وكانت منازل الفراعنة وكان اسمها باليونانية مقدونية ... وطول مصر من الشجرتين اللتين بين رفح وعريش إلى أسوان وعرضاً من برقة إلى أيله وهي مسيرة أربعين ليلة في أربعين ليلة ... »[4].

فهناك بعض القبائل التي كانت تعتمد على الترحال والتنقل من المشرق الإسلام إلى مصر، حتى وصلوا إلى بلاد المغرب الإسلامي، « فاستوطنت قبيلة في جبال الونشريس، وأخرى بمكناسة ثم تحولوا إلى مدن، مثل مطماطة التي اجتاحت على بلاد المغرب»، و يضيف مُحَمَّد حسن نقلا عن ابن خلدون الذي قال بأنهم « مفرقون في المواطن فمنهم من نواحي فاس من قبلّتها في جبل هناك معروف بهم ما بين فاس

[1] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 150 .

[2] بان علي مُحَمَّد البياتي، **المرجع السابق**، ص 09 .

[3] مُحَمَّد حسن، **المرجع السابق**، ص 11 .

[4] مُحَمَّد علي الخفاف و مُحَمَّد أحمد عقيلة المومني، **المرجع السابق**، ص 28 .

وصفروى، ومنهم بجهات قابس والبلد المختط على العين الحامية من جهة غربها، منسوب إليهم إلى هذا العهد يقال لهم مطماطة»[1].

وسكنوا الجبال والتلال والمناطق العلوية من أجل الابتعاد عن الأخطار الناجمة عن الثورات والغزوات، ومنازلهم من كهوف ومغارات، معتمدين العيش البسيط والماء القريب منهم والكلأ والغذاء وبعدهم عن الوحوش الضارة التي تؤدي إلى الهلاك، مثل مناطق بجاية والجزائر، وكانوا يدفنون موتاهم فوق الكهوف والجبال، وأدواتهم من عظام الحيوانات والأخشاب والمناقير[2].

المبحث الرابع: الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط خلال القرنين(7-8هـ/ 13-14م):

1-الإطار الجغرافي :

المغرب الأوسط مجال شاسع المساحة محصور بين المغربين الأدنى والمغرب الأقصى، اللّذين يشابهانه في المكوّن التضاريسي الطبيعي، لهذا يخيّل للدارس دائما أن المغرب الأوسط، ربما بسبب الصراعات السياسية و التدافعات المذهبيّة التي عاشتها هذه المنطقة من القرن الثاني الهجري/ 08م إلى غاية القرن التاسع الهجري / 15م، وكان ذكر بلاد الغرب على سبيل الإجمال و التعميم في غالب المصادر الإسلامية خاصة الباكرة منها .

بعد ظهور العديد من القوى و الدول التي تحكمت في امتداد وتقلّص الرقعة الجغرافية للمغرب الأوسط[3]، وعلى مر الزمن دائماً نجد تغييرا في الحدود الجغرافية التي تمكن على حساب الدولة القائمة في بلاد المغرب الأوسط، على أنّ نهر ملوية يعتبر الحد الفاصل المستقر بين المغربين الأقصى والأوسط، وجنوبًا الصحراء الكبرى[4] تفصل بين المغرب الأوسط و إفريقيا.

إن الدولتين الأموية والعباسية اللتين توجهتا بأنظارهما نحو بلاد المغرب الأوسط في القرنين الأول و الثاني من أجل محاولتهما الاحتفاظ بقطر المغرب قد فشلتا في مدّ سلطانهما السياسي فقد نشأت

[1] محمّد حسن، **المرجع السابق**، ص 11 .

[2] محمّد مبارك الميلي، **المرجع السابق**، ج 1، ص 66.

[3] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص ص 21 - 22.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج07، ص 66.

دويلات مستقلة منها الدولة الأغلبية في المغرب الأدنى بالقيروان و الدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط في تاهرت و الدولة الإدريسية في بلاد المغرب الأقصى بفاس، وقد تحكّمت تلك الدّول في مجالاتها وفي امتداد وتقلّص الحدود الجغرافية في بلاد المغرب الأوسط كله خاصة عندما تكون في أوج قوّتها، إلى أن انبعثت الدولة الفاطمية إلى بلاد المغرب الأوسط وخلفت وراءها الدولة الزيرية ، بعد انتقالها إلى بلاد مصر وتأسيس قاعدتها في القاهرة سنة 362هـ / 972م[1].

تذكر لنا نميش سمية إن اختلف الفقهاء والمؤرخون في توصيف حدود المغرب الأوسط مثل: ابن خلدون الذي يختار و يرى بأنّ الحد الفاصل بين المغربين الأوسط و الأقصى هو نهر ملوية، أما صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار يذكر أنّ الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى بلاد تازة، وهذه الأسباب تعود إلى تذبذب الأمن والاستقرار بين الدولتين الزيانية و المرينية[2]، حيث ذكر خلال القرن (5هـ / 11م) تلمسان[3]قال: « وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين وهو نهر سطفسيف، وهي دار مملكة زناتة ومتوسطة قبائل البربر ومقصد للتجار الآفاق»[4]، كذلك حاج عبد القادر يخلف نقلا عن الإدريسي (ت560هـ /

[1] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 147 .

[2] سمية نميش ، **المرجع السابق**، ص 11 .

[3] **تلمسان**: تعريف ابن خلدون : " أنها تتكون من مقطعين الأول، تلم: تجمع والثاني: سان معناها اثنان، أي تجمع الاثنان وهما البر والبحر"، أما تلمسان بكسر التاء والمثناة من فوق اللام وسكون الميم وفتح: السين المهملة وفي آخرها النون، حيث أن "تلمسان مدينة أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة ويفصل بينهم سور، وهي مدينة حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها ومرابح تجارتها ولم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرفه منهم حالا، فالجغرافي الزهري عرف تلمسان: " أن تلمسان مدينة عظيمة فيها عيون كثيرة ومياه غزيرة، وهي كثيرة الزرع، ولها أعمال عديدة، ودار مملكة يعمل فيها من كل شيء بديع"، فتلمسان مدينة عريقة ذات ثروات طبيعية المنحطة في سفح جبل مثل الملكة، حتى أن أصبحت نقطة وصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، أما رمضان شاوش عرف تلمسان تعريف جغرافي: أن ارتفاعها عن البحر من الجهة الشمالية ثمانمائة وثلاثين متر، التي لا تبعد عليه إلا 60 ميلا حتى في أيام الصيف نستطيع رؤية البحر من جبال مصب نهر تافنة، والتي تتميز بمناخ معتدل لأنها قريبة من البحر الأبيض المتوسط. أنظر/عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر**، ج07، ص 102م. عبد الله مُحَمَّد الزهري، **كتاب الجغرافيا**، تح: مُحَمَّد حاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د س، ص 113. مُحَمَّد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في تعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ج01، ص 27.

[4] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص 05. أنظر / الملحق 06، ص 214.

1164م) يرى أنّ الحدود الفاصلة له هي البحر الشامي « الذي يمر مشرقاً في جهة بلاد البربر وبشمال المغرب الأقصى إلى أن يمر المغرب الأوسط ويصل إلى أرض إفريقية»[1].

و بقراءة متأنّية لكتاب الاستبصار لصاحبه المجهول، يتراءى لنا أنه من الصعب تحديد بلاد المغرب الأوسط حسب تعريف الجغرافيين العرب، فإفريقية تختلط بالمغرب الأوسط، والمغرب يتداخل في الأندلس[2]، وهذا يعود إلى الضعف والقوة التي كانت سببا في امتداد وتقلص الحدود الجغرافية من زمن إلى آخر وعلى حساب تعاقب الدويلات على بلاد المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي[3]، إلى غاية سقوط الدولة الموحدية سنة (608هـ / 1212م) في معركة حصن العقاب، لتظهر القوى الثلاث في بلاد المغرب الإسلامي وهي الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى ودولة بني عبد الواد الزيانية بالمغرب الأوسط والدولة المرينية بالمغرب الأقصى[4].

وبعد هذا الامتداد والتقليص للحدود الجغرافية تكاد تستقر الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط كما وصفها المتأخرّون بالوصف التالي: « ويلي إفريقية المغرب الأوسط – يمتد من وهران شرقاً إلى حدود مملكة بجاية غرباً ... ومن وادي نهر ملوية وممر تازة شرقاً إلى المحيط الأطلس غرباً حتى مدينة آسفى» فنستنتج من هذا القول أن المغرب الأوسط من بجاية إلى تاهرت شرقاً والبحر الأبيض المتوسط شمالاً ونهر ملوية وممر تازة غربا[5].

و تظهر صعوبة تحديد المجال القطري للمغرب الأوسط حتى لدى جغرافي الفترة الوسيطة فصاحب الاستبصار يعترف بأنّه من الصعب أن تحديد أبعاده بدقة، لكنه قدم لنا اجتهادا استلهمه من سابقيه من الجغرافيين، فحدود المغرب الأوسط محصورة حسبهم بين وادي مجمع إلى تازا وسواحل وهران ومليلة حتى مدينة تيزيل[6].

---

[1] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 148 .

[2] مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، ط1، ص176.

[3] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 148 .

[4] سمية نميش ، **المرجع السابق**، ص 12 .

[5] عباس نصر الله سعدون ، **دولة الأدارسة في المغرب** ، دار النهضة العربية بيروت، 1987 م، ص 16.

[6] مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، **المصدر السابق**، ص176.

و يشير باحث آخر إلى تقليص جغرافية المغرب الأوسط في بعض الفترات نظرا إلى التعدي على الحدود الشرقية التي تمتد من بجاية وتاهرت شرقاً إلى وادي ملوية وجبال تازا غرباً، " فيما بين مدينتي تلمسان وتازا التي تعد ممرا يربط بين ممر المغرب الأوسط والأقصى"، أي المغرب الأوسط يعتبر الجزائر حاليا، الذي تعددت عاصمته عبر تعاقب الدويلات فيه، في عهد الدولة الرستمية التي اتخذت عاصمتها تاهرت، أما في عهد الدولة الحمادية فقد اتخذت عاصمتها مدينة أشير، وفي عهد دولة بني عبد الواد[1] اتخذت عاصمتها تلمسان ثم جزائر بني مزغنة وهي العاصمة الحالية[2].

و قد أفاد باحث آخر بأنّ حدود المجال الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط يتمثّل في المنطقة التي تمتد من بجاية شرقاً إلى حدود واد ملوية غرباً ويحتوي على وسط الجزائر وغربه ومراكش حاليا، أما المغرب الأدنى من جهته الشرقية، الذي يحتوي على جزء من غرب الإسكندرية شرقاً، حتى بجاية غرباً، ومن بعض مدنه منها : شرق الجزائر حالياً وتونس وطرابلس وبرقة، أما من جهته الغربية يحده المغرب الأقصى، الذي يمتد من واد ملوية شرقاً حتى المحيط الاطلس غرباً، الذي يحتوي على بعض المدن منها : فاس ومراكش وسجلماسة[3].

و يبدوا أنّ هذا الباحث كان يشير إلى الحدود التي استقرّت إلى ما يقارب قرن من الزمان على هذا النّحو في أوجّ توسّع الدولة الحفصيّة غربا و إلى جنوب بلاد الزاب باتجاه الصحراء، لذلك يجب علينا أن ندرس علم الجغرافيا أو صورة الأرض أو صورة الأقاليم وعلم البرود أو علم العجائب البلاد وعلم الأنواء (المناخ) أو علم الهيئة الجغرافيا، أي أنها قطع أرض أو صورة أرض أو الخريطة[4]...الخ.

---

[1] **بني عبد الواد:** هم ينتسبون ويرجع أصلهم إلى زيان بن ثابت بن مُحَمَّد من بني طاع الله، الذين ينتمون إلى بطون زناتة وكانوا يقطنوا ويسكنوا المناطق التي تجاور مدينة تلمسان وكذلك المناطق الصحراوية بالمغرب الأوسط أي الجزائر حالياً، فاندمجوا بداخل الموحدين وشاركوهم حمل السلاح وفتحوا معهم المناطق، حتى أن عاشوا معهم في الأوقات الصعبة والسهلة، حتى أوائل القرن (07هـ – 13م) بدأ ضعف الدولة الموحدية، فانتهز بني عبد الواد هذه الفرصة، فمكنوا أميرهم يغمراسن بن زيان من اعتلائه عرش بني زيان في مدينة تلمسان، وصار أميراً عليها، ونهاية الحكم الموحدين في بلاد المغرب الأوسط بتلمسان. أنظر / يحي ابن خلدون، **بغية الرواد**، ص 198 – 205 .

[2] يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع السابق**، ص 47 .

[3] عبد الله مُحَمَّد جمال الدين، **المرجع السابق**، ص 11 .

[4] مُحَمَّد محمود مُحَمَّدين، **التراث الجغرافي الإسلامي**، دار العلوم، المملكة السعودية، 1999 م، ص 17 .

ومن مدن المغرب الأوسط نذكر منها تلمسان وبجاية وسطيف وتاهرت[1]، التي وصفها صاحب الاستبصار بأنها مدينة عجيبة جميلة شديدة البرد كثيرة الثلج والأمطار والغيوم قال فيها هذه الأبيات الشعرية:

" ما أصعب البـرد وريْعـانــه و ما أظرف الشـمس بتاهرت

تبدو من الغمام إذا ما بدت كأنها تنشـــــر من تحـــــت

نفرح بالشمس إذا أشرقــت كفرحـة الذميّ بالســـبت[2].

ومن قبائل مدن المغرب الأوسط نذكر منها: زواوة التي تنحدر من كتامة للقرب منها، وسطيف[3] المدينة الجميلة وتيهرت التي كانت عاصمة الرستميين، وقسنطينة التي سكنها قبائل كتامة، وقلعة ابن حروب، التي تجاورها صنهاجة، ومدينة مرسى الدجاج القربة من أشير عاصمة الحماديين والزيريين، ومدينة افتس على نهر واولكس، وجيجل تسكنها قبائل كتامة، ومن هذا نستنتج أن المغرب الأوسط سكنته قبائل صنهاجة وكتامة[4].

يتميز المغرب الأوسط بمناخ باردً وقاسي في فصل الشتاء وحاراً جداً في فصل الصيف، فيصيبه الجفاف لمدة طويلة خلال فصل الصيف والخريف، كما يتميز بكثرة الأمطار في فصل الشتاء والربيع، لذلك نرى أن تساقط الأمطار مختلف من منطقة إلى أخرى مثلاً في المناطق الساحلية القريبة من البحر الأبيض المتوسط فمناخها معتدل ويتميز بتساقط الأمطار فيه وبأوقاتٍ منتظمة.

[1] أمين كرطالي، **الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (09 – 10هـ / 15 – 16م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، مُحَمَّد بوركبة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران، الجزائر، 2013 / 2014م، ص 02.

[2] مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق**، ط1، ص 178.

[3] **سطيف**: (بفتح: السين وكسر الطاء المهملتين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة بعدها فاء)، تأسست في بلاد المغرب الأوسط ضمن الإقليم الثالث، أما من حيث الأطوال، الطول 27 درجة، أما العرض 31 درجة فهي مدينة آمنة أزلية التي لا تبعد عن بجاية إلا أربع مراحل فتعتبر من المدن التي تحتوي على ثروة من الخضر والفواكه بسبب وفرة المياه. أنظر / أبي العباس مُحَمَّد القلقشندي، **صبح الأعشى**، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915 م، ج 05، ص 111.

[4] عبد الله مُحَمَّد جمال الدين، **المرجع السابق**، ص 19 . أنظر الملحق 06، ص 214.

أما جنوباً في الصحراء فمناخها يتميز بارتفاع الحرارة وتذبذب و ندرة تساقط الأمطار على مدار السنة، فهذا المناخ يؤثر على الحياة البشرية في نقص في المياه لشرب والسقي ... الخ، وكذلك في التساقط بكثرة فيحدث الجريان القوي في المناطق الصحراوية والوديان، إلى أن يمنع السير والحركة اليومية ونشاط الإنسان[1].

فكان الإنسان يعتمد في حياته اليومية على مياه الينابيع العذبة التي تخرج من الجبال أو البحيرات سواءً في المناطق الصحراوية أو المناطق الجبلية، التي يسقى منها المزارع والجنان[2]، في الفصول الجافة التي تكون فيها نسبة الأمطار متذبذبة، لذلك المناخ يكون له تأثير ما بين سلبي وايجابي على الكائنات الحية، فكان الإنسان يقوم بزرع أشجار النخيل في المناطق الصحراوية و يقوم بتربية المواشي التي ينتقل بها الرعاة من منطقة إلى أخرى للبحث عن الكلأ، أما في الساحل وضفاف البحر الأبيض المتوسط يغرس فيها الفواكه والخضروات[3].

شهد الغطاء النباتي للمغرب الأوسط خلال القرنين (07 – 08 هـ / 13 – 14 م) تنوعا ثريا في ثرواته النباتية، منها الغابات الكثيفة والمياه الوفيرة والثلوج الدائمة والبرد الشديد[4]والتربة الخصبة والسماء الممطرة والمناخ المعتدل وشبهها العلماء بالطبيعة الباهية الجميلة ذات المنظر الخلاب[5]، ويرجع هذا لقرابته من خط الاستواء، والمطل على البحر الأبيض المتوسط، وحدوده الجنوبية عبارة عن سلاسل جبلية رملية صحراوية، وشمالا جبال الأطلس التلّي المزركش بالغابات الخضراء، التي بها أنهار ووديان[6]، وبحيرات[7].

---

[1] بشير رمضان تلسي، **المرجع السابق**، ص 28 .

[2] مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الامصار**، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار انشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985م، ص 177.

[3] بشير رمضان تلسي، **المرجع السابق** ، ص 28 .

[4] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج1، ص 72.

[5] مُحَمَّد علي دبوز، **المرجع السابق**، ج 3، ص 246 .

[6] مُحَمَّد مبارك الميلي، **المرجع السابق**، ج 1 ، ص 47 .

[7] **عرف أبوا الفدى**: البحيرات من حيث أشكالها " ... البحيرة والبطيحة بمعنى واحد وهي المياه المجتمعة التي هي في القدر دون البحار ..." . أنظر /مُحَمَّد علي الخفاف و مُحَمَّد أحمد عقيلة المومني، **المرجع السابق**، ص 82 .

ومن بين الأشجار التي تنبت في المغرب الأوسط منها: الصنوبر، والصفصاف، والبلوط والخروب والعرعر والريحان والنعناع، وبالنسبة للحيوانات نذكر منها: الأرانب والضباع والأسود والقردة، أما المعادن منها: الذهب والفضة والألماس والزرنيخ والخيلدون والرخام والنحاس والرصاص والزنك والحديد والجبس والجير[1]، ومن منتوجات الخضر منها: الحمص والفول والأرز والعدس[2] والقمح والشعير وكلّ البقوليات والخضر والفواكه التي يقتات عليها الإنسان بصفة عامة[3].

نستنتج من خلال تتبعنا للمصادر التاريخية و المدونات الجغرافية وكتب النوازل الفقهية في ترسم حدود المغرب الأوسط، أن حدود بلاد المغرب الأوسط، تتغير عبر مرور الزمن دائمًا وتخضع للقوى أو الدولة التي تبلغ أوجّ قوّتها مستفيدة من الصراعات الداخلية للدولة الأخرى، ورغم هذه التغيرات لا زالت الحدود تقريبًا حدود الجزائر اليوم الحديثة، لكن رقعة المغرب رقعة واحدة ولهم نفس المكوّن البشري، أما التقسيم وضبط الحدود بين المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى كان قد نشأ من قوة استحكام الكيانات الثلاثة في بلاد المغرب الإسلامي و الذين رسموا الحدود على حساب قوة كل دولة.

المبحث الخامس: الإطار التاريخي للمغرب الأوسط خلال القرنين(7–8هـ/ 13–14م):

1–الإطار التاريخي:

يتحدّد مصطلح المغرب الأوسط في الكتابات المعاصرة في كونه ظهر في أدبيات المصادر الإسلامية الباكرة خلال القرن الخامس هجري / القرن الحادي عشر ميلادي من أجل معرفة أقاليم المغرب الإسلامي، فالمغرب الأوسط يمثل تقريباً الجزائر حالياً، الذي ابتدأ بعاصمته تاهرت[4]الرستمية، واتخذ

[1] مُحَمَّد مبارك الميلي، **المصدر السابق**، ج 1، ص 56.

[2] **المصدر نفسه**، ج 2،ص 483.

[3] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج1، ص 72.

[4] **قال اللباب عن تعريفه لتاهرت**: "بفتح: التاء المثناة فوق والألف وهاء وسكون الراء المهملة وفي آخرها تاء ثانية"، أما ذكر صاحب **تقويم البلدان**، ونقلت من خط ابن سعيد عوض الألف ياء مثناة تح: ت، فهذا هو الصحيح لأن ابن السعيد المغربي فاضلٌ. فهي مدينة تأسست في المغرب الأوسط في عهد الرستميين، وهي في الإقليم الثالث حيث أن الطول خمس وعشرون درجة وثلاثون دقيقة والعرض تسع وعشرون درجة، أما قال العزيزي: "وتاهرت القديمة تسمى تاهرت عبد الخالق" فهي مدينة أزلية مرموقة تدعى غداد المغرب. أنظر /أبي العباس مُحَمَّد القلقشندي، **المصدر السابق**، ج05، ص 111 .

الحماديون عاصمتهم بجاية[1]، أما بنو زيان (بنو عبد الواد) اتخذوا تلمسان عاصمةً لهم[2]، فهم " ينتسبون إلى زيان بن ثابت بن مُحَمَّد من بني طاع الله، وهم من قبيلة بني عبد الواد إحدى بطون زناته، وكانوا ينتجعون المناطق الصحراوية والجبلية المجاورة لتلمسان بالمغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، وقد قاموا بمساعدة الموحدين عند فتحهم لتلك المناطق، فنالوا ثقتهم واقطعوهم عدة إقطاعات بمنطقة تلمسان وأحوازها، واستقروا بها من ذلك الوقت ولما تعرضت دولة الموحدين للضعف والانهيار في أوائل القرن (7هـ / 13م) فاستغل بنو زيان الفرصة وتمكن أميرهم يغمراسن بن زيان من الاستقلال بتلك المنطقة(تلمسان) في (633هـ / 1235م) مؤسسا بذلك دولة بني زيان أو دولة بني عبد الواد"[3].

أمّا الجزائر فلم تكن مدينة بعد فكانت منطقة صغيرة التي احتوتها قبيلة بني مزغنة، حتى أن أصبحت تدعى[4] جزائر بني مزغنة[5] التي عمرها المهاجرون الأندلسيون و منهم التجار، وقبلها اهتم بها المرابطون في عهد يوسف بن تاشفين الذي بنى فيها مسجداً، ثم بعدهم ظهر الموحدون كقوة بارزة في المغرب الإسلامي فمدنوا هذه المدينة، وعند دخول الإخوة بربروس جعلوا منها قاعدة عسكرية ضد الإسبان، إلى أن أصبحت تدعى جزائر بني مزغنة، وهي القاعدة الثانية محل تاهرت وبجاية بعد تلمسان العاصمة الزيانية[6].

---

[1] **بجاية** : "بكسر الباء الموحدة وفتح: الجيم وألف ثم ياء مثناة تحت وهاء في الآخر مدينة من مدن المغرب الأوسط"، التي تقع في الإقليم الرابع من بين الأقاليم السبعة، وقال ابن سعد: الطول اثنان وعشرون درجة مثل ما جاء في (**تقويم البلدان**) : "هي قاعدة الغرب الأوسط، وهي مقابل طرطوشة من الأندلس، وعرض البحر بينهما ثلاث مجارٍ". قال في (**مسالك الأبصار**)، "وهي مدينة قديمة مسورةٌ أضيف إلى جانبها ربضَ أدير عليه سور ضام لنطاق المدينة فصارا كالشيء الواحد . قال والربض في وطاءه ، والمدينة القديمة في سفح جبل، ويدخل إليها خور من البحر الرومي تدخل منه المراكب إليها "، وبها نهر وعيون يشرب منها الإنسان والحيوان وسقي النباتات وبساتين حتى أن يصل هذا الماء إلى بحر الروم وبها مناظر خلابة. أنظر / أبي العباس مُحَمَّد القلقشندي ،**المصدر السابق**، ج05، ص 389

[2] يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع السابق**، ص 49 .

[3] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص ص 05 – 06.

[4] حسن مؤنس، **المرجع السابق**، ص 33 .

[5] **جزائرُ بني مزغنانْ** تعريفها لغويا واصطلاحا: " بفتح: الميم والسكون الزاي وكسر الغين المعجمتين ثم نونان بينهما ألف الأولى منهما مشدّدة"، مثلما ذكر تقويم البلدان هناك من ينزع النون الأخيرة، أما في مسالك الأبصار قام بإضافة الهاء في الأخير "مَزْغِنَّانةُ"، فهي تعد بلدة حسنة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، " تقابل ميورقة من بلاد الأندلس، بانحراف يسير، وبعدها عن بجاية ستة أيام" . أنظر/ أبي العباس مُحَمَّد القلقشندي، **صبح الأعشى**، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915 م ، ج 05، ص 109.

[6] حسن مؤنس، **ابن بطوطة ورحلاته**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2003 م ، ص 33.

و في مرحلة متأخّرة من الفترة الوسيطة رأى ابن الشماخ (ت873هـ / 1459م) أنّ يقسم بلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاثة أقسام: منها القسم الأول بلاد المغرب الأدنى من الإسكندرية إلى طرابلس حتى إفريقية، أما بلاد المغرب الأوسط الذي جاء بحدودها التي تمتد من بلاد الزاب السفلى حتى مدينة تاهرت ، حيث أكد بأن تشمل تاهرت حتى تلمسان، أما بلاد المغرب الأقصى من الجهة الغربية لتاهرت حتى مدينة سلا[1].

أما القاعدة الثالثة هي بجاية للمغرب الأوسط التي زارها بن بطوطة في أيامها التي أصبحت فيها المدينة تابعة للحفصيين، التي تعتبر من المراكز التي شاعت فيها أنوار العلوم و قدم إليها العلماء من كل مكان، فمدّنها الناصر بن علناس أكبر أمراء بني حماد من بني زير بن مناد الصنهاجي الذين خلفتهم الدولة الفاطمية على ملك المغرب و اتخذوا مدينة أشير عاصمةً لهم[2].

ومدينة بجاية فلكيا تعد الجزء الأول من الإقليم الثالث للمنطقة الواقعة فوق خط الاستواء[3]، وكذلك من مدن المغرب الأوسط جيجل وبجاية والجزائر وتاهرت وشلف وبلاد الزاب وهي نقاوس ومقرة وطبنة وبسكرة ودار ملّول، والطرق التي تربط بين المدن عبارة عن أميال ومراحل، وتلمسان القاعدة الأساسية وعاصمة بني زيان، كذلك مدينة تاهرت التي اتخذها الرستميين عاصمة لهم[4].

و يوضح لنا مُحَمَّد حسن لنا من حديث اليعقوبي عن قبيلة مطماطة التي ذاع صيتها في بلاد المغرب الأوسط، التي اتسعت غرب مدينة تاهرت وشمال غرب تلمسان والتي أسست مدينة إيزرج، وكذلك تحدث عنها البكري أنها مطماطة أمسكور بالمغرب الأقصى[5]، التي أصبحت تمثل مدينة كبيرة على نهر

[1] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 148 .

[2] حسن مؤنس، **المرجع السابق** ، ص 33 .

[3] أمين كرطالي، **المرجع السابق**، ص 03.

[4] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 148 .

[5] **المغرب الأقصى (المغرب)** : يمتد المغرب الأقصى من واد ملوية وجبال تازا شرقاً إلى المحيط الاطلسي، الذي يشكل المملكة المغربية " موريتانيا " ، فتعددت عاصمته على حساب تعاقب الدول ومرور الزمن، فالأدارسة اتخذوا فاس عاصمةً لهم، أما في عهد المرابطين والموحدين الذين اتخذوا من مراكش عاصمةً لهم، فأصبحت متنقلة بين فاس ومراكش، حتى إبان الاستعمار الفرنسي فاستقرت العاصمة في مدينة الرباط، "يعتقد عبد الحميد سعد زغلول أن لفظي : مغرب أوسط وأقصى ظهر ابتداءً من القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي ... سليمان أخاه ولاه على إفريقية والمغرب". أنظر / يوسف بن أحمد حوالة، **المرجع السابق**، ص 49 . أنظر / الملحق 05، ص 213.

ملوية، وتميزت بالنشاط الاقتصادي الوفير ومنطقة استراتيجية للنشاط الفلاحي[1]، إذ يذكر ذلك ابن عذارى عن المغرب الأوسط وقال : « الذين أخذهم حسان من المغرب الأوسط قبله »[2].

و إلى ذلك يمكن لنا تحديد حدود مجالات بلاد المغرب من حديث عبد الرحمان ابن خلدون حيث قال:" المغرب قطر واحد ... فحده من الغرب البحر المحيط ... أما حده من الشمال فالبحر الرومي ... وأما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال الملتهبة ... إلى برنيق من بلاد برقة"[3]، فمن هذا التعريف نستطيع إعطاء حدود دقيقة لبلاد المغرب فهي التي تحدها مدينة برقة من الشرق، والصحراء الكبرى من الجنوب حسب مصطلحنا اليوم، والبحر الأبيض المتوسط شمالاً كما سماه المؤرخون والباحثون سابقاً ببحر الروم، والمحيط غرباً[4].

ورغم كل هذه التعاريف و التوصيفات المتعدّدة لم نستطع تحديد حدود المغرب الأوسط بدقة، لسبب تدافع الدويلات مع بلاد المغرب الأوسط، فهذه المنطقة في بعض الأحيان تمتد وتتوسع وفي حين آخر تتقلص على حساب قوة الدولة ونشأتها، كما أنّه في عهد الدولتين الأموية والعباسية لم تتضح تسمية المغرب الأوسط فهناك تداخل في المصطلحات، أما في عهد دولة الأغالبة في المغرب الأدنى والدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط والدولة الإدريسية في بلاد المغرب الأقصى، بدأت تتضح هنا ملامح التسمية للمغرب الأوسط وحدوده التي تمتد وتتقلص جزئيا على حساب القوى العسكرية والسياسية المحيطة ، حتى في عهد الدولة الفاطمية (297هـ 567هـ / 909م – 1171م) لم تكن الحدود واضحة، ومع الدولتين الزيرية والحمادية اتضح مصطلح المغرب الأوسط وحدوده بقسميه الشرقي والغربي[5].

فمصطلح المغرب الأوسط إذن اتخذته الدولة الإسلامية عندما لم تستطع تفرقة مناطق المغرب، وكذلك مع الدولة الزيرية مما أفاد به القلقشندي في معرض حديثه عن تأسيس الدولة الزيرية قال: « وكان

---

[1] مُحَمَّد حسن، **المرجع السابق**، ص 11 .

[2] ابن عذارى المراكشيّ ، **المصدر السابق**، ج01، ص 43 .

[3] عبد الرحمان ابن خلدون، **العبر ودوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1431هـ / 2009م، ص ص 98 – 99.

[4] أمين كرطالي، **المرجع السابق**، ص 05.

[5] مُحَمَّد أمين بوحلوفة ، **المرجع السابق**، ص 35.

بلكين بن زيري صاحب إفريقية قد غلب على الغرب الأوسط سنة (369هـ / 979م) »، ثم قال: « واستولى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على العدوتين الأندلس والغرب الأقصى والغرب الأوسط»، ثم قال: « فملكه سنة (551هـ / 1156م)، واجتمع له إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى والأندلس»، أمّا الونشريسي صاحب المعيار فقال: «أما عدم هذا الوصف وهو التبريز في العدالة ، أو عزته في المنتصبين في الشهادة ممن أدركنا من عدول المغرب الأوسط وأقصى فغير بعيد»، أما تلمسان كانت تحتوي المغرب الأوسط كلها[1]، التي كانت أنا ذاك قاعدة بني عبد الواد، ومن مدن المغرب الأوسط تلمسان وبجاية وتاهرت وقسنطينة وسطيف[2].

ويتضح لنا من الاطّلاع على قدر غير يسير من أمهات الكتب التاريخية والجغرافية أن مصطلح المغرب يشمل المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى و هذه التقسيم لم يكن معروفا مع بداية الفتح الإسلامي و بداية تأسيس الدويلات الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي، بل بدأت تسمية المغرب الأوسط تتبلور مع عهد الدولة بني زيري ودولة بني حماد فمن هنا بدأة تتأسس و تستقر و تظهر الحدود الواضحة لبلاد المغرب الأوسط[3].

وقد قدم لنا عبيد الله البكري بعض مدن المغرب الأوسط مثل: مذكر أفزُونة و متيجة وسطيف وبعدهم بمرحلتين إلى المسيلة والخروج منها إلى غدر وارّوا التي سكنها بنو يغمراسن كذلك هوارة ووهران وتلمسان[4]، فكانت تلمسان تعد مملكة ثالثة من ممالك بلاد البربر التي كانت تسمى موريطانيا القيصرية، فكانت مملكة فاس تحدها من الجهة الغربية ويفصلهما نهرين، نهر زير يخرج من جبال زناكّة، أما النهر الآخر هو نهر ملوية يخرج من الأطلس الكبير، أما شرقا يحدها إقليم إفريقية حتى بجاية، فمملكة تلمسان احتوت بجاية وجزائر مزغنة وتنس حتى أن أصبحت في أيادي الأتراك[5]، فكان جزء منها الجنوبي أرضه

[1] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 161 – 164 .

[2] حسن مؤنس، **ابن بطوطة ورحلاته**، ص 33.

[3] سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي من الفتح: إلى بداية عصر الاستقلال**، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2003م، ج1، ص 48.

[4] أبي عبد الله البكري ت (487هـ / 1094م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، مصر، د سنة، ص 76.

[5] مارمول كربخال، **إفريقيا**، تر مُحَمَّد حجي، دار المعارف الجديدة، الرباط ، 1989م، ج02، ص 291.

جافة محدبة، أما تلمسان وشمالها فهي أراضٍ غنية بالقمح والمراعي تنتج فواكه كثيرة، لكنها في فصل الشتاء باردة[1].

وذكر تلمسان ووصفها بأنّها : « مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قُرّة ... وبها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا ... وجلبوا إليها الماء ... وهي قاعدة المغرب الأوسط ... ومقصد لتجار »، و بأنّه نزلها من الصلحاء «مُحَمَّد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن على بن أبي طالب ... تلمسان دار للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن آنس رحمه الله ... جنوب قلعة منيعة ... إلى مدينة نيزيل ... إلى مدينة أرشقول»[2].

أما مدينة الجزائر فتتوسط مدن شمال إفريقيا ويحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، وتتميز بسلاسل جبلية منها سلسلة الأطلس التلّي وجنوبا الأطلس الصحراوي[3]، فوصفها ابن زكور الفاسي الجزائر بمغانيها وجمالها الباهر « التي غصّ ببهجتها كل عدوّ كافر، فلذلك يتربصون بها الدوائر، في الموارد والمصادر، ويرسلون عليها صواعق لم تعهدْ في الزمن الغابر، أبر أني من غليلي و وجدي ما عاينته من روائها العسجدي، وبحرها اللاّزوردي، إذ هي كما قيل»:

بلـدٌ أعارتـهُ الحمامـةُ طوقهـاَ وكسـاهُ حلَّـةَ ريشِـهِ الطَّـاوُوس

ما شئت من حدائق ، كالنمارق، وقصور نوع المحاسن عليها مقصور، والذي أعارها ذلك المرأى الجميل، وأصارها فضيّة الصباح عسجدية الأصيل، وألحفها بهجة وإشراقاً[4].

المبحث السادس : العنصر البشري لسكان المغرب الأوسط:

1- التركيبة البشرية للمغرب الأوسط :

[1] حسن الوزان ، **المصدر السابق**، ج01، ص ص 73 – 74.

[2] أبي عبد الله البكري ت 487هـ، **المصدر السابق**، ص 76 - 77 .

[3] سيرى الجوهري، **جغرافية البحر المتوسط**، د ط، دار المعارف بالإسكندرية، مصر، 1984م، ص 276.

[4] ابن زاكور الفاسي ت 1120هـ – 1708م، **رحلة المسماة نشر أزهار البستان فمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكبار الأعيان**، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 40 .

لا تزال الدراسات الاجتماعية في بلاد المغرب الأوسط رهينة التأثيرات الأيديولوجية التي أرادت التحكّم في طابع الدراسات الاجتماعية ذات الطابع الانثروبولوجي و الاثني ، لذا توجّهت الدراسات المعاصرة في الجامعة الجزائرية إلى اعتماد مقاربات جديدة تؤسس لملامح مدرسة تاريخية تعيد بعث التاريخ الوطني في جميع فتراته خاصة الفترة القديمة منها بداية من عصور ما قبل التاريخ ، لذلك الباحث الذي يريد إطراق مواضيع تتعلّق بأصل إنسان هذه الأرض عليه أن يعتمد على المصادر القديمة و على المعطيات الأثرية و على المادة الحفرية ليتمكّن من إعادة رسم صورة الماضي كما وجدت لا كما يريدها الباحثون الموجّهون من مدارسهم الفكرية المؤدلجة أن تكون[1].

نجد في كتابة المؤرخ اليوناني هيرودوتس دراسة حول سكان شمال إفريقيا حيث قال: «إن القبائل اللوبية التي تسكن بلاد مصر وبرقة تسمى أسبوط وتتاخمها في الغرب منها نحو الصحراء قبائل أوسخير ... وتوجد بجهة فزان قبائل الغرامانت ... وبين خليج قابس قبائل ماغ ... »، وكذلك بعض المؤرخين والجغرافيين كانت لهم كتابات تلمس الطابع البشري في شمال إفريقيا، مثل: نيقولاس الدمشقي وأرتيميدورس الرهاوي عن البربر، لكن وصلتنا منهم بعض الإشارات فقط[2].

في حين قدم أهل بلاد العرب إلى بلاد المغرب الأوسط فاستوطنوا هذه المناطق واندمجوا مع البربر وقبائل شمال إفريقيا، لسبب تقارب نفس الظروف المعيشية لسكان شبه الجزيرة العربية مع نمط معيشة ساكنة شمال إفريقيا، إذ كان العرب يعتمدون على الرعي والتنقل في البوادي وكذلك وجد سكان المغرب لهم نفس نمط العيش في الجانب الحضاري، و هي القراءة التي توصّل إليها عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمته بالتفصيل عن حياه العرب والبربر وتعايشهم في بلاد المغرب الأوسط وتقبلهم فكرة الاندماج معهم، رغم أنه كانت هناك بعض الصعوبات في البداية مع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب[3].

كذلك العنصر البشري في بلاد المغرب الأوسط نفسه العنصر البشري في بلاد المغرب الأقصى وهذا راجع إلى الرابط الجغرافي المتمثل في تقارب وتلامس بلاد المغرب الأقصى مع بلاد المغرب الأوسط،

[1] مُحَمَّد أمين بوحلوفة ، **المرجع السابق**، ص 38.

[2] **المرجع نفسه**، ص 38.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة ابن خلدون**، تحقيق خليل شحادة و سهيل زكار، ط01،دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م، ص 150.

والمسافة القريبة، حيث كانت البلاد في القديم تسمى بلاد إفريقيا ثم بلاد المغرب الإسلامي ثم شمال إفريقيا بعدها انقسمت إلى ثلاثة بلدان و كلّ هذا في إطار وحدة بشرية، أما الرابط التاريخي الذي يجمع بينهم فقد تكوّن في الفترة القديمة على إثر مقاومة الاستعمار القديم ثم توطّد عشية الفتح الإسلامي لما أصبحت رقعة جغرافية واحدة وسكنها العرب و البربر جنبا إلى جنب ، أما الرابط البشري بين القطرين فيعود إلى أنّ القبائل التي استوطنت بلاد المغرب الأوسط هي نفسها التي استوطنت بلاد المغرب الأقصى، من حيث هجرة القبائل إلى شمال إفريقيا وتوسعا على كل المناطق، ومن حيث الوحدة الفقهية و الفكرية نجد أنّ الفتاوى والنوازل نفسها في شمال إفريقيا، مثل الونشريسي والمازوني والبرزلي وابن الحاج وغيرهم من الفقهاء[1].

تحدث مُحَّد أمين بوحلوفة عن عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمته بالترتيب والتدقيق في أصول البربر من حيث السكان والقبائل والبطون الذي قسمهم إلى قسمين هما:" أهل وبر" هم "سكان الخيام"، "وأهل مدر سكان بيوت"، فإذا عدنا إلى المؤرخ غوتيه الذي نقل عنه بوحلوفة فجاء بقسمين، القسم الأول: بتر هم البدو والرحل، القسم الثاني هم الحضر سكان المدينة، نقل مُحَّد أمين بوحلوفة عن ابن خلدون قال: البربر هم قسمان: أحدهم مادغيس الذي لقب بالبتر، والأخر برنس نسله البرانس، وأبوهم أب واحد، لهذا نستطيع القول أن البتر: " بنو لوا، نفزاوة، نفوسة، ضريسة، أما البرانس: أوربة، صنهاجة، كتامة، مصمودة، وكزولة أو جزولة[2].

رغم كل هذه التغيرات التي طرأت على أهل بلاد المغرب الأوسط أي البربر لم تغير طابعهم الحضاري و طابعهم المعيشي، فعندما حل العرب في بلاد المغرب اندمجوا مع أهل البلاد وعاشوا مثلهم في شتى المجالات، و حاكوهم في عاداتهم وتقاليدهم و في شجاعتهم وكرمهم حتى أن الدّارس لتاريخ بلاد المغرب لا يكاد يفرّق بين السكّان من البربر و لا من العرب لشدّة اندماجهم و تماثل أنماط معيشتهم ووحدتهم.

و إذا عدنا إلى الجانب الديني والفقهي الذي شهد توسعًا وانتشارًا داخل بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط، لسبب خصوبة بلاد المغرب الأوسط لزرع الثقافة المشرقية العربية فيها حيث تبلورت فكرة

[1] عمار بن خروف، **العلاقات بين الجزائر والمغرب (922 – 1069هـ) / (1517 – 1659م)**، ليلى الصباغ، مذكرة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1403هـ / 1983م، ص ص 335 ، 337 ، 340. أنظر / الملحق 05، ص 213.

[2] مُحَّد أمين بوحلوفة ، **المرجع السابق**، ص 38. أنظر / الملحق 06، ص 214.

التأليف والكتابات الفقهية والنوازلية ونشر المذهب المالكي هنا، إلى أن أصبحت بلاد المغرب الأوسط ملاذا يستقبل الفرق والمذاهب الفارّة من المشرق مثل: تأسيس الدولة الرستمية وفقا مرجعية المذهب الإباضي في تاهرت بالمغرب الأوسط، والدولة الأغلبية في القيروان على المذهب المالكي، والدولة الإدريسية في المغرب الأقصى على المذهب العلوي، والدولة الصفرية في سجلماسة (تافيلالت) على المذهب الصفري، والأمويين في بلاد المغرب الأوسط على المذهب المالكي و الحنفي و مذهب سفيان الثوري الذي زال، وظهور الشيعة الفاطميين و المعتزلة والخوارج، وانتشار الفتن، إلى أن عاشت هذه المنطقة صراعات وفتن، ورغم هذا بدأ التأليف الفقهي النوازلي المالكي وغيرهم، فاعتمد أهل بلاد المغرب الأوسط على الأسئلة والأجوبة من طرف الفقهاء المالكية وغيرهم لحل المشاكل المتعلقة بهم.

فمن الفقهاء نذكر البعض منهم مثل: الفقيه الونشريسي صاحب المعيار والفقيه البرزلي صاحب جامع مسائل الأحكام والفقيه المازوني صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة وابن الحاج صاحب المدخل، كذلك أصحاب المذهب المالكي كابن الفرات في المغرب الأوسط والصقلية وابن حزم في الأندلس وغيرهم من الفقهاء، وأصحاب المذهب الشافعي والحنبلي والحنفي، الذين اعتمدوا على الفتاوى من خلال أسئلة أهل المغرب لهم والإجابة من طرف هؤلاء الفقهاء الذين تمسكوا بالفقه النوازلي، ومن بعض النوازل سواء حدثت أو لم تحدث قبل، واهتمت تلك الفتاوى بمعالجة قضايا الزراعة و النشاط الفلاحي و كل نشاطات السقي وتقسيم المياه والإنتاج الفلاحي والبيوع والعقود والزواج و كل ما يتعلق بالجانب الاقتصادي و المعاملات و قضايا الأسرة و الشركات، فكان الفقه النوازلي مثل القضاء اليوم الذي يحل مشاكل المجتمع، و يعمل على إنصاف الناس في حقوقهم.

الفصل الثاني :

الأوضاع الحضارية للمغرب الأوسط خلال القرنين(7-8هـ/ 13-14)

شهدت بلاد المغرب الأوسط الكثير من التغيرات خلال العصر الوسيط بسبب ظهور الحوادث الطبيعية التي غيرت موازين قوى الدولة الزيانية و التي نتجت عنها جوائح بشرية، فتارةً تكون البلاد على استقرار وفي بعض الأحيان تسودها الفتن والحروب وتتكالب الدول عليها، منهم الدولتين المرينية والحفصية والدول الأوروبية، إذ أربكت هذه القلاقل و التدخّلات الحياة المعيشية لأهل بلاد المغرب الأوسط، وكان للجوائح الطبيعية (الزلازل، القحط، الفيضانات، الثلوج الكثيفة، الرياح العاتية، الصقيع، الجراد والحيوانات المفترسة والأمراض والأوبئة غيرها من الجوائح الأخرى) دور كبير في الأزمات التي عرفها المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط.

و إذا كانت الجوائح الطبيعية قد أفسدت الحياة البشرية بالمغرب الأوسط وهدّدت استقرارها، ونتج عنها وفيات لا حصر لها، فإنها كانت سببا مباشرا للقتل والحرابة والسرقة والاحتكار والاختلاس، ونهب أموال الناس بالباطل والتطاحن على السلطة داخل البيت السياسي زادها تأثيرا تكالب الدول الخارجية عليها من كل جهة.

المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية والدينية:

1– الأوضاع الاجتماعية:

يختلف مجتمع المغرب الأوسط من حيث تركيبة البنية الاجتماعية، مثل ما تختلف في المجتمعات الأخرى في الغرب الإسلامي و ببلاد المشرق، منها عنصر البربر الذي كان منتشرا ببلاد المغرب الأوسط منذ ما قبل الإسلام ، وهم السكان الأصليون، مثل قبائل زناتة الذين سكنوا بلاد الصحراء وجبال المغرب الأوسط، حتى أصبحت تلمسان عاصمة بني عبد الواد، وكذلك بني عمومتهم من القبائل الأخرى، و من القبائل العربية التي استوطنت بلاد المغرب الأوسط[1]، في ظروف تاريخية متباينة و على مراحل لا يسع مجال البحث لاستعراضها، والذين تحالفوا مع عرب بني زغبة، وجعلتهم زناتة عصبية قبلية

[1] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 27.

واحدة، لذلك نستطيع القول أن المجتمعات التي سكنت المغرب الأوسط هي مجتمعات أمازيغية وعربية مشرقية متحدة فيما بينها[1].

لقد تأسّست البنية الاجتماعية للساكنة على أساس قبلي متلاحم، وكانت الأسرة نواته الأولى و كانت تهتمّ و تحرص على حث أفرادها على التعليم وطلب العلم، و أخذ العلم و الفتيا عن الفقهاء والشيوخ الذين تحصلوا على الإجازة العلمية من مشايخ كبار في العلم، ولم يكتفوا بالأدب وعلم الكلام والفقه فقط بل تعلموا الرياضيات والفلسفة وعلم الفلك، و كانوا حريصين على التمسّك بالديانة و إتباعهم لفقهائهم[2]، حيث أنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيما بينهم والتنبيه على ضرورة الامتناع عن الكسب الحرام و كل المحرّمات و على الاعتماد على الكسب الحلال والتجارة الجائزة و على ضرورة معرفة أمور الصلاة والمحافظة عليها وأماكن إقامتها وغيرها من الأمور الدينية الإسلامية المشرعة من الله سبحانه وتعالى و مُحَمَّد ﷺ[3].

و إذا شئنا محاكاة الحياة المجتمعية للساكنة فبين أيدينا إشارة باكرة من ابن بطّوطة في رحلته التي قام بها إلى المغرب الأوسط، و الذي دون كل ما شهِده من أحوال الناس من حيث المعيشة والأمان الذي ساد الدولة الزيانية التي كانت عاصمتها تلمسان، والذي نظر في أحوال دار الإسلام والدنيا من شتى جوانبها، فرأى العجائب والغرائب في حياة الناس ونشاطهم اليومي[4]، إلى أن وصل قسنطينة مع رفاقه في يوم نزل فيه المطر فتبللت ملابسهم وهم نائمون في كوخٍ، فرأى الجود والكرم من أهل قسنطينة[5] في هذه الحالة، «فنظر حاكم المدينة – وهو من الشرفاء الفضلاء – إلى ثيابي وقد لوثها المطر، فأمر بغسلها في

---

[1] نبيل شريخي، **دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع هجري (14 – 15 هـ)**، رسالة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة ، الجزائر، 2009 – 2010 م ، ص 26 – 27 .

[2] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ط 02، ج 01، ص 85.

[3] أبي الأصبغ عيسى بن سهيل بن عبد الله الأسري (ت 486هـ / 1093م)، **الإعلام بنوازل الأحكام المعروف الأحكام الكبرى**، تح: نورة مُحَمَّد عبد العزيز التويجري، دار بلد، 1995، ج01، ص 745.

[4] حسن مؤنس، **المرجع السابق**، ص 31 .

[5] **قُسطينة:** جاء في تقويم البلدان، (بضم القاف وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون المثناة من تحتُ ثم نون وهاء) مما جاء عند بعض المؤرخين المتأخرين أن قبل الطاء وبعد السين نوناً وفي بعض الأحيان ضم السين وسكون النون، التي أصبحت مدينة أزلية من المغرب الأوسط في أواخر الإقليم الثالث، أما ابن سعد قال إن الطول ستٌّ وعشرون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثُ وثلاثون أما في تقويم البلدان (وهي على آخر مملكة بجاية وأول مملكة إفريقيةَ. أنظر / أبي العباس مُحَمَّد القلقشندي، **المصدر السابق**، ج 05، ص 110.

داره، وكان الإحرام منها خلقاً، فبعث مكانه إحراماً بعلبكياً، وصرَّ في أحد طرفية دينارين من الذهب، فكان ذلك أول ما فتح عليَّ به في وجهتي»[1].

فمن بين عاداتهم وتقاليدهم التي وقف عليها خروج النساء يوم المناسبات وفي أيام الزواج والولادة إلى الحمامات الخاصة بهم، وفي بعض الأحيان يذهبن إلى الحمامات الخاصة بالنساء في النهار والرجال في الليل، و كنّ يرتدين ألبسة نقية وجميلة وأنيقة، مثل ما تميز به الرجال في لباسهم من نوعية جيدة يلبسها سكان الحضر، أما سكان البوادي فتميزوا بلباس خشن وجميل مصنوع من الصوف والكتان، و الأغنياء يلبسون لباسا من القطن والحرير والكتان والصوف ذو نوعية رفيعة وجلود الأغنام العسلية[2].

يعتبر القرن السابع الهجري/ 13م) من أسوء القرون، حيث تميز بالأزمات ووصف بقرن الكوارث، حيث أتى فيه الطاعون الأسود الذي اجتاح بلاد المغرب الأوسط وأوروبا ابتداءً من سنة (749هـ / 1348م) بعد أن توفي ثلث سكان المغرب الأوسط ، فهذا الوباء تحدث عنه الفقهاء والباحثين من أنّه يولد من المجاعة المفرطة التي كانت دائما تظهر بعد الجفاف، فانحباس المطر يتسبب في المجاعة وظهور الوباء يعني أنها جوائح طبيعية مترابطة، مثل مجاعة سنة (303 – 305هـ / 915 – 917م) وسنة (776هـ – 778هـ / 1374 – 1376م) لأن المجاعة دامت حوالي ثلاث سنوات[3]، فكانت الجثث متناثرة في كل مكان وكثرة الموتى، و خلف هذا الوباء خسائر كثيرة، لم تسلم منها الحيوانات، لذلك سمي بالطاعون الجارف.

وقد وصفه عبد الرحمن بن خلدون بقوله: «... نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف، الذي تحيف الأمم، وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرًا من محاسن العمران ومحاها، وجاء لدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها، فقلص من ظلها وفلّ من حدّها، وأوهن من سلطانها»[4].

---

[1] حسن مؤنس، **المرجع السابق**، ص 34 .

[2] نبيل شريخي، **المرجع السابق**، ص 33.

[3] خالد بالعربي، **المجاعات والأوبئة في تلمسان في العهد الزياني(697 – 845هـ / 1299 – 1442م)**، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، دورية كان التاريخية – العدد الرابع – يونيو 2009، ص 20.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون، **المقدمة**، ص ص 42-43.

وكانت بلاد المغرب الأوسط من بين البلدان التي تعرضت للمجاعة في كل زمن خاصة خلال القرنين (07هـ و 08هـ / 13م و 14م)، فهذه المجاعة كانت سببا من بين الأسباب التي خلّفت الوباء.

فمن هذه الأسباب التي جعلت الوباء متركزا في هذه المنطقة نجد أنّها تنشأ عن النزوح الخارجي إلى المنطقة واللعب بالتراب والأوساخ ومن عدم النظافة واختلاط الناس بالحيوانات وغيرها من الأسباب، أما الأمراض التي كانت من داخل بلاد المغرب الأوسط فمنها: مرض البلعوم المتمثل في التهاب الحلق والذبحة والنزلة الصدرية والدماميل والأورام والقرحة وصداع الرأس ومرض المعدة والأمعاء وألم النسا ومرض الزهري وداء الفرنج ومرض الدماس الذي قتل السلطان عثمان بن يغمراسن سنة (703هـ / 1203م)، ومرض النقرس وأمراض الخرانيق ومرض القولنج، والأمراض النسائية والتوليد[1].

ومن الأمراض التي تحدث عنها حسن الوزان في بلاد المغرب الأوسط نذكر منها: القرع الذي يصيب الرؤوس، وصداع الرأس، وألم الأسنان، وألم المعدة والقلب، والإسهال المعوي، و عرق النسا، ومرض النقرس الذي يمس الملوك لشربهم الخمر، والجرب والسعال، وداء الإفرنج الزهري، والقرحة المعدية، والبرص، ومرض انتفاخ الخصيتان، ومرض الأعصاب والمس بالجن، ودمل الطاعون، والوباء[2].

أما الأمراض والعيوب التي ذكرها الونشريسي في تأليفه المعيار كثيرةً منها: « الجنون، والجذام، والبرص، والفالج، والقطع، والشلَل، والعمي، والعور، والصمم، والخرس، وبياض العين، والحدب، ...، والبول في الفراش، ...، والظفرة، والفتل في العين أو إحداهما، ...، وسواد الأب»[3].

رغم هذه الأمراض والوباء الذي لازم أهل البلاد وقتل العباد، فقلّ من نجى من هذه الجوائح المتكررة على مدار السنة أو التي تأتي في بعض الأحيان، فأهل بلاد البربر أو بلاد المغرب الأوسط ذات بنية قوية مقاومة لأي خطر جائر عليهم، و كان معدّل أعمارهم يتراوح ما بين 65 عاما إلى 70 عاما وسكان الجبال الذين كان منهم من يصل عمره إلى مائة عاماً، وتميز شيوخهم بالقوة والصلابة حتى نافسوا

[1] عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، رغاية، الجزائر،2002، ج01، ص ص 243 -245.
[2] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ط 02، ج 01، ص ص 83 – 84 - 85.
[3] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 06، ص ص 48 – 49.

الشباب في الحروب والقتال والمصارعة، أما سكان نوميديا فتميزوا بسقوط أسنانهم لسبب كثرتهم لأكل التمر وإضاعة بصرهم لسبب زوبعة الرمال المتكررة في جل الأوقات[1].

إضافة إلى ذلك نسجّل بعض الأمراض المتعلقة بالدواب والحيوانات وهي في نفس الوقت يراها الإنسان عيوب تمسّ بصحّة الحيوانات و الأنعام يجب ذكرها عند البيع و الشراء و عقد الشركات و الإجارة و غيرها نذكر منها مما ذكره الونشريسي و هي: «فالنفار في الفرس إذا كان مفرطاً، والحران، وقلة الأكل والانتشار وهو انتفاخ العصب والشظر وهو عظّم ناتئ في الذراع، والجرد، ...، وتبذير العلف، والغامد ذكره، ...، وفي الأضحية توجد بعد ذبحها عجْفاء اضطراب »[2].

إن بلاد المغرب الأوسط تعرضت للعديد من الجوائح الطبيعية علاوة عن المجاعات والأوبة التي تعرضت إليها تلمسان في العهد الزياني كذلك العواصف البردية الشديدة والرياح العاتمة القوية التي أتلفت المحاصيل الزراعية وقتلت البهائم والإنسان لشدتها، فكانت هذين الجائحتين تظهر في جل أوقاتها في فصلي الربيع والخريف، فهذه الرياح القوية دائما تأتي بالبرد القارس والجليد الدائم الذي أتلف المحاصيل الزراعية وأحدث المجاعة مثل مجاعة سنة (776هـ / 1374م) بالمغرب الأوسط[3].

وأضاف ابن خلدون مبيّنا تأثير الوباء على السّاكنة «...وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها، وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل، والمعالم، وخلت الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل، وتبدّل الساكن، وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب الأوسط ، لكن على نسبته ومقدار عمرانه، وكأنما نادى لسكان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة»[4].

وقد دام أثر الوباء لسنين طويلة ذلك أنّه تمكّن ما بين سنتي (747و748هـ / 1346 و 1347م) فانتشر هذا الوباء المسمى بالطاعون الجارف الذي فتك بالناس[5]، وقد راح في جرائه خلق كثير، حيث توفي

[1] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ط 02، ج 01، ص 82.
[2] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 06، ص ص 49 – 50.
[3] خالد بلعربي، **المرجع السابق**، ص 20.
[4] عبد الرحمان ابن خلدون، **المصدر السابق**، ص 406.
[5] عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ص 251.

جراء هذا الوباء الجارف أناس تناثرت جثثهم في كل مكان[1]، فهذا الوباء الجارف انقرضت منه جماعات كثيرة منهم عائلة التفريسي سنة (750هـ / 1349م)[2]،حيث هلكوا منه وباءت أنفسهم بالبؤس والكراهية من خوفهم من الموت الموجود في كل مكان[3].

اعتمد أطباء وأهل بلاد المغرب الأوسط على بعض الأدوية لهذه الأمراض منها: الدواء المستخرج من النباتات واللقاح والفصد، واستعملوا الأشربة والغرغار والأدهان والفلفل والتبوع والبتوع اللبد والعشاري وحب الزنم وحب العروس ومرق الشربة بالدجاج والحجامة وشراب الأرجوان، فهذه الأدوية كانت تقدم في بيمارستان المدينة أو مستشفيات القرى وتعالج فيه المرضى بهذه الأدوية، وهذه المستشفيات كانت تعالج فيها أهل البلاد وكذلك الغرباء الذين يتقدمون إليها من بلدان أخرى[4].

فمن بين الأطباء الذين أشتهرُوا في بلاد المغرب الأوسط نذكر البعض منهم: " أبو القاسم مُحَّد بن أبي القاسم الحكيم التلمساني، أبو عبد الله مُحَّد بن أبي جمعة التلاليسي، مُحَّد بن على بن قشوش، موشى بن صمويل بن يهود الإسرائيلي، وأبي إسحاق إبراهيم بن مُحَّد التلمساني الثغري الطبيب، والفقيه الصالح مُحَّد بن يوسف السنوسي، الفقيه أبي الفضل المشذالي التلمساني، أبو عبد الله المالقي المتطبب، داوود عبد الله البغدادي و التلمساني، الفقيه أبو الفضل مُحَّد بن إبراهيم بن عبد الرحمان"[5].

ومن بين هذه الجوائح التي مست بالكيان المجتمعي و بالغطاء النباتي في بلاد المغرب الأوسط، الآفات الحشرية منها الجراد الذي كان ينتقل من بلاد الهند إلى بلاد المغرب الأوسط على شكل أسراب متتالية سرب تلوى الآخر، حيث قضى على الأخضر واليابس وأكل المحاصيل الزراعية التي كان أهل بلاد المغرب الأوسط يعتمدها كمصدر غذائي أولي، فتوالى هذا الجراد على البلاد عاما تلو الآخر مثل سنة (624هـ / 1227م) ثم سنة (630هـ / 1233م) إلى غاية القرن التاسع هجري يأتي حوالي كل أربعة سنوات[6].

[1]أبي عبد الله مُحَّد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، 2008، ص 50.
[2] عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ص 252.
[3]أبي عبد الله مُحَّد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، 2008، ص 50.
[4]عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ص 246.
[5]**المرجع نفسه**، ص ص 247 – 250.
[6]خالد بالعربي، **المرجع السابق**، ص 21.

ومن بين الجوائح الطبيعية الأخرى نذكر: الجفاف والمجاعات والقحط والزلازل والأعاصير والجراد وغيرها من الجوائح الطبيعية التي حلت ببلاد المغرب الأوسط، ومنها: غلاء الأسعار والجفاف وانتشار الجراد والقحط الذي ضرب سنة (617هـ / 1220م)، والجراد الذي حلّ بالبلاد سنة (624هـ / 1227م)، والغلاء سنة (630هـ / 1233م)، ومجاعة عظيمة سنة (776هـ / 1374)، ففي ظل هذه الأحداث البائسة فتحت الدولة مخازنها أمام مواطنيهم مثل ما كان يفعله جل حكام الدولة الزيانية، أما الفقهاء والأئمة والعلماء ينشرون الراحة و الاطمئنان في نفوس الناس بأنها ستنتهي هذه الأزمات وتعود البلاد إلى طبيعتها وتقديم كل المساعدات للناس أجمعين، أما الأطباء فكانت مهمّتهم تتمثّل في البحث عن الأدوية واللقاح للخروج من هذه الأزمات[1].

و رغم هذه الأسباب الموضوعية التي تقف وراء التدهور الظرفي للاقتصاد الزراعي إلاّ أنّ الدراسات الاستشراقية و خاصة الفرنسية منها تصرّ على أنّ تدهور الاقتصاد يعود إلى آثار الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب و تأثيرها المباشر في تحوّل الاقتصاد من اقتصاد زراعي منتج إلى اقتصاد رعوي يكبح تنوّع الإنتاج و يعيق حركية الاقتصاد فيرى إ ف قوتييه Geutier E.F أن هجرة وانتشار قبائل بني سليم و بني هلال في بلاد المغرب الأوسط هي التي تقف وراء حالة التردّي الاقتصادي و تأخّر العمران و انكسار المدنية و الحضارة[2] .

2– الأوضاع الدينية:

رغم صعوبة و ارتباك المشهد السياسي فقد شهد النصف الثاني من الفترة الوسيطة في بلاد المغرب الأوسط حالة من التديّن لدى السكان سواء من العامة أو من طبقة العلماء و الفقهاء و الوجهاء و خيرة القوم، تشهد بذلك المدوّنات الفقهية و النوازلية و كتب المناقب و سير الصلحاء و الفقهاء و المتصوّفة من أمثال كتاب "البستان "لابن أبي مريم و كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " ، و "طبقات المشائخ " بالمغرب للدرجيني و غيرهم من المصادر التي تدل على

[1] عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ص 254.

[2] E.F.Gautier,**le passé de l'Afrique du nord** , petite bibliothèque payant, Paris, 1952 ,p 368.

شيوع هذا المنحى التعبّدي و هذه النزعة الروحية في فقه تزكية النفس التي شاعت و تنافس في إدراكها طبقات الشيوخ و العلماء.

وقد شهدت الفترة الثانية من الفترة الوسيطة تنافسا كثيفا لظهور المدونات الفقهية و النوازلية في بلاد المغرب الأوسط خصوصًا و الغرب الإسلامي عموما، و شهد حركة تبادل سلس للفتاوى و مختلف المعارف الدينية التي زاد من سهولتها استقرار الفقه التشريعي الذي يعتمد على المذهب المالكي كأساس مرجعي ثابت مستقر موحد لكلّ بلاد الغرب الأوسط.

عاشت بلاد المغرب الأوسط وضع ديني فيه بعض الاختلاف من منطقة أو مدينة إلى أخر، على حسب تركيبة السكان بها وأصلهم، فمن بعض المظاهر نذكر ظاهرة ذبح الدجاج في يوم مميز عندهم وهو يوم عاشوراء، وكذلك احتفالهم بعيد الفطر وعيد الأضحى، وعندهم ليلة السابع والعشرين من شهر رجب يعتبرونها ليلة الإسراء والمعراج[1].

المبحث الثاني: الأوضاع الفكرية والثقافية:

1– الأوضاع الفكرية والثقافية:

تعتبر مدينة تلمسان ذات مركز إشعاع علمي وهي مركز عاصمة الدولة الزيانية، التي تشبعت بالعلوم من بلاد المشرق العربي الإسلامي وبلاد الأندلس، فكانت الثقافة والعلم على قدر مهمّ من الازدهار في بعض الأحيان تبعا السلطان الذي يحقق الأمن والاستقرار، لأن الحكام الزيانيين كانوا يهتمون بالعلم والعلماء، ويوقرونهم ويوفرون لهم مكانة تليق بهم، وفي بعض الأحيان تنتشر الحروب والصراعات مع الدول المجاورة والمسيحية التي تخلف سلبيات منها توقف العلم لسبب ابتعاد العلماء عن طلب العلم وقتل العلماء وحرق كتبهم وقتل طلبتهم[2].

فيذكر لنا حسن مؤنس من مدونة ابن بطوطة من خلال رحلته مظاهر الرقي الفكري و الثقافي لبلاد المغرب الأوسط بداية من منتصف الفترة الوسيطة ، و تحدّث عن بناء المساجد والزوايا والكتاتيب والربط ونزول الفقهاء والعلماء من بلاد الأندلس والمغرب الأقصى والمغرب الأدنى والمشرق إلى تلمسان إلى أن

[1] نبيل شريخي، **المرجع السابق**، ص 33.

[2] عبد العزيز فيلالي، **المرجع**، **السابق**، ج01، ص 319.

أصبحت حاضرة علمية، وذلك كله بفضل أبا تاشُفين عبد الرحمان بن موسى بن عثمان بن أبي يحي يغمراسن بن زيان من أجل تبريره لمقتل أبيه موسى بن عثمان، وكذلك قام بترميم وتجديد جامع يوسف بن تاشُفين الذي يعرف بجامع تلمسان[1].

ومما جاء عند حسن مؤنس من حديث ابن بطوطة والذي قدما لنا صورة عن المكانة العلمية لتلمسان أنه وفد على تلمسان رجلان أرسلهما أبي يحي بن أبي ضربة بن أبي زكريا بن اللّحيان أمير الدولة الحفصية، الذي أصبح خليفة على الدولة الحفصية بعد تدهور الأوضاع في عهد أبيه وجده، ففي الفترة التي حكمها ازدهرت وقويت شوكته بعد انتصاره على لويس العاشر حاكم فرنسا، فهذان الشخصان منهما فقيهٍ وقاضٍ من رفقة ابن بطوطة، فعند وصولهم إلى بجاية نزل القاضي عند قاضي البلد أما الفقيه نزل في بيت أحد الفقهاء، أما ابن بطوطة فترك وحده إلى أن أصابته الحمى فذهب لزميله القاضي أبي عبد الله الزبيدي الذي كان تاجراً[2].

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية و العسكرية:

1– الأوضاع السياسية و العسكرية:

شهدت بلاد المغرب الأوسط الكثير من التغيّرات السياسية والعسكرية والحضارية المتباينة بين الاستقرار حينا و بين حال اللّأمان في حالات أخرى ، فمنذ مرحلة متقدّمة من تاريخ المغرب الأوسط و في النصف الأوّل من العصر الوسيط انتهجت الدولة العبيدية سياسة التغلغل في بلاد المغرب الإسلامي من أجل القضاء على دولة الأغالبة في القيروان والدولة الرستمية في المغرب الأوسط بتاهرت سنة (296هـ / 908)، ثم جاء دور الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى في مدينة فاس سنة (311هـ / 923م)، التي اندثرت بعد وفاة الحسن بن كانون أخر ملوكها سنة (375هـ 985م)، فمحت الدولة العبيدية أثرهم في بلاد المغرب الإسلامي حتى أن وصل نفوذها إلى بلاد الأندلس.

وبعد هذه الفتن تظهر الملوك والسلاطين والأمراء من العصبية القبلية من المصامدة وصنهاجة مثل ما أفاد به ابن الخطيب (776هـ / 1374م) «وكانت الريّاسة من صنهاجة إلى الأمير زيري بن منّاد، وكان

[1] حسن مؤنس، **المرجع السابق**، ص 32 .

[2] **المرجع نفسه**، ص 32 .

أوّل من ظهر منهم بالمغرب الأوسط، فقاد الجيوش وعقد الألوية وخطب له على المنابر، وهو الذي بنى مدينة أشير وإليه تنسب»[1].

و قد أفاد ابن خلدون عبد الرحمان في جملةً شاملة توصّف السياسة العامة في بلاد المغرب الإسلامي أنّه «صار ملك المغرب بعد الأدارسة لبني أمية بعد الأندلس، فولّوه بني خزر المغرويين من زناتة القطر المغربي، فتوارثوه إلى أن قتل المرابطون تميم بن معصر سنة (461هـ / 1068م)، فانقرضت به أيام بني خزر من المغرب، وصار ملكه لمتونة ومن بعدهم صار ملكهم للموحدين»، إلى أن نشأت الدولة الزيانية في المغرب الأوسط في تلمسان[2].

و أصبحت تلمسان عاصمة للدولة الزيانية في بلاد المغرب الأوسط بعد أن دام الصراع بين بني مرين وبني زيان لمدة طويلة التي أدت إلى عدم الاستقرار الأمني والسياسي والاقتصادي خاصة في مدينة تلمسان[3]، ففي العهد الزياني الذي كان من (633هـ – 962هـ / 1235م – 1554م)دارت أحداث كثيرة سبقت هذه الحقبة و أفضت إليها، مثل: معركة العقاب (609 هـ / 1212م) التي كانت في الأندلس العدوة التي شهدت حروبا صليبية باكرة أثّرت في بلاد المغرب عموما بسبب الارتباط الحضاري الوثيق لكياناتها السياسية سلبا و إيجابا.

ومن هذا الحدث الذي جعل ضعف دولة الموحدين واعتلائها حكام ضعفاء و ولّو بني عبد الواد على تلمسان، فعندما حكم جابر بن يوسف عم يغمراسن تلمسان، أعلن الولاء والطاعة للمأمون خليفة الموحدين، ففي سنة (627هـ / 1229م) أصبح بني عبد الواد سادة تلمسان وبداية تأسيس دولتهم، وبعد وفاة جابر بن يوسف خلفه ابنه الحسن فسارت الأمور إلى أن آل الحكم إلى أخيه عثمان (630هـ – 631هـ / 1233- 1234م)، ثم انتقل الحكم إلى ابن عمه زيدان بن زياد سنة (631هـ –

[1] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 150 .

[2] **المرجع نفسه**، ص 151 – 152 .

[3] أبي عبد الله محمّد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، ص 43.

633هـ / 1234 – 1235م)، ثم إلي يغمراسن (633هـ / 1235م)، فقام بجعل تلمسان إمارة له على حساب دولة الموحدين التي ضعفت شوكتها[1].

نشأت الدولة الزيانية على حساب الدول الموحدية بعد أن كانت الدولة الموحدية متوسعة بقوتها من برقة شرقا وتخوم أوروبا شمالاً وبلاد الأندلس غرباً وبلاد الصحراء جنوبا، التي حمت الإنسان والدين الإسلام وبيت المقدس، إلى أن دارت الأحداث لغير صالحها بداية من (609هـ / 1212م) معركة العقاب[2]، حتى سنة (633هـ / 1236م) التي أصبح أبو يحي يغمراسن حاكم على بلاد تلمسان، ودارت الكثير من الأحداث والحروب بين الموحدين وبني عبد الواد بقيادة يغمراسن، حيث أن القبائل التي ساندت بني زيان هم: بني وسين، أولاد منديل، كومية، بني يلومي، بني مانو، بني تغرين، هوارة، وازداجة، بني ورنيد، وجديجين وقبائل بني هلال[3]، فبعد مساندة هؤلاء القبائل سارت الأمور لصالح يغمراسن، وفي بعض الأحيان تعود الأمور بالسلب عليه، إلى أن توفي يغمراسن سنة (681هـ / 1284م) بوادي شلف مليانة، وهو في استقبال خطيبة ابنه بنت السلطان أبي إسحاق إبراهيم الحفصي، فولى بعده ابنه أبي سعيد عثمان بن يغمراسن الذي اشتهر باستخدام نظام الجاسوسات في البلاط المريني، ورغم هذه السياسة التي انتهجها فقد أربكت قوّته المضايقات من المرينيين وشنّوا عليه العديد من المعارك وحاصروه لمدة من الزمن[4].

يذكر الفقيه ابن مرزوق الخطيب أن الحروب الدائمة في بلاد المغرب الأوسط بمدينة تلمسان على دولة بني زيان في سنة (698هـ / 1298م) كانت سببا في انتشار الرعب والخوف والجوع وغلاء الأسعار لسبب الحروب والحصار الذي دام عليها مدة طويلة، «فكانت مدة هذا الحصار الأكبر والخطب الشديد ثماني سنوات وثلاثة أشهر وخمسة أيام، بلغ فيها عدد موتى أهل تلمسان قتلاً وجوعًا وزهاء مائة ألف

[1] رحيمة بوساق، **دور المكتبات في نشر العلوم بالمغرب الأوسط تاهرت الرستمية (2 – 3 هـ / 8 – 9 م) وتلمسان الزيانية (8 – 9هـ / 14 – 15م)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمّد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2017 – 2018م، ص هـ و .

[2] عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ص 13.

[3] **المرجع نفسه**، ص 17. أنظر / الملحق رقم05، ص 213.

[4] **المرجع نفسه**، ص24.

وعشرين ألف، وثمن صاع قمحهم إلى دينارين وربع الدينار، وصاع شعيرهم إلى نصف ذلك»[1]، فنذكر بعض تواريخ المعارك التي انهزم فيها الزيانيين من طرف المرينيين.

شنّ السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني عدة حروب ضد بني زيان في مدينة تلمسان فالمقاومة الأولى سنة (689هـ / 1290م)، والثانية سنة (695هـ / 1296م) والثالثة سنة (696هـ / 1297م) والرابعة سنة (697هـ / 1298م) والخامسة (698هـ / 1299م)[2]،

نرى في قول ابن خلدون ومن كتاب المناقب المرزوقية آثار الحروب والحصار على مدن المغرب الأوسط وخاصة مدينة تلمسان، و التي زاد من تدهور الأوضاع فيها توالي الخوف و انتشار والجوع حيث يذكر: «فكان ثمن مكيال القمح الذي يسمونه البرشالة ويتبايعون به مقداره اثني عشر رطلا، نصف مثقالين ونصف من الذهب العين، وثمن الشخص الواحد من البقر ستين مثقالً، ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصف»، لذا يدل قوله على أن الحصار الذي شنّه بني مرين على مدينة تلمسان جعل الناس يأكلون الجيفة ولحم البغال والحمير والقطط والفئران حتى أنهم أكلوا لحم الموتى منهم، حيث غلت الأسعار وقلَّ الغذاء وضاقت أحوالهم[3].

وبعد هذه الحملات العسكرية المرينية على مدينة تلمسان، والحصار الطويل عليها هلكت حوالي مائة وعشرين ألف نسمة حتى سنة (703هـ / 1303م) توفي فيها السلطان التلمساني عثمان بن يغمراسن، بعد أن تولى ابنه أبي زيان عثمان الذي قاوم في هذا الحصار الغاشم المدمر الهالك الذي أكل فيها سكان تلمسان الجيفة وأشلاء بعضهم البعض حتى سنة (707هـ / 1307م) التي تم فيها فك الحصار بتلمسان لسبب مشاكل السلطة في مراكش إلى أن عاد يوسف بن يعقوب المريني إلى مراكش، و بدأ أبو زيان وأخوه أبي حمو في ترتيب الدولة من جديد إلى أن توفي أبو زيان في شوال سنة (707هـ / 1307م)[4].

[1] أبي عبد الله محمّد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، ص 46.
[2] عبد العزيز فيلالي،**المرجع السابق، ج01**، ص 27.
[3] أبي عبد الله محمّد بن مرزوق التلمساني، **المصدر السابق**، ص 46.
[4] عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق، ج01**، ص 28.

فبسبب هذه الحروب التي نشبت بين الزيانيين والمرينين والحفصيين التي دامت لسنوات، نتج عنها الدمار والخراب والتخلف والجوع الذي يخلف الأمراض والوباء على ممر هذه الحروب القائمة بينهم، ففي هذه الحالة يتوقف الناس عن النشاط الفلاحي من مزارع وبساتين، التي تمثل المصدر العيش الأولي المعتمد عند أهل بلاد المغرب الأوسط، مثل الحملات التي قادها الحاكم المريني الملقب بأبي سعيد عثمان بن يعقوب بين سنتي (710 – 731هـ)[1]، التي كانت نتيجة الخلاف الذي كان بينه وبين أبي حمو موسى الأول الحاكم الزياني خليفة أخوه أبي زيان الذي توفي سنة (707هـ / 1307م)، فحكم الدولة الزيانية 11 سنة بين سنتي (707 – 718هـ)، وانهزم فيها السلطان المريني على مشارف تلمسان، ومن هذه الحروب نتجت مجاعة دامت لسنوات من احتكار السلع والتوقف عن الفلاحة والغلاء المنتشر في الأسواق وفرض الضرائب والجبايات على المواطنين من أجل رفع قواعد الدولة وتسريح العمال من المزارع ودور الحرف وتوقف تجارتهم لفقدانهم لسلع والخوف في الطرق التجارية[2].

تعتبر سلطة أبي حمو موسى الأول (707 – 718هـ / 1307 / 1318م) النقطة الحاسمة وبداية المرحلة الجديدة التي دخلتها الدولة الزيانية من هدوء وأمن واستقرار، بسياسته المهادنة بينه وبين السلطان أبي ثابت عامر المريني (706 – 708هـ / 1306 – 1308م) من أجل بناء وتشييد الدولة الزيانية، فأعاد البلاد إلى قوتها واستقرارها واسترجع أملاكه الشرقية حتى بجاية والغربية حتى نهر ملوية، فوسع بلاده وجهز دولته حتى سنة (718 هـ / 1318م) غدره ابنه العاق أبو تاشفين الأول عبد الرحمان بن أبي حمو فقتله ودفنه في القصر القديم ثم عقد البيعة وولي على قومه[3].

بعد أن سار الرحالة ابن بطوطة من أجل التجول وتحرير أوضاع المجتمع الإسلامي، الذي كان في يوم (الخميس 02 رجب 725 هـ / 05 جوان 1326 م) خرج هو وأصدقائه مع قافلة الحجاج، فتوقف عند بني عبد الواد أو بني زيان الزناتيين الذين اتخذوا تلمسان عاصمة لهم، فقاموا بالسيطرة على الجزء الغربي الذي يمتد من نهر ملوية إلى مدينة وهران للمغرب الأوسط، وهذه الأسرة العريقة التي استطاعت أن تحكم من سنة (633 – 956هـ / 1236 م /1550 م) حوالي ثلاثة قرون وربع، التي حكمها موسى بن عثمان بن أبي يحي بن يغمراسن بن زيان، إلى أن تمكن ابنه أبا تاشُفين عبد الرحمان أبي حمو

[1] خالد بالعربي، **المرجع السابق**، ص 21.

[2] **المرجع نفسه**، ص 21.

[3] عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ج01، ص ص 40– 41.

موسى بن عثمان بن أبي يحي يغمراسن بن زيان من قتله، فاستولى على العرش بالمكيدة المدبرة منه لأبيه سنة (718هـ / 1318م)[1].

ورغم هذا الاستقرار لمدينة تلمسان وفي بعض الأحيان تتدهور الأوضاع لسبب الحروب الناشبة بينها وبين الدويلات المجاورة لها منها الدولتين الحفصية والدولة المرينية وكذلك الجوائح الطبيعية التي عكّرت مسار الدولة الزيانية إلى النهوض كقوة والاستقرار الدائم والثابت لها، فحدودها دائما في تقليص وامتداد، أما جهتها الغربية التي أثبتها قائدهم يغمراسن، أما الجهة الشرقية فحاصرها كل من يغمراسن وأبي حموا الأول وابنه أبي تاشفين الأول إلى أن استحوذوا على كل المدن حتى مدينة تونس، وفي عهد زعيمهم أبي تاشفين (718هـ – 737هـ / 1318م – 1337م) الذي قام بالعديد من المقاومات وكانت أراضي دولته في حالة توسع وتقلص إلى أن تراجعت الحدود إلى مدينة بجاية[2].

فعندما نستنطق هذه الأحداث التاريخية التي دائما يذكر فيها الصراع داخل الأسرة الزيانية والصراع الخارجي الذي يقع بين الدولة الزيانية والعدو المجاور لها المتمثّل أساسا في الدولتين الحفصية والمرينية وتكالب الدول الأوروبية عليهم، فهذه الصراعات التي نتج عنها الفشل وعدم الاستقرار والخوف والمجاعة والحصار الذي طرأ على مدينة تلمسان من طرف الحفصيين والمرنيين، فقلّص حدود المغرب الأوسط، ففي سنة (731هـ / 1331م)، تربع أبو الحسن بن أبي سعيد المريني على عرش الدولة المرينية، مع بني حفص أصهاره، وأهل بني زيان أعدائه، الذي يهدد الكيان الزياني ويطالب أبا تاشفين الزياني من إيقاف الحصار على الحفصيين، لكن لم يخضع له أبا تاشفين وضل الحصار عليهم وهاجم المرينيين من جهة أخرى[3].

ففي هذه الفترة دام الصراع والحرب بن المرنيين والزيانيين لمدت طويلة والحصار الذي دام 30 شهراً على تلمسان حتى سنة (737هـ / 1336)، فقتل أبا تاشفين وأولاده ووزرائه داخل عاصمته في (27 رمضان 737هـ / 11 – ماي – 1337) من طرف أبي الحسن السلطان المريني بعد أن قتل أخيه ثم جاء لحصار تلمسان، ثم حكم تلمسان بنو مرين لمدة 12 سنة، ففي هذه الفترة استغل أبي الحسن

[1] حسن مؤنس، **ابن بطوطة ورحلاته** ، ص 31.

[2] عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ج01، ص 44.

[3] **المرجع نفسه**، ج01، ص 45.

المريني ابن سعيد وابن ثابت ابني عبد الرحمان ابن يغمراسن في فتح تونس إلى أن كان الفتح التام لتونس سنة (748هـ / 1347م)، حيث ترك ابنه أبو عنان نائبه على تلمسان[1].

عاشت تلمسان حصارا من طرف المرينين حتى سنة (749هـ / 1348م) استعاد فيها أبا ثابت وأبا سعيد سيادة الدولة الزيانية كما فعله أبي حمو موسى الثاني سنة (760هـ / 1359م) من استرجاع ملك آبائهم[2]، فواصل أبو الحسن المريني الفتح في تونس فثار عليه أحمد بن عثمان بن أبي دبوس سنة (750هـ / 1349م) الذي انظم إليه أبو ثابت وأبو سعيد فهزم جيش أبو سعيد وقتل، فعاد أبو عنان ابنه إلى فاس بصفته الوريث الشرعي لأبيه، وعاد الأميران مع جموع من الزيانيين إلى مدينة تلمسان فقاتلوا المرينيين في طريقهم حتى انتصر الزيانيين على المرينيين وعينوا أبا سعيد أميرا لهم[3].

أما أبا ثابت فقد عيّن قائدا عليهم حيث هزم عسكر الناصر بن أبي الحسن في شلف سنة (751هـ / 1349م) وأخضع كل القبائل، وأعاد هيبة الدولة الزيانية واستقرارها سنة (752هـ / 1351م) عاد أبا ثابت إلى تلمسان بعد أن أخضع كل القبائل المناوئة والمعارضة لحكمه وحكم أخيه أبا الحسن، حتى سنة (753هـ / 1352) تغيرت الأوضاع[4]، بعد أن توفي أبي سعيد السلطان الزياني في معركة بوجدة سنة (753هـ / 1352م) من طرف السلطان المريني أبو عنان، أما أبو ثابت فقد فرّ من المعركة إلى المغرب الأوسط من أجل تجمع القبائل عليه وتكوينه جيش من جديد، فبقي حوله أبو زيان مُحَمَّد بن سعيد وأبي حمو موسى الثاني و وزيره يحي بن داود، ففرو إلى بلاد تونس فتلقوا العديد من العراقيل والمشاكل في طريقهم حين وقعوا في أسر السلطان الحفصي فقتل أبا ثابت و وزيره[5].

رغم كل الصعوبات التي تلقاها أمراء الزيانيين إلاّ أنّ أبي حمو موسى الثاني شكل جيشه مع السلطان الحفصي، وبعد عيد الفطر سنة (759هـ / 1358م) عاد إلى بلاد المغرب الأوسط، ففي يوم الأربعاء

[1] **المرجع نفسه**، ج01، ص ص 46 / 47.
[2] **المرجع نفسه**، ج01، ص 19.
[3] **المرجع نفسه**، ج01، ص 48.
[4] **المرجع نفسه**، ج01، ص 50.
[5] **المرجع نفسه**، ج01، ص 51.

ثمان من ربيع الأول سنة (760هـ / 1359م)، دخل السلطان أبو حموا مدينة تلمسان وعاد لحكمه وعادت البلاد لحريتها فحكم حوالي 30 سنة، الذي قام بالعديد من المعارك ضد المرنيين[1].

أفاد ابن فضل الله العمري ت (749هـ / 1348م)أن مملكة بجاية ومملكة تدلس وكذلك من مدن المغرب الأوسط، شرشال ومليانة و هذا التوصيف يدلّ على عظمة المدنية وقوّة حضارتها المادية و الثقافية ، أما ابن خلدون فيدقّق في حالة التدافع التي ميزت العلاقات ما بين القبائل لما أخبرنا عن النفاق السياسي للقبيلتين "رياح وزغبة" التي كانت تسبب الصراع داخل البيت الزياني بين أبي حمّو وابن عمه أبي زيان الذي وصفهم« ونجم النفاق في سائر أعمال المغرب الأوسط» ، كذلك قال «واشتعل المغرب الأوسط نارًا»[2]، فكانت الفتنة داخل البيت الزياني بكل أشكالها من قتل وتفكيك إلى أن وصل بهم الأمر إلى الحرب والحصار الذي أدى إلى ضعف الأهالي وإيذائهم ونهب وسلب خيراتهم، وحرق مزارعهم وانتشار الخوف والجوع في أوساطهم[3].

ومن سنة (760هـ / 1359م) إلى غاية سنة (764هـ / 1363م) كانت هذه السنوات تمثّل الفترة الأولى من عهد أبي حموا الثاني الذي تحدث عن اعتلائه حكم تلمسان إلى أن ألقى عليه القبض السلطان المريني الذي أدلى بكلامه « فكان من رأيه تفريق أولاده في البلاد ... فكان من قواعد المغرب الأوسط منهم من كان، وفي مغربنا الأوسط منهم اثنان، أحدهما بالجزائر والآخر بتلمسان»[4].

لقد أثرت هذه الأوضاع والظروف السائدة في بلاد المغرب الأوسط على الحياة البشرية، والتدخل الحفصي والمريني على بني زيان في تلمسان مما أدى إلى عدم الاستقرار حيث دام الصراع بين أبي حمو موسى الثاني وأبن عمه أبي زيان بن سعيد خلال فترة الممتدة بين (762 – 783هـ / 1360 – 1381م)[5]، وقد جاء في كتاب ابن حجر العسقلاني: أنّ «أبي فارس المريني بن أبي الحسن بن أبي سعيد سعيد بن أبي يحيى البربري» الذي انتقل من مدينة فاس إلى أن وصل إلى مدينة مراكش فقتل أبا الفضل ثم قتل عامر بن مُحَمَّد المتغلب بفاس في سنة (771هـ / 1369م)، ثم انتقل إلى مدينة تلمسان فقاتل

[1] **المرجع نفسه**، ج01، ص 55.

[2] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 150 .

[3] أبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، ص 43.

[4] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 150 .

[5] أبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، ص 44.

وحاصر أبي حمو الثاني، إلى أن استولى على ملك المغرب الأوسط وسيطر على الثورة والخوارج وقرب من العرب، إلى أن توفي في رباطه شهر ربيع (772هـ / 1370م)[1]،لأن دور القبائل العربية سبب الفوضى بعد أن ضعفت السلطة المركزية التي تكالبت عليها الدول المجاورة لها[2].

بعد هذه الثورات دخلت الدولة الزيانية في مرحلة ضعف، وكان سببها وفاة أبو حمو الثاني تحت يد أنصار ابنه أبو تاشفين عبد الرحمان الثاني الذي استنصر المرنيين على أبيه، فقتله في معركة بتلمسان سنة (791هـ / 1388م)، فمن هذه المرحلة تربع أبو تاشفين على عرش الدولة الزيانية وأصبح يخضع لسلطة المرينيين بدأت مرحلة الضعف والهيمنة المرينية على تلمسان، فدامت هذه المرحلة حوالي قرن و واحد وسبعون سنة من (791 – 962هـ / 1388 – 1554م)، فعلم أخوه أبو زيان بن أبو حمو الذي كان بمدينة الجزائر فأتى إليه وحاصره بدون جدوى ثم اتّجه إلى المرنيين لينافس أخاه أبو تاشفين، حينها قدموا له المساعدة عندما علموا بأن أبي تاشفين خلع الولاء لهم، في سنة (795هـ / 1393م) شنّ على أخيه حملة مجهزة وقوية بمدينة تلمسان[3]، فعلم أبو زيان بوفاة أخيه أبو ثابت فتكالب الأبناء على السلطة وكانت من نصيب أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو المشهور بابن الزابية (795 – 796هـ/ 1393- 1394)[4]، ففي هذه السنة دارت صراعات على السلطة وكانت القوة للمرنيين فأزاحوا أبو الحجاج يوسف واستولى عليها أبو فارس المريني سنة (796هـ / 1394م)[5].

واعتقلوا أبي زيان ابن أبي حمو الثاني إلى أن توفي سلطانهم بفاس فعاد ولي العهد المريني إلى مدينة فاس لاستلام العرش المريني وخلف أبي زيان الزياني على عرش تلمسان الزيانية سنة (796هـ 1395م)، لكن أخاه أبا الحجاج كان له بالمرصاد وأطاح به من العرش الزياني، فكان أبي الزيان ذي حنكة وسياسة

[1] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 156 .

[2] أبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، ص 43.

[3] إسماعيل بركات، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني (883هـ / 1478م)**، عبد العزيز فيلالي، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وأثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009 – 2010، ص 02.

[4] عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ج01، ص ص 66 – 67.

[5] بركات إسماعيل، **المرجع السابق**، ج01، ص 02.

فحرض عليه قبائل العرب الملتفة عليه فقتلوه وبقي الجو هادئا لأبي الزيان سنة (797هـ / 1396م)، فحكم البلاد وأسّس دولة قوية وخلع التبعية للمرنيين[1].

يذكر الشيخ أبي العباس مُحَمَّد القلقشندي صاحب الصبح الأعشى،« وهي الآن بيد بني عبد الوادِ من زناتة من قبائل البربر – والقائم بها الآن منهم إلى حدود الثمانمائة من الهجرة هو السلطان أبو زَيَّان، ابن السلطانِ أبي حمُو: موسَ بن يوسُفَ، بن عبد الرحمان، بن يحيى، ابن يغمراسِن، بن زيَّان، بن تابت، بن مُحَمَّد، بن ركدار، بن تيدوكس، بن طاع الله، ابن على، بن القاسم، بن عبد الواد»، ومن هذا القول يوضح لنا نسب بني عبد الواد الذين أسسوا الدولة الزيانية[2].

فعندما علم المرينيون بقوة وجشع أبي زيان في السلطة حرضوا أخاه أبي مُحَمَّد عبد الله بن أبي حمو الثاني وأمدوه بالمال والسلاح والعتاد وأرسلوه لإزاحة أبي زيان أخوه على حكم الدولة الزيانية، فشنّ أبي مُحَمَّد حصار على تلمسان وطرد أخوه إلى المناطق الشرقية سنة (801هـ / 1400م)، حيث أن السلطان المريني أرسل وراءه مُحَمَّد بن مسعود الذي اغتاله وقتله سنة (805هـ / 1404م)[3]، وأصبحت الأجواء لصالح المرنيين في بلاد تلمسان ينزعون ويرفعون الحكام إلى السلطة كما يشاءون، فعزلوا أبي مُحَمَّد عبد الله بن أبي حمو (801هـ – 804هـ) وسجنوه في فاس و وضعوا أخوه أبا مُحَمَّد المعروف بابن خولة مكانه سنة (804هـ / 1403م)[4]، الذي جلب الهدوء إلى البلاد تحت ظل السلطان المريني إلى أن وفته المنية سنة (813هـ / 1411م)، فاعتلى العرش ابنه عبد الرحمان الثالث لمدة سنة من الزمن فخلعه عمه السعيد ابن أبي حمو الثاني وتولى العرش سنة (814هـ / 1412م)، وفي هذه الأوضاع خرج أخوه أبو مالك عبد الواحد من السجن وأطاح بأخيه وتولى الحكم سنة (814هـ- 827هـ)[5].

فالسلطان أبو مالك عبد الواحد الزياني استطاع تسيير شؤون الدولة الذي حكم 30 سنة وأعاد للدولة هيبتها، حتى سنة (827هـ / 1424م) تدخل أبو فاس عبد العزيز الحفصي في شؤون الزيانيين، إلى أن خلع أبو مالك و وضع أبي عبد الله مُحَمَّد المدعو بابن الحمراء (827 – 831هـ / 1424 –

[1] عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ج01، ص 68.

[2] أبي العباس مُحَمَّد القلقشندي، **صبح الأعشى**، دار الكتب السلطانية، القاهرة، 1915م، ج 07، ص 385.

[3] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 24.

[4] إسماعيل بركات، **المرجع السابق**، ج01، ص 02.

[5] عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ج01، ص ص 68 – 69.

1428م) مكانه ثم انتقل إلى فاس للإطاحة بسلطانهم[1]، فسارت الأوضاع باستقرار حتى سنة (831هـ / 1428م) حيث ظهر فيها أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمو للمرة الثانية (831 / 833هـ / 1427 – 1429م)، ثم ولاية أبو عبد الله مُحَمَّد المدعو ببن الحمراء للمرة الثانية (833هـ / 1429م)، فعاد القائد رضوان إلى تلمسان وطرد ابن الحمراء وعاد إلى سلطته من جديد، فقتل هذا الأخير وحل محله القائد رضوان الذي عين أبو العباس أحمد المعتصم بن أبي حمو الثاني الذي سمي بالعاقل على تلمسان سنة (834هـ / 1430م)، بعد أن توفي صاحب ملك مدينة تلمسان الذي كان صاحب المغرب الأوسط وهو أحمد بن أبي حموا العبد الوادي في شوال سنة (839هـ / 1435م) في ضل حكمه للدولة الزيانية[2]، فأعاد ابنه أبو العباس قوه وهيبة تلمسان، وأسس الدولة وخلع تبعيته للحفصيين الذين حكموا حوالي 32 سنة، و سار في عدة مقاومات ضد إخوته وأبناء عمه حتى سنة (866هـ / 1461م) نفي إلى بلاد الأندلس، فعاد بجيش إلى تلمسان فوجد أبي عبد الله مُحَمَّد المتوكل على السلطة فقاتله إلى أن سقط العاقل قتيلا ففسح المجال للمتوكل في السلطة على الدولة الزيانية[3].

وسارت هكذا الأحوال إلى أن وافت المتوكل المنية سنة (873هـ / 1436م)، بعد أن حل محله أبي تاشفين الثالث (873هـ / 1436م)[4] وأصبح التلاعب بالسلاطين الزيانيين من طرف الحفصيين، حيث وضعوا مكان أبي تاشفين الثالث (873هـ / 1436م) مُحَمَّد الثاني (873 – 910هـ / 1468 – 1504م) رغم الصعوبات التي واجهها مع الحفصيين ففي البداية كان ذا قوة إلى أن ولى الولاء لهم وزوج أميرهم أبو زكريا مسعود الحفصي ابنته التي كانت بمثابة رهينة، بعد وفاته اعتلى السلطان أبو مُحَمَّد الرابع الذي سار في الطريق الصحيح وتجنب غضب الحفصيين والمرينيين إلى أن وافته المنية سنة (910هـ / 1405م)[5]، فاغتنم أعداؤه الفرصة وتكالبوا على السلطة إلى أن سمع بهم الإسبان فاحتلوا المرسى الكبير سنة (911 / 1506م)، وتولى الحكم مُحَمَّد الخامس كسلطان للزيانيين في مدينة تلمسان، و لحسن حظّه صادف عصره تطاحن داخل البيت الزياني وتكالب الأعداء والدول عليه[6].

[1] إسماعيل بركات، **المرجع السابق**، ج01، ص 02.
[2] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 150 .
[3] عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ج01، ص ص 71 – 72.
[4] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 26.
[5] إسماعيل بركات، **المرجع السابق**، ج01، ص 02.
[6] عبد العزيز فيلالي، **المرجع السابق**، ج01، ص ص 75 – 76.

وإن كنّا نجد أنّ كتب النوازل الفقهية التي ألفها الفقهاء تتحدث عن الأسئلة والأجوبة حول جهاد المسلمين ضد الأعراب فأجازها الفقهاء بالدفاع عن أنفسهم وعرضهم وأموالهم، وقتالهم وأخذ الغنائم منهم مهما كانت، لأن الأعراب كانوا يفرون من المعارك ويقاتلون بالفر والكر ويقتلون المسلمين ويأخذون ممتلكاتهم لهذا أجاز الفقهاء قتالهم والنيل منهم[1].

و إذا عدنا إلى الفترة المتأخرة فإنّنا نرى بداية تدخّل الدولة العثمانية في أوضاع الدولة الزيانية خلال القرن (09هـ و 10هـ) لما ظهرت مجموعة من الجنود العثمانيين على ساحل البحر الأبيض المتوسط فهناك بعض شيوخ القبائل استنجدوا بهم للدفاع عنهم من الغزو الإسباني والبرتغالي، فدخل هؤلاء الجنود مدينة بجاية فاستولوا عليها ثم مدينة وهران ثم تملكوا الجزائر بعد ضعف بني زيان ومن بين المشايخ الفقهاء الصالح أبو العباس أحمد ابن القاضي الزواوي المشهور في تلمسان، الذي راسل الإخوة بربروس وإخبارهم بالظلم والاضطهاد الذي سلطه العدو الكافر عليهم، فاستولى عروج على مدينة الجزائر قبل الإسبان وغلب بني زيان سنة (923هـ / 1517م)، بعد أن تولى العرش الزياني أبا حمو الثالث بعد وفاة مُحَمَّد الخامس سنة (922هـ / 1516)، فعندما حرر العثمانيون مدينة الجزائر وتلمسان سنة (923هـ / 1517م) طردوا منها أبو حمو الثالث.

بعد هذا سئم المجتمع الجزائري من العنصر التركي فقتل هذا الشيخ سنة (930هـ / 1523م)، وتوجّه عروج لمحاربة بني يزناسن فقتل في هذه الحادثة وتفرقت جموع العنصر التركي، فعادت تلمسان إلى أصحابها، بعد مدة اعتلاها صاحبها أبي العباس فعاد إليه الترك مرةً أخرى وغزوها وأنزل منها صاحبها أبي العباس[2].

فمن هذه الأحداث التي دارت في بلاد المغرب الأوسط من تكالب الدولة المرينية و الحفصية عليهم، والتطاحن داخل البيت الزياني من اعتلاء الحكام والإطاحة بهم سواء من داخل البيت الزياني أو من الخارج الذي يعود إلى السلطة المرينية والسلطة الحفصية، انتهز الإسبان هذه الحالة ودخلوا بلاد المغرب الإسلامي من طريق بجاية و وهران والجزائر في بلاد المغرب الأوسط، فعندما علم أهل ومشايخ بلاد المغرب الأوسط بالعثمانيين المتواجدين في ضفاف البحر الأبيض المتوسط، وجدوا الخلاص الوحيد من

[1] أبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، ص 43.
[2] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 150 .

الإسبان بعد سقوط الدويلات الأندلس، هم العثمانيين المتواجدين بالقرب من مدينة الجزائر، فاستنجدوا بهم لخلاصهم من الإسبان، فدخل العثمانيين بلاد الجزائر و بجاية و وهران فحرروها من الإسبان العدو الغاشم، واستوطن العثمانيون بلاد المغرب الأوسط إلى أن سئم منهم أهل بلاد المغرب الأوسط وأرادوا الخلاص منهم لكن فات الأوان على ذلك.

المبحث الرابع: الأوضاع الاقتصادية:

1–الأوضاع الزراعية :

تدهور وانهار الاقتصاد في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (07هـ و 08هـ) لأسباب وعوامل عدة منها الجوائح الطبيعية المتكررة على المنطقة، ومنها الجوائح البشرية الدائمة المتمثلة في الحرابة والحروب لسبب تكالب الدويلات المجاورة لها، التي سببت الجوع والخوف وعدم الاستقرار السياسي الدائم في بلاد المغرب الأوسط، مما أطاح بالاقتصاد جرّاء هدم العيون والآبار والسدود والبرك ونهب المزارع وحرقها، حيث أن السلطان المريني أبي يعقوب سنة (670هـ / 1271م) استمال قبائل بني توجين إليه الذين كانوا مناوئين للسلطة المركزية الزيانية، « فقطعوا الثمار، ونسفوا الآبار، وخربوا الربوع، وأفسدوا الزروع، ولم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم حاشا السدرة والدوم»، كما نعلم أنّ تلك المرحلة سادت فيها لحروب والثورات[1].

تشير الدّراسات المتخصّصة في تاريخ الاقتصاد الزراعي إلى أنّ الزراعة المروية في بلاد المغرب الأوسط التي كانت عاصمتها آنذاك تلمسان كانت القنوات والساقيات تستعمل في الأراضي الزراعية الواقعة في تلمسان سواءً داخلها أو خارجها، التي كانت تأتيها المياه من نهر سطفسيف والأنهار الخارجية، وتنتقل هذه المياه عبر القنوات إلى الصهاريج المدينة ثم توزع عن السكان والمزارع والبساتين، فكانت هذه المياه توزع حسب الجداول وبأوقاتٍ منظمة للمزارعين، من أجل الاهتمام بالمزارعين والقبائل، وهذه الزراعة في بعض الأحيان تواجه مشاكل مثل: الحشرات والجراد والطيور والحرائق والرياح والثلوج والفيضانات والسيول والجفاف والقحط[2].

[1] أبي عبد الله محمّد بن مرزوق التلمساني، **المصدر السابق**، ص 45.

[2] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **تلمسان في العهد الزياني**، هشام أبو رميلة، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2002 م ، ص 179 .

يتضح لنا من خلال كتب النوازل الفقهية والفتاوى العلمية أن أصل المياه للسقي في بلاد المغرب الأوسط تتمثل في: «الأمطار والعيون والآبار والأودية والأنهار والصهاريج»[1]، وقد ظهرت مدينة تلمسان بقوّتها الاقتصادية و كأنّها« قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين وهو نهر سطفسيف، وهي دار مملكة زناتة ومتوسطة قبائل البربر ومقصد للتجار الآفاق»[2].

أما القلقشندي فيقول ذكر صاحب " مسالك الأبصار « أن بلاد المغرب الأوسط بها أنواع عدة من الزروع منها القمح، والشعير، والحمصُّ، والفولَ، والعدس، والذرة، والدُّخن، و الجلبان، والبسِلاَّ، أما الأَرز مجلوب لها» أما فواكهها التين والعنب والرمان والزعرور والخوخ والمشمش والعناب والكثَّر والتفاح والسفرجل والتوت الأبيض والأسود والقراصيا والزيتون والأترجُّ والليمون والليم والنارنج أما الجوز والبندق والموزو الهليون و الصَّعتر بنسبة قليلة، النخيل والفستق والمصغ وكذلك بطيخ الأزرق والأصفر والخيار والقثاء واللوبية واللفت والباذنجان والقنبيط والكرنب والرجلة والبقلة اليمانية والخس والهندباء[3]، وقصب السكر والسمسم والقنب وسائر البقول والخضر والفواكه وزروع الفلاحين المتميزة التي ذكرناها من خلال كتاب القلقشندي صاحب صبح الأعشى.

وكذلك وصف ابن أبي زرع كثرة الخضر و ثراء الفواكه نذكر منها الرمان السفري والتين الشعرى والسبتي والطيب الحسن والعنب والخوخ والجزر والعناب والسفرجل والأترج والتفاح اللوبي والطلح والكلخى والكمثرى والمشمش والبرقوق والتوت[4].

و يذكر القلقشندي حيوانات المغرب الأوسط الخيل والبغال والإبل والحمير وغنم الضأن والمعز والبقر، أما الوحوش البرية التي تحدث عنها: النعام والغزلان وبقر الوحش والحمرة، أما الطيور الحمام الكثير والدجاج الوفير والإوز بقلة الكراكُّي وغيرها من الطيور[5].

[1] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص 05.

[2] حاج عبد القادر يخلف، **المرجع السابق**، ص 148 .

[3] أبي العباس محمّد القلقشندي، **المصدر السابق**، ج 05، ص 112.

[4] محمّد عيسى الحريري، **المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، دار القلم لنشر والتوزيع، الكويت، 1987.

[5] الشيخ أبي العباس محمّد القلقشندي، **المصدر السابق**، ج5، ص 113.

2– أوضاع الصناعة و الحرف:

أفاد الحسن الوزان بمعلومات ذات قيمة في الفترة المتأخّرة من تاريخ المغرب الأوسط و صوّر كثرة المواد المعدنية والنسيجية في بلاد المغرب الأوسط في تلمسان، التي كان بها العديد من الصناع والصنائع، وكذلك ندرومة وقلعة بني راشد التي شهدت أربعين داراً للصناعة، أما تلمسان التي شهدت كمّا هائل من صناعة الصوف، نذكر منها: «وهي دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات والأبدان وأحاريم الصوف والسفاسير و الحنابل المكلكلة وغير ذلك »[1].

وقد جاء في المصادر أنّه يوجد سهل بوادي اللّوريط في تلمسان الذي أنشأت فيه العديد من الورشات الصناعية، التي أنشأها المهاجرين الذين قدموا من الأندلس بالحرف والصناعات، منها صناعة الملابس والأغطية و الأفرشة بالطرز والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والصوفية وغيرها، وكذلك صناعة الأسلحة والأواني الفخارية والخزف وغيرها من الصناعات والحرف[2].

وتحدثت النوازل الفقهية عن أشكال البيع والشراء مثل: ما ظهر عند يحي المازوني في مسألة أن المنتوجات والمصنوعات في أغلب الأحيان كانت بيد الدولة وفي بعض الأحيان كانت بيد الإمام، فإن الفقيه أبو زيد عبد الرحمان بن مقلاش سئل «عن اكتراء المكتري ملاحة البطحاء مدة معينة ، هل يسوغ أو لا» ؟[3] .

كذلك من الأشخاص الذين يشترون ويبيعون الزرع واللحم والطعام بالذهب والفضة، و المعاملات هذه ظهرت في قطر المغرب الأوسط الذي انتشرت فيه الفضة والذهب والحديد أي الصناعة المعدنية، إلى أن ظهرت بعض التساؤلات: هل يمكن للدولة أن هذه تستغل هذه الصناعات ؟ وهل يقدم ضريبة عن الصناعات المنتجة ؟[4].

---

[1] إسماعيل بركاتي، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة للمازوني** ت 883 هـ، عبد العزيز فيلالي، د ط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010 م، ج01، ص 49.

[2] إسماعيل بركاتي، **المرجع السابق**، ج01، ص 49.

[3] **المرجع نفسه**، ج01،ص 49.

[4] **المرجع نفسه**، ج01،ص 49.

ومن الواردات التي كانت تستوردها تلمسان في العصر الزياني مع الأمير أبا تاشُفين عبد الرحمان بن موسى بن عثمان بن أبي يحي يغمراسن بن زيان الذي دبر مكيدة لقتل أبيه، منها التبر الذي كانت القوافل تأتي به من المراكز التجارية الكبرى من جنوب الصحراء، فكان التبر يتحصل عليه من الأنهار المدارية، وجلود اللّمط فهذا الجلد الغليظ الذي يأخذ الوعول فيستخدم في تغليف المراكب والدروع والأفرشة، كذلك الملح والخشب الصلب وريش النعام وسن الفيل، فهذه السلع تنقل إلى بلاد أوروبا ثم نستورد منها السيوف والورق والنسيج وغيرها من المنتجات الأوربية[1].

3–الأوضاع التجارية :

أفادت مصادر الرحالة عن أخبار تلمسان في العهد الزياني من ازدهارها والأمن الذي ساد البلاد والعباد إلى أن أصبحت تلمسان تمثل مركز تجاري، فازدهرت هذه المنطقة بسبب الأمن والاستقرار الذي وفره الأمير أبا تاشُفين عبد الرحمان بن موسى بن عثمان بن أبي يحي يغمراسن بن زيان بعد أن دبر مكيدة لقتل أبيه، فأصبحت تلمسان تعج بالتجار الأجانب منهم الأندلسيين والمغاربة و المشارقة، الذين قدموا إلى تلمسان بالأموال الضخمة من أجل التجارة بها في المغرب الأوسط، كذلك تأمين الطرق التجارية التي تمر من ميناء وهران وأرشقول وقَليلة حتى سجلماسة والسُّوس، حتى جنوب الصحراء من تنبكتوا على نهر النيجر إلى أدرار وتاوريرت التي تعتبر مراكز تجارية كبرى[2].

أما تجارة الذهب والمعادن فلعبت دورً هاما في بلاد شمال إفريقيا خلال القرن (08هـ / 14م)، فكانت هذه التجارة تعد المحرك الأساسي لبلاد المغرب الأوسط، التي ازدهرت وتكونت من طريق ذهب السودان، فكان الصراع المستمر بين الدول المغرب على المراكز التجارية منها: القيروان تاهرت تلمسان سبتة سجلماسة ، فاتخذ المرينيون طرق تجارية صحراوية مخالفة لطرق التي اتخذتها دولة الموحدون من قبل، وهذا من أجل الحفاظ على سلامة التجار المغاربة فاتخذوا طريقهم الغربي، وكانت هذه التجارة الخاصة بالذهب يأتي إليها تجار أجانب من الشرق وشمال إفريقيا إلى أن تدهورت الأوضاع بسبب الصراعات القائمة بين دول المغرب الإسلامي[3].

---

[1] حسن مؤنس، **المرجع السابق**، ص 32 .

[2] **المرجع نفسه**، ص 31 .

[3] أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، ص 49.

ويذكر ابن بطوطة أن رفيقه كان تاجراً فتوفي وترك ثلاث ألاف دينار من الذهب فأوصى ابن حديدة من تجار الجزائر ليقدمه لأهله في تونس فهذا دليل على أن كان هناك التجار يقطنون المغرب الأوسط عامة وتلمسان خاصة لتجارة فيها[1].

يطلعنا الفقيه ابن مرزوق الخطيب في تأليفه المناقب المرزوقية أن التجارة في بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط خلال القرنين (07هـ - 08هـ / 13 – 14م) تدهورت لسبب الحروب القائمة بين الدولة الزيانية والدول المجاورة لها أي تكالب الدول عليها، مما أدى إلى الرعب والخوف في نفوس التجار القاطنين من كل مكان، كذلك سبب آخر وهو الحرابة واللصوص ونتيجة ضعف سلطة الدولة على الأرياف فقد استغلوا[2] هذه الأوضاع وقاموا بقطع الطرق التجارية وسرقة التجار الأجانب أو المحليين الأمر الذي منع التجار من ممارسة التجارة في بلاد المغرب الأوسط، حيث قال ابن مرزوق: «أن الموضع المعروف بمسجد إيلان، وهو اليوم داخل الربض، كان يطلع منه كل يوم حمل للبضع، من عمل الصوف، وهذا موضع من آحاد المواضع، فانظر هل تجد اليوم في ذلك الموضع، أو ما يجاورهم، عمارًا أو في البلد كلها ما يشترى به بأقل عدد»[3].

إن بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط تأثرت كثيراً بالجوائح الطبيعية منها الزلازل والقحط والجفاف والرياح والأعاصير والثلوج والبرد والصقيع والسيول والفياضان والجراد والحيوانات والأمراض والأوبئة، فهذه الجوائح عطلت استمرار الحياة البشرية من الخوف والرهبة والجوع، إلى أن أصبح أهل تلمسان يعانون من هذه الجوائح وينتظرون دورهم في الموت، فتسببت هذه الجوائح في إيذاء الناس وتحول حياتهم إلى جحيم.

فمن هذه الحالة المستمرة بالجوائح الطبيعية خلال القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م) التي خلفت الخوف وانتهاء الأمن وعدم الاستقرار مما جعل الجوائح البشرية من الحرابة والسرقة والنهب وأخذ أموال الناس والقتل والغش، علاوة على هذا تكالب عليها الدويلات المجاورة لها من الدولة المرينية والدولة

[1] حسن مؤنس، **المرجع السابق**، ص 34 .

[2] Mercier. **E**, **Histoire de l'Afrique septentrionale** (**Berberie**) **depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française**, Edition Ernest Leroux, Paris, 1888,t 2,p 2.

[3] أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، ص 47.

الحفصية وكذلك الدول النصرانية، بعد أن ظهرت الدولة العثمانية كقوة في البحر الأبيض المتوسط، التي دخلت مدينة وهران والجزائر وتلمسان.

ورغم هذه الأحداث بقي أهل تلمسان متمسكين بدينهم الإسلامي وطلبهم للعلم و اجتهادهم في تحصيله، أما الجانب العسكري والسياسي فلم يرى الاستقرار إلا في بعض الحالات، فهذه الظواهر خلفت انعكاسا سلبيا أثّر في مسار حركية الاقتصاد في شتى مجالاته من زراعة وصناعة حرفية وتجارة، فضعفت أحوال التجارة و تدهورت المداخيل وكثر الغش والاحتكار وسادت المجاعة وكثرت الأمراض والأوبئة.

الفصل الثالث :

المدونات الفقهية والنوازلية " دراسة في المضمون والمصطلح"

شهد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط حركة علمية نشيطة، جسدها العلماء والفقهاء في عدة مظاهر، منها التدريس والتأليف والمناظرات العلمية بين العلماء وفقهاء المذاهب، فكان لفقهاء المغرب الأوسط حضورا علميا كبيرا في هذا النشاط العلمي، ومن مظاهر نشاط الفقهاء نجد كتب النوازل، التي دوّنوا فيها ما كان يواجه مجتمعاتهم من حوادث و معاملات ناشئة عن أنشطتهم و علاقاتهم والحلول التي عالجوا فيها هذه التساؤلات.

وهذه المصادر غير التقليدية للمادّة التاريخية، لن تكون سهلة التناول لكلّ الباحثين والمطّلعين على التاريخ لسبب واحد وجيه، ذلك أنّها دونت من أجل حماية التراث الفقهي، ولم يكن مقصد مؤلفيها إرسال الدلالات التاريخية التي أشرنا إليها سابقا، لذا كان لزاما على الباحث أن يستعرض الأصل الاصطلاحي و المفاهيمي لهذه المصادر، وأن يبحث في حضور الدّلالات التاريخية غير التقليدية المتضمّنة فيه وخدمة المعرفة التاريخية العلمية بشكل يسدّ النقص ويساعد على إعادة تركيب الحوادث التاريخية ويساهم في قراءتها وإعادة كتابتها من جديد.

المبحث الأول : المصطلحات والمفاهيم" المنحى الفقهي والدلالات التاريخية"

1–تعريف الفقه والنوازل والفتاوى والأجوبة ومسائل الأحكام أو المسائل:

أ– التعريف بالفقه : هو العلم بالحاجة أو الشيء، أي بمعنى علمته أو أعلمته أو فقهته، ومعنى فُقّه أي أصبح فقيه عالم، كما وضح مُحَمَّد حجي في تعريفة للفقه بأنه:" العلم بأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، فهو علم حادث في الإسلام لم يعرف إلا بعد وفاة الرسول ﷺ" ، ومن هذا القول نستطيع أن نصبح فقهاء، لذلك يجب أن نعلم ونفقه بالحاجة أو الشيء وفهمه.[1]

دائما نلاحظ جل العلماء في دعائهم يقولون: اللهم فقهه أي فهمه وعلّمه، فالفقه هو فهم الشيء والعلم به[2]، وكذلك نعود إلى التفقه في الدين من القرآن الكريم فقول الله تعالى:{ وما كان المؤمنون لينفروا

[1] مسعود كربوع، **نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي جمعا ودراسة وتحليل**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012 – 2013، ص 14 .

[2] مصطفى الصمدي، **فقه النوازل عند المالكية تاريخياً ومنهجاً**، دار مكتبة الرشيد، المملكة العربية السعودية الرباط، 2007م، ص 12.

كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلَّهم يحذرون}.[1]

مرَّ هذا النوع من الفقه في الغرب الأوسط بمراحل، ولكل مرحلة خاصة فنجد مثلا في العصور المتقدمة في الغرب الإسلامي وخاصة في عهد الإمام مالك وتلامذته، حيث لم تدون هذه النوازل والفتاوى في كتاب، أو دوِّن جزء منها، وضاع الآخر وكان ينقل بالرواية.[2]

أمَّا في عصر المرابطين فكان اتجاه الفروع هو الغالب على فقه النوازل، فنجد في هذه الفترة الاستدلال بأقوال أئمة المذاهب ورجالها. في حين تميَّز العصر الموحدي بحرق كتب المذاهب والتشجيع على الاجتهاد والنظر، وهذا ما جعل كتب النوازل تقفز قفزة أخرى.[(3)]

أمَّا في عهد الدولة النّصرية بالأندلس فنجد فقه النوازل قد أخذ طابعاً آخراً، واتجاهاً مغايراً، طَغَتْ عليه الجوانب والأغراض السياسية، وخاصة العلاقة بين المسلمين والنصارى، وتحديد علاقة المسلمين باليهود، وحكم الردة من بعض المسلمين في الأندلس الذين ارتدوا عن الإسلام قهراً وإكراهاً، وغيرها من المسائل.[4]

ب – التعريف بالنوازل : النوازل هي القضايا والمسائل المستعصية في حلها من أمور دينية اجتماعية، فيلجأ صاحب هذه المسألة إلى أهل العلم من أجل إعطائه الحل من الحكم الشرعي أي حكم الله فيها، فهذه المحن والشدائد التي يتعرض لها العبد في أغلب الأحيان، فكانت تسمى أحيانا بالنوازل وأحيانا بالأجوبة وتارة بالفتاوى وفي بعض الأوقات تسمى بالأسئلة وبالأحكام أو مسائل الأحكام.

و هذه المصطلحات أو الأسماء التي تدلّ على هذه الشدائد والمحن، مثل النوازل والفتاوى والأسئلة والأحكام والأجوبة وغيرها، فكلها تدل على معنى واحد: وهي المصيبة أو المشكلة الغير المتوقع ظهورها التي حلت بالإنسان، وتدل كل هذه المعاني اللغوية على النوازل[5]، لذلك أردنا التحدث عن النوازل لمعرفة ما معناها وتسليط الضوء عليها.

وسميت المحن والشدائد بالنوازل من ما ذكره الفقيه ابن رشد من أن النوازل جاءت عند الفقيه يوسف بن عمر (761هـ / 1360م)، من نقل الحطاب وابن عرفة نقل عنه البرزلي في فتاويه ونوازله، وزروق في تأليفه شرح

---

[1] سورة التوبة، **الآية** 122.

[2] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 51.

[(3)] تميزت كتب النوازل في هذه الفترة بالاستدلال، والاجتهاد، والنظر، والأخذ بالمظالم، مثل نوازل ابن رشد السالفة الذكر. للمزيد أنظر/ **نفسه**.

[4] **نفسه**.

[5] **المرجع نفسه**، ج1، ص48، 49.

الإرشاد والحطاب في تأليفه "مسائل الالتزام" والتنبكتي في تأليفه نيل الابتهاج والمهدي الوزان في "النوازل الجديدة الكبرى"[1].

ب – 1. تعريف النوازل لغةً: عرفها صاحب لسان العرب بأنها: " الشديدة التي تنزل بالقوم، وهي من شدائد الدهر تنزل بالناس"، أما معنى النزول هو الحلول " ينزل نزولا ومنزلا"، و" نزلت بهم نازلة ونائبة وحادثة ثم آبدة وداهية و واقعة ثم بائقة وحاطمة وفاقرة ثم غاشية وواقعة وقارعة ثم حاقة وطامة وصاخة"، وهذا يعتبر من المصائب والشدائد التي تحل بالناس، وسقط هذا المصطلح " النوازل " أو " النازلة" على الفقه فقط أي النوازل الفقهية أو النازلة الفقهية، وترجع هذه النوازل إلى الفقهاء والعلماء.[2]

وجاء في بيت شعرً لمحمد رواس و ذكره قلعة جي وحامد صادق قفي معجم لغة الفقهاء، قال:

قد هون الصبر عندي كل نازلة ولين العزم حد المركب الخشن

وكذلك جاء في تعريف في معجم لغة الفقهاء أنها:" المصيبة ليست بفعل فاعل، وهي الحادثة التي تحتاج لحكم شرعي".

فالنوازل الفقهية في مضمونها تحتوي على المشاكل والمصائب والأحداث التي يستلزم حلها من الأحكام الشرعية، حيث أنّ هذه الأحداث تنزل في كل وقت سواء قبل إيجاد فتواه أو حل لهذه النازلة قبل وقوعها من طرف الفقهاء.[3]

والنوازل جمع نازلة مشتقة من الفعل نزل، جاء في معجم مقاييس اللغة أن نزل هي كلمة صحيحة إذا عدنا لتقسيمها إلى النون والزاي واللام لأن هذا المعنى يعود إلى هبوط الشيء، وإذا تقدمنا لمعناها الحقيقي أن النازلة هي المحنة والشديدة على ممر الزمن.[4]

---

[1] أبو الوليد مُحَمَّد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي (520هـ / 1126م)، **فتاوى ابن رشد**، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987م، ج1، ص 39.

[2] مسعود كربوع، **المرجع السابق**، ص 14 – 15 .

[3] مُحَمَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 13.

[4] فريد قموح، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المازوني (ت 883هـ) دراسة وتحقق لمسائل الجهاد والأيمان والنذور** ، مذكرة ماجستير في تاريخ الوسيط تخصص علم المخطوط العربي، قسم التاريخ والآثار ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010 / 2011م، ص 39.

فهذه النوازل والمسائل التي تلازم الإنسان في حياته اليومية والمعاملة بها، والتي تعود إلى المجتهدين والفقهاء لإعمال النظر وتفسير هذه الحادثة، من أجل تطبيق الأحكام الشرعية فيها، عن طريق تحليل النصوص الفقهية والعلمية الدينية من أجل إيجاد الحلول المناسبة لظاهرة التي تحل بالمجتمع في عصرٍ ما.[1]

ب– 2 . تعريف النوازل اصطلاحا: رغم إعادة الاهتمام والاعتبار لفقه النوازل كمصدر فقهي بالأساس إلاّ أنّه لم يظهر للنوازل تعريفا اصطلاحيا موحّدا خاصة من حيث دلالته التي تتجاوز التأصيل الأصولي، أمّا عند المؤرخين فنجد أنّ الباحث المؤرخ مُحَمَّد حجي الذي عرّفها اصطلاحا بقوله:" أما النوازل فهي مسائل وقضايا دينية ودنيوية تحدث للمسلم ويريد أن يعرف حكم الله فيها. وقد أخذ المسلمون، بعد موت الرسول ﷺ وانقطاع الوحي، يلجئون إلى الخلفاء الراشدين وعموم الصحابة يسألونهم عن أحكام هذه النوازل، فكان هؤلاء يلتمسون لها نصاً في كتاب الله أو سنة رسوله، يمكن أن تندرج النازلة تحته، فإذا وجدوه وقفوا عنده، وإلا اجتهدوا في استنباط أحكام تساير سياق القرآن والسنة ولا تخالف روح الشريعة الإسلامية التي تلقوها مباشرة من فم رسول الله ﷺ قرآنا يُتلى وحديثاً يروى".[2]

و النّازلة هي الواقعة والحادثة التي تنزل بالشخص سواء في مجال العبادات أو المعاملات أو السلوك أو الأخلاق، حيث يلجأ هذا الشخص إلى من يفتيه بحكم شرعي في نازلته.[3]

ومن خصائص النوازل نذكر منها: الواقعية التي تتميز بواقعية الأحدث إلى أن يقع هذا الحدث ثم يخوض الفقهاء في دراسته والإجابة عليه، أما الطابع المحلّي يعتمد على أن النازلة لا تبقى مبهمة إلا أن تتخذ مسائلها في المكان والزمان والموضوع مثل: نوازل صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة الذي حدد المكان، أما التجديد المستمر الذي يتميز باختلاف من حال إلا آخر عكس النصوص الفقهية الثابتة التي لا تتغير، أما تنوع التأليف تختلف كتب النوازل فيما بينها من حيث الشكل والمضمون عكس كتب الفقه مثل: فتاوى ابن رشد وفتاوى الشيخ أبي الحسن اللخمي.[4]

[1] مصطفى الصمدي، **المرجع السابق**، ص 13 – 14.

[2] مُحَمَّد حجي، **نظرات في النوازل الفقهية**، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، 1999م، ص ص 11 – 12.

[3] مُحَمَّد أمين بوحلوفة ، **المرجع السابق**، ص 15.

[4] مُحَمَّد حجي، **المرجع السابق**، ص 43 ، 44.

من خلال بحثنا المختصر عن النوازل عند الفقهاء والباحثين اتضح لنا أن النوازل الفقهية لها العديد من التسميات المشابهة لها مثل : الحوادث أي أحداث الدهر، والوقائع أي الداهية التي تعتبر النازلة من ظروف الدهر، والمسائل المستجدات التي تشمل على النوازل الفقهية وتكون ضمنها، أما السؤال المطروح هو: ما علاقة النوازل بالفتوى؟

لذلك نستطيع القول من خلال دراستنا لهذا الجانب أن النوازل أشمل وأضبط من الفتاوى، لأن النوازل تعتمد على الحدوث والوقائع وكذلك تشمل على سؤال الناس عن الأحكام الشرعية لمسألة ما، وتكون الأجوبة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأهل المدينة أو إجماع الفقهاء، لأن الإسلام عندما ظهر غيّر مجرى التشريع بما يصلح أحوال الناس و يسهّل لهم معيشتهم و يضبط علاقاتهم من خلال توجيه التفكير و تأسيس العقيدة و توجيه المعاملات الأساسية مع الناس[1].

نستنتج من هذه الأقوال والتعاريف التي تطرقنا إليها ثلاثة استنتاجات تعني أن النوازل تتميز بما يلي:

ـــ الوقوع في زمن حاضر: التي تعتبر الحلول والحصول، لأن النوازل الفقهية لا تطبق على المسائل الافتراضية.

ـــ الحدوث: أي أنّ هذه الحوادث طارئة جديدة لم تقع من قبل ولم يتطرق إليها الفقهاء في زمن سابق.

ـــ الشدة : يجب أن تعود إلى الحكم الشرعي.[2]

و إذا كان مفهوم النوازل الفقهية قد تعدد عند الفقهاء والباحثين سواء منهم القدامى أو المتأخرين، و بالرغم من أنّ هذا الاختلاف في التعريفات أو المعاني للنّوازل الفقهية فإنها تشترك في كونها ترتبط بالفتاوى والواقعات الحادثة ، وتحمل نفس المعني والتطبيق الحالي.

ج– التعريف بالفتاوى: تعتبر الفتاوى الأقوال والإجابات التي تخرج من أفواه الفقهاء والعلماء لمشكل أو قضية ما استعصى حلها، لهذا سماها الزركلي في تأليفه الأعلام بـ: الفتاوى، ثم ذكرها ابن رشد أنها مخطوطة، ويذكرها ابن فرحون في تأليفه التبصرة حيث جاء في قوله: " وفي مختصر فتاوى ابن رشد للقاضي ابن عبد الرفيع ..."، أما الدكتور جمعة ذكرها في كلامه: " لابن رشد مجموعة فتاوى"، يقول

[1] مسعود كربوع، **المرجع السابق**، ص 16.

[2] مُحَمَّد أمين بوحلوفة ، **المرجع السابق**، ص 16.

المواق أفتى ابن رشد وكفتوى ابن رشد حيث جاء هذا الكلام في تأليفه في عديد المواطن من التاج والإكليل، وقال ابن الحاج " أفتيت أنا وابن رشد"، و زروق قال:" وبه أفتى ابن رشد"، ويذكر القاضي عياض: " ما رأيك وفتياك"، وجاء في المعيار لصاحبه الونشريسي حيث قال: " وأقام الشيخ أبو الحسن مثل فتوى ابن رشد"، أما أبو الحسن الزويلي الصغير سماها في قوله: أفتى به ابن رشد، فهذه التسمية جاءت عند جل الفقهاء.[1]

ج– 1 تعريف الفتاوى لغة: الإفتاء مصدر الفعل أفتَى، من بين الأمثلة: أفتاه في الأمر، أوضحه له وكذلك : يقال اسْتَفْتَيْتُه فَأَفتاني إِفتاءً، أي أجابني.[2]

الفتوى والفتي اسمان يوضعان موضع المصدر الإفتاء ، وأهل التفاتي : أهل التّحاكم وأهل الإفتاء.[3]

يرى بعض العلماء والمفتيين أن كل ما أفتى به المحدث والفقيه هو: فَتْوَى وفُتْوَى وفُتْيَا الذي كان عند القوم وأهل المدينة من اتفاق العلماء.[4]

يقال أفتاه في الأمر أي أوضح وأبانه له، أما إذا عدنا إلى الاستفتاء يقال استفتى أي طلب الفتوى[5] من الفقيه أو المفتي، وإذ قلنا تفاتوا أي تحاكموا، والفتيا هي توضيح الإشكال وتبينه من الوجه الشرعي، أما الفتيا والفُتوى والفَتوى أي كل ما حدث به الفقيه، أما إذا قلنا فأتيت فلان أي رفعته إلى المفتي.[6]

أما في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام{ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا }[7] وقال { أَفْتُونِي فِي رؤياي}[8]، وكذلك في سورة الكهف { وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا }.[9]

---

[1] أبو الوليد مُحَمَّد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي (520هـ / 1126م) ، **المصدر السابق**، السفر الأول ، ص 41 ، 42.

[2] **المصدر نفسه**، ص 42.

[3] الزليطي الحلول، **المسائل المختصرة من كتاب البرزلي**، تحقيق مُحَمَّد أحمد الخليفي، دار المدار الإسلامي، بنغازي ليبيا، 2001 م، ص 09

[4] فريد قموح ، **المرجع السابق**، ص 40.

[5] أبو القاسم البرزلي، **فتاوي البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من قضايا المفتيين والأحكام**، تح مُحَمَّد الحبيب الهيلة، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ج01، ص 62.

[6] مصطفى الصمدي، **المرجع السابق**، ص 14.

[7] سورة يوسف، **الآية** 46.

[8] سورة يوسف، **الآية** 43.

[9] سورة الكهف، **الآية** 22.

ويقال أيضًا: " الواو فيها عن الياء، كتقوى فإن ضم أوله صح، فيقال: فتيا، وتجمع على الفتاوى منقوصا ومقصورًا قياسا فيهما، والنقص هو الأصل، والقصد تخفيف، وهي اسم مصدر معنى الإفتاء، وفي اللسان الفتيا والفتوى ما أفتى به الفقيه، والفتح في الفتوى لأهل المدينة.

لذلك نرى أن النوازل الفقهية والفتاوى والأجوبة والمسائل أو المسائل الكبرى أو الصغرى لها دلالة ومعنى واحد، فالنوازل منضبطة وأشمل منهم في الحكم الشرعي وتكون على شكل وقائع وأحداث، مثال على ذلك: نوازل الونشريسي وابن لحاج والبرزلي والمازوني، وفتاوى ابن عرضون، ومسائل ابن رشد، وأجوبة المجاصي، هذه كلها تعود إلى حكم المفتي سواءً كانت واقعية أو متوقعة.[1]

قال ابن سيدة : إنما قضينا على ألف (أفتى) بالياء لكثرة ف ت ي وقلة ف ت و ، والفُتْيَا: تبين المشكل من الأحكام، والفُتْيَا والفُتْوى والفَتْوى : ما أَفْتَى به الفقيه.[2]

والفتيا والفتوى : ما أفتى به الفقيه، ويقال أفتيت فلان رؤيا رآها إذا عبرتها له، ومعنى تفاتوا إلى فلان: تحاكموا إليه، ومنه فاتيت شخصا فيما اختلفنا فيه أي تصعد القضية إلى المفتي[3]، فالفتيا وفتوى: إذا نظرنا في هذان الاسمان نجدهما يضعان في موضع الإفتاء، أي الإفتاء في المسألة التي أجاب الفقيه عنها.[4]

وعندما نعود إلى أصل فتوة الإمام الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي في قوله: يقال تفاتينا بمعنى تدافعنا لذلك قال عمر بن أبي ربيعة: (البحر الطويل):

فبتُّ أُفاتيها فلا هي ترعوي بجودٍ ، ولا تبدي إِباءً فتبخلا

[1] عمر الجيدي، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديد بالرباط، الرباط، 1993م، ص 128.

[2] الإمام الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، **من آثار فقهاء الأندلس فتاوى الإمام الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى موسى الأندلسي صاحب الموافقات والإعتصام المتوفي (790 هـ / 1388 م)**، تح: مُحَمَّد أبوا الأجفان، دار الكواكب، تونس ، 1985 م ، ص 67.

[3] الزليطي الحلول، **المرجع السابق**، ص 10 .

[4] مُحَمَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 16.

والواو في الأصل (فتوى) ياء كتقوى، وإذا ضم أوله فُتيا وجمع فتوي ، فتاوي ، فتاوَى ، والقصر فهو وارد على سبيل التخفيف.[1]

كما جاء في كتاب الله عزى وجل في تبيين حكم السؤال { وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَ} فهذا دليل من القرآن الكريم، سورة النساء الآية 127[2]، أما جاء في سورة الصافات{ فَاَسْتَفْتِهَمْ أَهُمْ أَشَدُ خَلْقًا }[3] وفي آية أخرى { فَاَسْتَفْتِهَمْ أَلِرَبِّكَ اَلْبَنَاتُ وَلَهُمُ اَلْبَنُونَ }[4]، وجاء أيضًا في حديث النبي ﷺ عن الفتوى [استفت قلبك، وإن أفتاك الناس وأفتوك] أخرجه الدّارمي.[5]

ج– 2 تعريف الفتوى اصطلاحا : الفتاوى بمعنى الإفتاء وهو الدليل من كلام الله تعالى لا على وجه الإلزام، فالمفتي ليس له حق إلزام المستفتي بالدليل القطعي الشرعي الذي أخبره به[6]، أما القاضي فإن حكمه يؤول له الإلزام. لذا جاء عند القرافي: حكم القاضي إنشاء (لا على وجه الإلزام) لأنه لا يتضمن التعريف.[7]

وهي: " إخبار بحكم شرعي من غير إلزام"، كذلك هي: " حكم الشرع الذي يخبر عنه المفتي بإفتائه"، أما الفتوى دائما تكون متخصصة عن النازلة الفقهية لأنها تستدعي الأدلة والبراهين، مثل فتاوى ابن رشد (520هـ / 1126م)، التي اعتمد عليها المالكية، حيث قال القلاوي الشنقيطي:

واعتمدوا ما ألف ابن رشد والمازري مرشدًا للرشد

علم الفتوى تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزائية ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم، نقول أن هذه فتوى أي هي التي تطلق على الحكم ويقال أنها مشهورة أو ضعيفة.[8]

[1] أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي، **المصدر السابق**، ص 67 .

[2] سورة النساء ، **الآية** 127 .

[3] سورة الصافات، **الآية** 11.

[4] سورة الصافات، **الآية** 149.

[5] الحديث النبوي، **أخرجه الدارمي في كتاب البيوع** 02 / 246 .

[6] أبي القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج01، ص 62 .

[7] الزليطي الحلول، **المرجع السابق**، ص 10 .

[8] عمر الجيدي، **المرجع السابق**، ص 128 .

فتأتي الفتوى على الحكم الذي وقع عليه الإفتاء، لذا يظهرها ضعيفة أو مشهورةً، ويأتي الإفتاء على الشخص الذي أراد الحكم الشرعي على بعض الأحداث[1]، فيدعى بالمستفتي وربما يريد معرفة السؤال فقط أو الحكم بها على مستفتي آخر، والمفتي والمستفتي قد يكونا معاً أو إفتاء لشخص آخر، أما المستَفْتَى فيه: هي " المسائل الاجتهادية دون المسائل العقلية، على الصحيح".[2]

الأصل في الفتوى هي أن تبعد عن ضغط الأحكام أو السلطات لأنها تتحدث عن الله تعالى ورسوله ﷺ، وتكون مرسلة غير مقيدة كما كانت بالغالب في بلاد المغرب الأوسط.[3]

فمن فتاوى الفقهاء والمشايخ المعروفة نذكر: فتاوى أصبغ بن خليل أبي القاسم القرطبي (ت 293هـ / 905م)، وفتاوى ابن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ / 996م)، وفتاوى الشيخ أبي الحسن اللخمي (ت 478هـ / 1085م)، وفتاوى ابن رشد الجد(520هـ / 1126م)، فتاوى الإمام الشاطبي (790هـ / 1388م).[4]

أما المصادر التي اعتَمَدَت عليها الفتاوى المالكية في المغرب الأوسط نذكر منها: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وموطأ الإمام مالك ومدونة سحنون وغيرها من الكتب والتآليف السنية، والمذاهب الإسلامية السنية وكتب المناقب والسير وغيرها من الكتب الفقهية.[5]

د- الجوابات والأجـوبـــــة : الجوابات أو الأجوبة هي: الإجابة عن السائل من طرف الفقهاء والمشايخ مثل ما سماها ابن خير الإشبيلي بجوابات ابن رشد في تأليفه الذي سماه بالفهرست، وفي معناها الإجابة عن كل شخص تقدم بسؤال من أجل معرفة الحقيقة الدينية أو فتوة استعصى عليها الحل فيلجأ السائل إلى الفقهاء والمشايخ من أجل الإجابة عنها وفي شتى الأحوال الحضارية.[6]

وأجابك يعني رد عليك والاسم فيه الجواب، أي الشخص يجيب عن السؤال أو الدعاء، أي قابل للعطاء والقبول، مما ذُكرى أو جاء في قول الله تعالى:{ وَالَّذِينَ يحاجون فِي الله مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتُجِيبَ لَهُ

[1] مختار حساني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني**، ج1، مخبر المخطوطات، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2004، ص 27.

[2] الإمام الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، **المصدر السابق**، ص 68 – 69.

[3] مصطفى الصمدي، **المرجع السابق**، ص 15.

[4] فريد قموح، **المرجع السابق**، ص 40.

[5] أبو الوليد مُحَّد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي (ت520هـ) ، **المصدر السابق**، ج1 ، ص ص 43 – 44.

[6] **المصدر نفسه**، ص 37.

حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِهِمْ }.[1] وكذلك قوله تعالى:{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداعي إِذَا دَعَانِ }.[2]

أما الأجوبة ذكرها الفقيه أبو الحسن الصغير بتسمية الأجوبة في التهذيب، وابن فرحون وابن الرفيع التونسي والحطاب وابن ناجي وأبو عبد الله مُحَمَّد بن هارون الكتاني التونسي، ذكروا اسم الأجوبة، التي تعتبر الإجابة للأسئلة التي تطرح من عند أهل البلاد في المغرب الأوسط أو غيره من المناطق الأخرى للأخذ الإجابة على الأسئلة التي يراد الإجابة عنها[3].

فأساس الفقه هو السنة النبوية والقرآن الكريم، لذلك نجد من هذه الصيغ كثيرا في السنة النبوية والقرآن الكريم، ويَستعمِلُها الفقهاء في كتبهم الفقهية لأنها تطلق على الفقه والعلوم.[4]

واشترط في المفتي أن يكون فقيها ليرى قضايا الناس، إذ ليس كل إنسان يفتي في يعترض حياة العامة، كي لا تصبح الفتوى هواية لكل شخص، ولا يصمت العلماء والفقهاء عن كل شيء يمس بقداسة منصب الفتوى الجليل، ويجب أن يكون عادلًا عارفًا عالمِا من أجل مراعاة الحرمة والقداسة للفتوى، ويكون الإفتاء إما بالنقل أو بإنشاء الأحكام والاجتهاد، من أجل الإخبار بحكم الشرع، كذلك أن يكون عالم وملم باللغة العربية وعلمه بأصول الفقه، ومعرفته كيفية تطبيق النصوص الفقهية على النوازل والقضايا، وعارفا بأحوال الناس وأعرافهم وعاداتهم، وإتباع أقوال الأمة، ومطالعة الكتب وتحصيل القواعد.[5]

و تتمثل آداب المفتي في الشخصية المطابقة لمواصفاته، وأن لا يتسرع في تطبيق الأحكام وجوابه على الأسئلة، ولا يغضب من كلام الناس الغليظ، لذلك جاء في القرآن الكريم: { أَنَّ سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا }.[6]

[1] سورة الشورى، **الآية** 16 .
[2] سورة البقرة، **الآية** 186 .
[3] ابن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1 ، ص 37.
[4] مصطفى الصمدي، **المرجع السابق**، ص 16.
[5] عمر الجيدي، **المرجع السابق**، ص 129 .
[6] سورة المزمل، **الآية** 05 .

هـ- مسائـــل الأحكـــام والأسئلة: الأقوال والمسائل التي تطرح من العامة على الفقهاء من أجل الإجابة عنها، سواءً مباشرة أو غير مباشره، مثل قول ابن الوزان: جمعت من المسائل التي سئل عنها الفقيه الإمام القاضي أبو الوليد بن رشد، كذلك قول ابن بشكوال في الصلة: " المسائل"، وقال: ابن سلمون " قال ابن رشد في مسائله.، وقال:" مسائل القاضي أبي الوليد"، " وفي مسائل ابن رشد"، وكذلك في كتاب الفتاوى والمخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بباريس مكتوب فيها: " مسائل سئل عنها مُحَّد بن أحمد بن رشد أبو الوليد[1].

أما الأسئلة: سماها إسحاق الشهير بالجندي الأسئلة في تأليفه المسمى التوضيح، وكذلك سماها الفقيه الشيخ أبي القاسم البرزلي في تأليفه بالفتوى والنوازل بالأسئلة، وسماها الفقيه الحطاب في تأليفه مواهب الجليل بالأسئلة، فتوارد هذا الاسم في بعض كتب النوازل الفقهية على هذا المنحنى.[2]

يلجأ صاحب الأمر أو المشكل الغامض الذي نزل عليه إلى الفقيه من أجل إيجاد حلٌ له، لأنه مأمور بأن يسأل عن حكم الله تعالى، لأنه أمرنا في القرآن الكريم بذلك، فجاء في قوله تعالى: { فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }.[3]

وفي آية أخرى: {يسألونك عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيسألونك مَاذَا يُنْفَقُونَ قُلِ العَفْوَ}.[4]

وجاء في سورة المائدة: {يسألونك مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ }[5] وفي سورة الأعراف: {يسألونك كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ }[6] ،

[1] ابن رشد القرطبي المالكي، **المصدر السابق**، ج1 ، ص 35 – 36.
[2] **المصدر نفسه**، ص 37.
[3] سورة النحل، **الآية** 43 .
[4] سورة البقرة ، **الآية** 215 – 217 - 219.
[5] سورة المائدة، **الآية** 04 .
[6] سورة الأعراف، **الآية** 187 .

وفي سورة الأنفال: {يسألونك عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ وَالرَسُلِ }[1]
وفي سورة الإسراء: { ويسألونك عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}. [2]

وفي سورة الكهف: { وَيسألونك عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ قُلْ سأتلو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا }[3]، وفي سورة طه: { وَ يسألونك عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِي نَفْسًا} [4]. وفي سورة النازعات {يسألونك عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا}. [5] وغيرها من الآيات التي ورد فيها كلمة السؤال.

وجب على الجاهل بالأمر الواقع أو المتوقع أن يسأل عليه أهل العلم، فواجب على أهل العلم الإجابة عن هذه الأسئلة، لقوله تعالى: { إِنَّ الذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والهدى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاس فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ }.[6]

فمن هذه المصطلحات المذكورة سابقاً (الأسئلة والأجوبة)، التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، استنبط الفقهاء والعلماء تسمية كتبهم ومؤلفاتهم بالأجوبة والأسئلة أو مسائل الأحكام، من أجل الإجابة عن الأسئلة التي تأتي من أفراد مجتمعاتهم، لإزالة الجهل واستبيان العلم، واستنباط الحلول الفقهية والعلمية من النصوص الشرعية الدينية الإسلامية.[7]

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض الفقهاء والمفتيين الذين وجهت لهم الأسئلة وأجابوا عنها:

- " أجوبة الفقهاء، لمحمد بن سحنون التنوخي القيرواني (ت 256هـ / 869م)، خ الخزانة العامة ، الرباط رقم : 1341.
- الأسئلة والأجوبة، لأبي حفص أحمد نصر الداودي (ت 307هـ/ 919م) خ الخزانة العامة، الرباط رقم : 8178.
- الأجوبة، لأبي الحسن علي بن مُحَّد القابسي (ت403هـ / 1012م)، خ الناصرية ، تمكروت المغرب الأقصى ، رقم: 1909.

[1] سورة الأنفال، **الآية** 01 .
[2] سورة الإسراء، **الآية** 85 .
[3] سورة الكهف، **الآية** 83 .
[4] سورة طه، **الآية** 105 .
[5] سورة النازعات، **الآية** 42 .
[6] سورة البقرة، **الآية** 159 .
[7] مصطفى الصمدي، **المرجع السابق**، ص 16.

- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، لشهاب الدين القرافي.
- معين الحكام على القضايا والأحكام، لأبي إسحاق إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع (ت 733هـ / 1323م).

ـ جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام لأبي القاسم البرزلي البلوي التونسي (ت 842هـ / 1438م)، ".[1]

2–خصائص ومميزات كتب النوازل الفقهية لدى علماء وفقهاء المغرب الأوسط:

أ– خصائص كتب النوازل بالمغرب الأوسط:

أ – 1 الواقعية: تميز الفقه النوازلي بالمغرب الأوسط بالواقعية، لأن هذه النوازل وقعت وحدثت فعلاً وثبت وجودها، واتصفت هذه النوازل الفقهية بطبيعة وصبغة الفقه المالكي الذي كان سائدا في بلاد الغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، وتوسعت النوازل الفقهية إلى أصلين هما: المصالح المرسلة وسدّ الذرائع، اللذين سار عليهما فقهاء المذهب المالكي، لأن هذين الأصلين متلازمين مع أحوال الناس و ما يطرأ فيها من حادث.[2]

أ– 2 التعامل مع النوازل وإسقاطها على أرض الواقع: تتمثل في كيفية التعامل معها وإسقاطها على أمر الواقع من خلال المصدرين التشريعيين اللذان اعتمدهما أصحاب المذهب المالكي هما: عمل أهل المدينة والاجتهاد في الفقه النوازلي، هذين الأصلين عمل بهما الفقهاء من أجل التعايش مع أحوال الناس و واقعهم.[3]

أ – 3 المحلية (المكان والزمان): تعتبر هذه الخاصية عنصر أساسي في مصنفات الفتاوى والنوازل الفقهية، لأن معناها ملتزم بالمكان والزمان في شتى الأوضاع الخاصة بحياة الإنسان، التي تحتوي على المسائل، لذلك نجد أنّ الباحثين أشاروا إلى هذه المسألة المهمّة و هي أنّه: " يأتي السؤال وكذا الجواب

[1] فريد قموح، **المرجع السابق**، ص 42.
[2] مُحَمَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 22.
[3] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 54.

بتفاصيل النازلة ويذكر أسماء الأطراف المعنية حتى تاريخ النازلة أحيانا وذلك كله مادة خصبة وثروة لا تقدر للفقهاء والمؤرخين".[1]

ب–مميزات مؤلفات النوازل عند فقهاء بلاد المغرب الأوسط:

ب– 1 تبدأ النازلة بطرح السؤال المراد الإجابة عنه: في بادئ الأمر دائمًا يكون السؤال من طرف الشخص الذي يريد الإجابة عليه، فيكون هذا السؤال من طرف العامة منهم لم يعرف القراءة والكتابة، فيطرح سؤاله مبعثرا وضعيف التقديم واللغة التركيب، فيقوم المفتي أو صاحب جامع الفتوى بتصويبه وصياغته الحسنة واختصاره، حتى يسهل عليهم طابع السؤال والإجابة عليه من طرف المفتيين.[2]

ب– 2 الإجابة على النازلة بدون اختصار: عندما يقدم السؤال عن النازلة للفقيه فيجيب عنه مباشرة، وفي بعض الأحيان يجيب على أسئلة إضافية أخرى لم يسأل عنها، من أجل التوضيح بعض الأمور الغامضة لمجتمع المغرب الأوسط، لأن بعض النوازل يجيب عنها الفقيه قبل حدوثها من أجل الاستفادة من هذا الجواب، والإجابة في أصلها أنها تكون من إجابة رسول الله ﷺ في أحاديثه.[3]

ب– 3 استعمال اللهجات المحلية: تعتبر اللهجات المحلية في الأسئلة والأجوبة التي يقدمها الفقهاء في بلاد المغرب الأوسط من أساليب الحوار الصحيح، لأن لا تختلف اللهجات بين السائل والمفتي وعدم فهمه، لذلك يجب على المفتي فهم اللهجة جيدًا حتى يستطيع الإجابة على السؤال، مثل ما ذكره الونشريسي في تأليفه المعيار الجزء الأول مثل: " (باطلا) أي مجانا بدون مقابل، و(أصاب) بمعنى وجد ولقي، و(نتعوج) بمعنى ننحرف، و(عبَّاه) بمعنى ذهب به وحمله معه، و(ليهدَّنوا الشر بين الزوجين) بمعنى الإصلاح بينهما، و(ما يخصه منه قيراط) أي لا ينقصه منه شيء".[4]

ب– 4 الاختصار عند الفقهاء في الجواب: في بعض الأحيان تقتضي النوازل وقت طويلا وتمعن من أجل دراسة هذه النازلة دراسة جيدة وموسعة وشاملة من أجل الاستفادة منها، لأن نص النازلة على

[1] مُحَمَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 22.
[2] **المرجع نفسه**، ص 23.
[3] **المرجع نفسه**، ص 23.
[4] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 01، ص ز.

الأغلب يكون قصيرا، ومن جهة أخرى يكون جوابها طويلا، لأنهم يعرضون فيه أقوال الأئمة، ثم يرجحون قول على آخر، و أحيانا يقومون باختصار هذه الأقوال من أجل الإيضاح ...[1]

ب– 5 مكاتبة أهل المذهب من طرف الفقهاء في بلدان أخرى: دائما ما يكون الاختلاف في النوازل الفقهية، وهذا الاختلاف ليس فيه خطأ، بل يكون الحكم الأنسب للنّازلة الفقهية، ولا يكون عَجزاً من الفقهاء بل الأمر يصب في الأصح، مثل ما حدث مع القاضيان مُحَمَّد بن بشير ويحي بن معمر الألهاني، ذكر عن بن بشير عن عياض من حديث بقي بن مخلد والسياق عليه " كان ابن بشير يشاور في قضائه عبد الملك بن الحسن زونان والغازي بن قيس والحرث بن أبي سعد وإسماعيل بن البشير التيجي ..." وقال ابن الحارث " كانوا إذا اختلفوا عليه كتب إلى مصر: إلى عبد الرحمان بن القاسم وعبد الله ابن ووهب".[2]

3– كتب النوازل وأهميتها في الكتابة التاريخية: تطورت حركة التأليف الفقهي في نظر الباحث من حيث دراسته وقراءته لتأليف النوازل الفقهية، يجد نبرة مميزة عند المذهب المالكي ومدارسه خلاف المدارس المذهبية الأخرى سواء في بلاد المغرب الأوسط أو بلاد المغرب الإسلامي عامة والأندلس وفي جل المجالات الحضارية[3]، ففي هذا المذهب نجد الباحث الذي يعمل عقله ونظره ورأيه وأخذه بالقول المشهور والراجح والمرجوح والشاذ والضعيف إلى جراء وراء المصلحة، فمن هذا القول تظهر حركية هذا الفقه وقابليته للتطور والتجديد[4]، أما بعض الأغلاط التي تقع في الفقه النوازلي فيكون من إغفال بعض الفقهاء، لهذا أصبح العديد من الفقهاء يعقدون العزم من أجل نفض الغبار على هذا التراث العلمي الثقافي الضخم، الذي بقي حتى وقتنا هذا ويكون رابطا وثيقا بين الباحثين والأجداد[5].

أ– كتب النوازل وقيمتها الاجتماعية: يتّفق المختصون في مجال البحوث الاجتماعية والاقتصادية على أن كتب النوازل الفقهية التي دونت خلال العصر الوسيط لها قيمة كبيرة في فهم تاريخ المجتمعات

[1] مُحَمَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 24.
[2] **المرجع نفسه**، ص ص 24 – 25.
[3] مختار حساني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني**،ج1، المرجع السابق، ص 23.
[4] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 50.
[5] مصطفى الصمدي، **المرجع السابق**، ص 29.

المغاربة[1]، على رأسهم سعد غراب التونسي من خلال دراساته التي بيّنت القيمة والأهمية الاجتماعية لنوازل أبو القاسم البرزلي.[2]

فنوازل الفقهاء أغلبها تتحدث عن الجانب الاجتماعي مثل كتاب المعيار المعرب للونشريسي الذي تحدث فيه عن الكثير من المسائل الاجتماعية التي تحتوي على معلومات ومسائل فقهية واقعية قيمة، منها مسائل الزواج والطلاق، حيث سئل الفقيه أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد السرقسطي:" عمن خطب امرأة لولده ، وأكلا معًا الطعام من غير أن تقع بينهما شهادة، ثم توفي الخاطب بعد كتب الاستئمار، وأكل الطعام، فهل ترثه البنت المخطوبة أم لا ؟ . فأجاب: إن ثبت أن والد الزوجة البكر سمع منه أنه قال زوجت ابنتي البكر فلانة من فلان، وسمع الزوج أنه قال تزوجتها فإنهما يتوارثان".[3]

كما تشير دراسة مهمّة حول مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط مستقاة من كتاب نوازل المازوني ، كيفية معالجة الحياة الأسرية والمشكلات المتعلقة بها من حيث الخطبة والعقد والزواج والطلاق وغيرها. ومعالجتها للتكافل الاجتماعي وعلاقة الطوائف ببعضها البعض، والأحباس...الخ.[4]

كما نجد معلومات عن العادات والتقاليد والأعراف التي تمسكت بها مجتمعات المغرب الأوسط وكيف تعامل معها الفقهاء في فتاويهم، منها التزيين عند النساء والأدوات المستعملة وهل تجوز أم لا؟ وهناك إشارات عديدة تخص بعض العادات الفاسدة في المجتمعات المغاربية، نتج عنها الانحلال الخلقي وتعدد مظاهر الفساد التي شهدتها هذه المجتمعات، نهى عنها الفقهاء من خلال فتاويهم عن ممارستها و بضرورة تجنبها.[5]

[1] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 71.
[2] مُحَمَّد المنوني، **المرجع السابق**، ج02، ص 114 .
[3] الونشريسي ، **المصدر السابق**، ج 03، ص 168.
[4] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص 10.
[5] **المرجع نفسه**، ص ص 11 - 49.

ومن المسائل التي تقدّم بها الناس نحو الفقهاء والمتصوفة والصلحاء والأولياء من أجل نصحهم وتقديم لهم يد العون وكيفية التخلص من آثاره وطرح بعض الأسئلة الخاصة بهذا الوباء[1]، فأجاب الرصّاع بقوله:" أجمعت الأمة على أن الفرار ليس بواجب ، وإنما الخلاف هل هو جائز أو مكروه أو حرام"[2] .

كما تشير كتب النوازل إلى الرهن والحبس وتعريفهما، فيذكر البرزلي قول عياض حول الرهن: "...أن الرهن اللزوم، أي شيء ملزوم فهو رهن، عند قول هذا رهن لك أي محبوس دائما لك، عند قول راهنتك أي أنا راهن وأنت مرتهن، أما شرعاً: هو إعطاء شخص وثيقة بحق، أو إعطاء متموّل وثيقة بحق، ويدخل على الأول وثائق الديون والحمالة، فهذه من تعاريف النوازل.[3]

فالحبس والوقف واحد، فابن الحاجب يذكر الحبس وأهل المذهب يذكرون الوقف، أما الفقيه الجوهري فيعرفه بقوله: " وقفت الدار للمسكين لغة، وأوقفتها لغةٌ رديئة، كذلك يقول: " حبست فرسًا في سبيل الله فهو محبس وحبيس، أي الحبس يكون بالضم، لهذا يطلق عليه مصطلح الصداقة أو الحبس أو الوقف.[4]

تعتبر أقوال الفقهاء في كتب النوازل مصادر قيمة بالنسبة لضبط التعاملات و العلاقات لمجتمعات الغرب الإسلامي، حتى أصبح القضاة يصدرون أحكامهم استنادا على اجتهادات نوازل العصر[5]، فكان الأشخاص ينقلون النازلة كما حدثت إلى القاضي أو بعد وقوعها ثم يصدر الحكم من خلال اجتهادات النوازل الفقهية.[6]

[1] أبو عبد الله محمّد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، ص 50.
[2] محمّد حسن، **المرجع السابق**، ج01، ص608 .
[3] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج01، ص 05.
[4] **المصدر نفسه**، ج01،ص 316.
[5] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 71.
[6] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص 08.

وفي كتب النوازل نجد الكثير من المعاملات الاجتماعية السلبية، منها معاملات الأسواق، وما يحدث فيها من غش في المكاييل والتدليس في السلع...إلخ ، إضافة إلى نوازل المعاملات المتخصصة في مجتمع البادية.[1]

وبالعودة إلى نوزل الونشريسي والمازوني والبرزلي وقفنا على العديد من المسائل التي تحدث عن الجانب الاجتماعي لمجتمع المغرب الأوسط، ذات أهمية بالغة عند عامة الناس وأصبح العمل بها بينهم،[2] لأنها تعتبر مرآة صحيحة اهتمت بأحوال الناس وهمومهم خلال العصر الوسيط.[3]

ب – كتب النوازل وقيمتها الاقتصادية:

المتصفح لكتب النوازل يجدها تشير إلى العديد من المعلومات المتعلقة بمختلف الجوانب الاقتصادية منها: معاملات البيوع والشراء في بلاد المغرب الأوسط عامة، وسجلت لنا هذه النوازل حلولا لهذه القضايا الاقتصادية، ووضع الفقهاء أحكام يقتدي بها الباعة في الأسواق وفي مختلف المعاملات[4]، حيث حيث نجد العديد من النوازل التي أشارت إلى أحكام تمنع السلع المغشوشة والمعاملات الربوية، مثل: " عيوب العروض" التي تمكن في المواد الأولية، وكذلك " عيوب المثليات" المتمثلة في الأغذية، وكيفية المعاملة مع هذه العيوب من خلال فتاوى الفقهاء على نوازل العصر، فهذه الأحكام الفقهية وأقوال الفقهاء ونصوصهم الشرعية تخلّص مجتمع المغرب الأوسط من هذه العيوب التي مست السلع والخدمات.[5]

منحت هذه النوازل حلولا لمشاكل اقتصادية، منها ما يتعلق بكيفية التعامل مع أصحاب الحوانيت المكتراة في حالة جوائح طبيعية أو بشرية أو قلة البيع، التي تؤدي إلى فسخ العقود في هذه الحالة.[6]

---

[1] عبد القادر بوتشيش، **العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي في المغرب والأندلس خلال القرن 06هـ / 12م**، دار الطليعة، بيروت لبنان، 2002م، ص ص 77 – 83.

[2] الونشريسي ، **المصدر السابق**، ج 03، ص 298.

[3] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص 09.

[4] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 71.

[5] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 06، ص ص 50 -53.

[6] **المصدر نفسه**، ج 07، ص ص 451 – 452.

كما تعتبر كتب النوازل وما تحتويه من أقوال الفقهاء أحكاماً تنظم الأسواق من الغش والتدليس، مثلما ذكره أحمد بن يحي الونشريسي عند حديثه عن معاملات البيع والشراء مع فرض الضرائب وتحديد قيمة الربح، وذكره للعديد من المسائل الفقهية التي أشارت إلى كيفية دفع ثمن السلعة، وهل يجوز بيع الذهب بالذهب أو سلعة بنفس السلعة؟ أو سلعة مقابل عمل أو خدمة، أو بيع بأكثر من ثمن الحاجة.[1]

وفي ذكر أحوال الناس حول أحكام السوق، نجد يحي بن عمر بن لبابة صاحب كتاب أحكام السوق الذي اختصر فيه أحوال السوق والمعاملات، من أحكام يجب أن تطبق مثل: المكيال والميزان والأقفزة والأرطال والأواني وغيرها، ومراقبة أحوال أصحاب الحرف والصناعات من الغش والتدليس، ونهى أصحاب الملاهي ومنع الذين يبيعون الخمر وصاحب الحمام، وكذلك منع بعض العادات منها: البكاء وراء الميت حتى وصوله إلى المقبرة ... الخ.[2]

فيجب علينا التنبيه إلى أنّ بعض المؤرخين والمستشرقين الذين قاموا بالتنقيب على التراث العلمي الإسلامي النوازلي، خاصة كتابي المعيار للونشريسي والدرر المكنونة في نوازل مازونة، نجدهم لاحظوا أن لكتب النوازل قيمة علمية في التاريخ الإسلامي، فنذكر منهم على سبيل المثال: " لوبثأورتيث" والمستشرق " سلفادور بيلا" فهما مستشرقين إسبانيين ثم المستشرقين الفرنسين " ليفي بروفنسال" و"جاك بارك" إضافة إلى المؤرخ البحاثة " محمود علي مكي" الذي أصدر تحقيق بعض الفتاوى المختصة في أحكام السوق في بلاد المغرب الإسلامي.[3]

سئل الفقيه أبو مُحَمَّد بن أبي زيد عن " رجل له ساقية ماء تشق أرض رجل فأراد رب الساقية أن يحولها إلى جانب آخر وأبى عليه رب الماء وكيف إن لم يكن على رب الماء ضرر في تحويله شيء من جريه أو قربه أو بعده وهو في ذلك سواء"؟

فأجابه الفقيه بقوله: " ليس ذلك لواحد منهما إلا برضا صاحبه واعتل في ذلك بأنه إذا أراد رب الأرض تحويل الساقية في ناحية أخرى من أرضة ولا ضرر على الماء في ذلك قد يطول الزمان وتَسْتَحِقُ

[1] **المصدر نفسه**، ج 06، ص ص 193 -197.
[2] **المصدر السابق** ، ج 06، ص 406.
[3] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص 09.

تلك الناحية التي حول الساقية إليها فيبطل حق هذا في ساقيته. وأما إذا أراد رب الساقية وأبى رب الأرض فالرواية فيها معروفة وإلى الأخذ بها رجع مالك رحمه الله".[1]

ومن الفقهاء وأقوالهم حول المياه فنجد مثلا: الونشريسي الذي تحدث حل نظام المياه ومعالجة المشاكل المتعلقة بها في وقت نقص المياه أو وفرتها وكيفية توزيعها والمشاكل المترتبة في تنظيمها، التي صنفها في عنوان المعنون ببقية نوازل المياه في حوالي فصل[2]، ونجد معلومات قيمة بالنسبة للباحثين حول النشاط الفلاحي في العصر الوسيط من خلال النوازل الفقهية التي تتعلق بالأسئلة والأجوبة، وكذلك البيوع ونظامها في الأسواق، ومحاربة الغش والفساد الذي يصدر عن الباعة مثل: المبادلات التجارية من حيث الأسعار والنقود المدفوعة والمكاييل والأوزان وغيرها.

و بالإضافة إلى المصادر التاريخية الأخرى اهتمت كتب النوازل و المناقب و السير و الفقه و الأجوبة بالجوائح الطبيعية و الأوبئة و أشارت إلى ذلك من خلال النوازل الفقهية وأقوال الفقهاء والمحدثين والنصوص في هذا الباب خاصة أثناء وقوع الكوارث الكبرى و الجوائح العامة الشاملة.

فقد سئل فقيه عمن أفسد وأكلت مزرعته من قبل أبقار أو أغنام أو دجاج جاره، فهل يدفع ثمنها أو لا؟ فأجاب: هذه جائحة وإن كانت في النهار فعلا صاحب المزرعة يؤمنها وإن كانت في الليل فالراعي يدفع ثمنها، لأن الراعي هو حارس هذه الحيوانات[3].

و جاء في دراسة متخصّصة في هذا المجال تحدثت عن مسائل السقي و استغلال المياه بشكل دقيق في مقاله حول قضايا المياه بالمغرب الأوسط من خلال نوازل المازوني، حيث ذكر مصادر المياه التي كانت محلّ استغلال الساكنة منها المياه السطحية (الأنهار، الأودية، السدود، الغدير) فهذه المصادر ساهمت في ازدهار المغرب الأوسط وخاصة الجهة الغربية تلمسان من الثروة الفلاحية[4]، "حيث سئل الفقيه أبو الفضل العقباني عن ماء معد لسقي جنة محبسة تهدَّمَ سد مائها وتعطلت جاريته حتى تعذر ذلك بإصلاحه تعذرا لا تمكن إعادته إلا بقوة سلطانية ونفقة كبيرة، مع أن غلاة الحبس تقصر عن ذلك

[1] **الونشريسي، المصدر السابق**، ج 06، ص 398.

[2] **المصدر نفسه**، ج 08، ص ص 379 إلى 434.

[3] **المصدر نفسه**، ج 09، ص 548.

[4] نورالدين غرداوي، **قضايا المياه بالمغرب الأوسط في العهد الزياني من خلال نوازل المازوني**، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 09، العدد 01، 2008م، ص 38.

بمألوف العادة، ومنذ تهدم السد المذكور لم يحصل بذلك الماء انتفاع لا بصرفه لجنة أخرى محبسة ولا باكترائه لأحد، من أي باب الجنات التي حواليه، بل هو يتدفق من الشعاب والخنادق، فهل يسوغ لناظر بيع هذا الماء لعدم انتفاع الحبس به أو يعاوض به في أصل تعود على الحبس منه فائدة ويترك على ما هو عليه.

فأجاب: – الحمد لله– إن كان كما ذكر من تهدم مسيل الماء، وعدم القدرة على جبره، فلا بأس بالمعاوضة بمكان يعود على الحبس منه نفع ويمضي المعاوض به الماء حبسا، ولاكن إنما يمضي الحاكم ذلك بعد أن يثبت عنده الجواب، ويتعذر الجبر، وتثبت الغبطة في العوض الذي يكون للحبس، والله الموفق بفضله"[1].

و تشير دراسة مهمّة عن المياه الباطنية منها العيون والآبار والعناصر وغيرها، التي اعتمدها الفلاحون لسقي المزارع والبساتين من أجل إحياء النشاط الفلاحي، حيث أشار إلى العديد من المسائل التي ذكرها المازوني وكذلك أبو الفضل العقباني: " عن جماعة من المرابطين أنعم السلطان عليهم بإزواجة للحراثة وعليها عيون ماء، فاقتسموا الأزواج والعيون، فصار كل منهما يستغل مصح له بالقسمة من الأرض، وبما نظر له من الماء مدة طويلة، فبعدها غار ماء تلك العيون ، وتضرر أصحابها وأرادوا القيام على أصحابهم وأن يأخذوا من مياههم ما يحصل لهم به الانتفاع فيما يحرثونه، فهل تصح لهم مطالبتهم بذلك بعد القسمة.

فأجاب: – الحمد لله– إن كان اقتسامهم هذا لأجل الأرض، فأغار من الماء بعد ذلك فمصيبتهم على من وقع في سهمه، وإن كانت القسمة ليست في الرقبة ... في المنافع، لنهي الانتفاع، كان لمن غار ما أرضه القيام في نقض القسم، والله الموفق"[2].

فهذه النصوص النوازلية المذكورة وأحكامها تتحدث كذلك عن النشاط الفلاحي في بلاد المغرب الأوسط مثل الملكيات الزراعية وطرق استغلالها وكذلك الإرث والبيوع والمعارضة وعلاقة أرباب العمل

[1] **المرجع نفسه**، ص ص 40 – 41.
[2] **المرجع نفسه**، ص 44.

بالعمال[1]، وتقسيم العمل بين العمال، وكمية الإنتاج وبيعها، وعلاقة المدن بأهل البادية والمعاملة معهم، وكيفية تقسيم المياه في السواقي والسدود والأودية وغيرها، ومن هذه التعاملات والمشاكل التي طرأت على النشاط الفلاحي زادت علاقة أهل البادية مع الفقهاء من أجل إعطائهم حلول للنازلة أو الشدة الواقعة عليهم، فكانت هذه الفتاوى التي تقدم للفلاحين وأهل البادية في بلاد المغرب الأوسط تأخذ من النصوص الشرعية، حيث تلازمت وتمسك مجتمع المغرب الأوسط بفقهاء المالكية الذين تميزوا عن باقي المذاهب الأخرى ، في المعاملة مع الناس العامة والفلاحين وإيجاد الحلول لكل المشاكل التي وقعت في الفلاحة.

ج- كتب النوازل وقيمتها الفكرية والثقافية:

يفيد المتخصّصون في ميدان استخلاص المادّة التاريخية من المصادر النوازليّة أن كتب النوازل التي ظهرت خلال العصر الوسيط لها قيمة كبيرة من أجل فهم التاريخ المغاربي في مختلف جوانبه، خاصة الثقافية، حتى أصبحت بلاد المغرب الأوسط والأدنى مسقط رأس الفقهاء المهاجرين من كل بلاد، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، نجد الفقيه الشيخ مُحَمَّد الدكالي، والشيخ عمر الرجراجي، وبالكاد نشبت في هذه المنطقة العديد من الحوارات والنقاشات الفقهية الحادة بين الفقهاء الوافدين عليهما .[2]

تحتوي كتب النوازل على مجموعة كبيرة من الأسئلة والأجوبة تخص شتى مجالات الحياة التي يعيشها الإنسان من قديم الزمان حتى يومنا هذا ومستقبلنا، نذكر على سبيل المثال بعض الأسئلة المتعلقة بالنوازل التي ترتبط بالتعليم و التدريس في المساجد و الكتاتيب حيث يظهر منها المنحى الثقافي العام لبلاد المغرب الأوسط.

فتفيد نازلة فريدة في قيمتها العلمية و الثقافية و الحضارية جاءت في المعيار حول صفات المعلّم و المدرّس الذي يتولّى تعليم الأطفال، و جاءت النازلة بما يشبه القانون الضابط للعلاقة ما بين المعلّم و المتعلّم فقد وصف الونشريسي بأنه« و ينبغي أن يكون المعلّم مهيبا لا في عنف ، لا يكون عبوسا مغضبا ولا مبسوطا مرفقا بالصبيان دون لين، و ينبغي أن يخلص أدب الصبيان لمنافعهم، و لا يجعل شيئا من ضربه لقبضه و يريح قلبه من غيضه، فإن فعل فإنّما ضرب أولاد المسلمين و ليس من العدل... » ثمّ يبيّن

[1] نورالدين غرداوي ، **كتاب الجامع للقاضي أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني المتوفي سنة 883هـ / 1478م**، المرجع السابق، ج01، ص 70.

[2] مُحَمَّد المنوني، **المرجع السابق**، ج02، ص 114 .

صفة الضرب بأن يكون« لما علم بينهم من الحميّة إلاّ من يعلم منه علم التجاوز فيسعه التخلّف مع العذر و لا يضربه على رأسه ووجهه، إذ هو غرر يصيب الدّماغ أو يضرب العين أو يؤثّر أثرا قبيحا، و الضرب في ساق الرجلين آمن ...و يجتنب الضرب بالعصا و اللوح... »[1]

تعتبر كتب النوازل ذات قيمة علمية وأدبية في الحياة والسلوك الإنسانية ببلاد المغرب الأوسط عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة، وهو حيث ظلّت الدراسات والفتاوى والفقه الناتج عن الفقهاء متواصلاً حتى القرن التاسع هجري، مثل نوازل المازوني والبرزلي وابن الحاج والونشريسي[2]، وأبي عبد الله سيدي المهدي الذي قال: " سئل الحائك أيضا عن تصحيح ما أفتى به غيره من أن المهملة البالغ إذا تزوجت ودخل بها زوجها ومكثت معه سنة فإنها تحمل على الرشد"، فقدم إجابته لسائل حيث قال: " إن المذكور صحيح في المهملة، به جرى العمل في مجهولة الحال كما لأبي على وغيره"[3].

و من جهة أخرى خفت ذكر توصيف المدارس و الكتاتيب ببلاد المغرب الأوسط من خلال النوازل الفقهية لقولها: " ولو أنّنا اعتمدنا على نوازل المعيار في تصور نشوء المدرسة، لوجدنا صمتا تاما عن ذكر المدارس حتى القرن السابع هجري".[4]

جاء في قول حسن الوزان :" وكثيرا ما يتلهى في المساجد يوم الجمعة في الوقت الذي يجتمع عادة ألاف الأشخاص ، فإذا وصل الخطيب إلى أحسن فقرة في خطبته واتفق أن سعل آخر (ثم آخر) وهكذا حتى يسعل الجميع في نفس الوقت تقريبا إلى نهاية الخطبة فيفترقون دون أن يسمع أحدا إليها"[5].

نرى ابن صعد وأسرته العلمية التي تقربت من السلطة الزيانية ذات التيار الصوفي، فبدأ بنشر العلم وإلقاء المحاضرات الدينية والفقهية، ففي هذه الفترة الوجيزة من الزمن اجتاح الوباء والطاعون الذي أزَّم هذه الفترة، فتدهورت الأوضاع وانعدم الأمن والاستقرار وانحرف الناس إلى الطريق الخاطئ، فأراد ابن صعد تغيير هذه الأوضاع إلى الأحسن وهذه الفكرة غاية التيار الصوفي والسلطة الزيانية، فبدأ بنصح

[1] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 8، ص250.
[2] مسعود كربوع، **المرجع السابق**، ص 50.
[3] أبي عبد الله سيدي المهدي، **المصدر السابق**، ج03، ص 192.
[4] مسعود كربوع، **المرجع السابق**، ص 50.
[5] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج01، ص 84 .

والإرشاد لناس عامة وتوعيتهم بأن هذا الوباء سوف يزول أما الأخلاق فتدوم عليكم بالتمسك بالدين الإسلامي وأخلاقه والابتعاد عن الأعمال الدنيئة والتي تهلك المجتمع وتغضب الله سبحانه وتعالى[1].

و عن مسألة تنظيم أجور المعلّمين و مكافآتهم سئل الفقيه عبد الحق بن سبعين من طرف الشيخ أبي على السماط عن أجور التعليم و " الحذقة" حيث قال:" أرأيت ما روي عن سحنون أنه قضى بسبعة دنانير في ختمة البقرة" ؟ أجابه الشيخ حيث " قال هو ضعيف. وعن ابن حبيب يقضى بالحذقَة بالنظر والظاهر بقدر ما يرى من مال الأب ويسره وقوة حال الولد من حفظه وتجويده لأنها مكارمة جرى عرف الناس عليها، إلا أن يشترط الأب تركها، فإن أخرج الأب ابنه قرب الحذقة وإن بقي منها ماله قدرٌ وبالٌ كالسدس ونحوه سقط، وليس له حساب ما مضى منها، وإن شرط المعلم الحذقة لم يجز دون تسمية، وإن أخرج الأب ابنه قبل بلوغها لزمه بحساب ما مضى ولو قل[2].

سئل أبو زيد سيدي عبد الرحمان الحائك: " عن النظر فيما كتبه بعض حذاق تلامذته جواب سؤال نصه الذي لابن سلمون عن ابن الحاج ما نصه: إذا أراد الرجل القيام بالحسبة على وصي إلى نظر أيتام بإيصاء أبيهم ليعلم مقدار ما خلف أبوهم عنده لهم ويوقفه أيضا على ما تركه المتوفي فله ذلك، وسواء كان الوقف ممَّن يرث الأيتام أو لا يرثهم، وإن أنكر الوصي بعض ما يوقف عليه ولم تكن له ببينة فعليه اليمين، وإن كانت الوصية أم الأولاد دخله الاختلاف في تحليفها لهم"، فأجاب عن السؤال حيث قال: " إنه صحيح، وقد تكلم على محاسبة الوصي، الحطاب وغيره"[3].

وتفيد العديد من النوازل عن أحوال التعليم و التدريس في البوادي و القرى أن التعليم كان في دور العلم المتمثلة في البيوتات العلمية والدور والمكتبات والزوايا والمساجد، فالتعليم من طرف المشايخ والفقهاء الذين تخرجوا من طرف مشايخهم بإجازة، وكذلك من طرف الأسر العلمية المتواجدة في بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة نذكر منهم: أسرة أبناء الإمام وأسرة ابن مرزوق وابن قنفذ وغيرهم، حتى أن أصبح المغرب الأوسط يمثل مركز إشعاع علمي[4].

[1] الطاهر منزل، **المرجع السابق**، ص ص 90 – 91.
[2] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 08، ص ص 238--240.
[3] أبي عبد الله سيدي المهدي، **المصدر السابق**، ج03، ص 193.
[4] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص ص 113 إلى 122.

وتشير العديد من النوازل بأن بلاد المغرب الأوسط أصبحت منطقة خصبة للبحث العلمي والاجتهاد في المسائل والمناظرات الفقهية، وسكانها تمسكوا بالمذهب المالكي وتشبثوا به، وهذا يعود إلى تشجيع الحكام والأمراء لمجتهدي هذا المذهب على المذاهب الأخرى، وعليه أصبح فقهاء المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة يبنون اجتهاداتهم على طريق الامام مالك مثل: ما بلغ إسماعيل القاضي درجة الاجتهاد ولم يخرج عن مذهب مالك".[1]

بالرغم من انتشار مذاهب أخرى على غرار مذهب الخوارج والشيعة الإسماعيلية إلا أن سكان المغرب الأوسط تمسّكوا بالمذهب السني المالكي، الذي بقي راسخا في أذهانهم إلى يومنا هذا، فلهذا كانت المناظرات الفقهية تقوم دائما بين فقهاء السنة وفقهاء المذاهب الأخرى، وظهرت حركات مناوئة وأخرى مؤيدة، إلى أن أصبحت هذه المنطقة أرض خصبة لزرع الأفكار، فتتبلور وتصبح مذهب أو فرقة، مثل: المتصوفة. وبعد نشوء المساجد والزوايا بدأ المحدثين والفقهاء بتنوير عقول الناس وإبعادهم عن كل ما هو مخالف لدين الله تعالى وسنة الرسول ﷺ، وتجسد ذلك في تدوين وتأليف كتب النوازل.[2]

لقد أدركت أخيرا جلّ الدراسات التي التفتت إلى اعتماد الكتابات النوازلية كمادّة تاريخية و عرفت قيمتها العلمية، فهي ليس موسوعة فقهية فقط بل شاملة إلى جميع مجالات الحياة ودراستها، واعتمد عليها جل الباحثين والمؤرخين، لهذا شكلت كتب النوازل الفقهية قوة علمية في الحياة اليومية لا تضاهيها علوم أخرى، فالنوازل الفقهية لها قيمة كبيرة في بلاد المغرب الأوسط كونها كانت المرجعية الأساس لأهل المنطقة تحدّد لهم مسارات حياتهم، و تحلّ مشاكلهم، و تضبط علاقاتهم على عديد الأصعدة[3].

د – كتب النوازل وقيمتها السياسية:

من الممكن جدّا أن نجد مسائل تخصّ بعض القضايا السياسية من خلال النوازل الفقهية التي حدثت ونشبت في بلاد المغرب الإسلامي سواء من الداخل أو خارج البلاد، من طرف الفقهاء الذين أرادوا إيجاد حلول للأوضاع السائدة وإرجاعها للنصوص والإجماع، مثلما نجد هذه القضايا عند بعض الفقهاء مثل: نوازل البرزلي، والمازوني، وابن الحاج، والونشريسي الذي ناقش قضية قبول خطاب المدّجنين

[1] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 02، ص 170.
[2] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص ص 93 إلى 109..
[3] محمد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 60.

وقضاتهم الذين كانوا تحت إيّالة النصارى[1]، مثلما تحدث الفقيه الونشريسي عن شخصية المتمرد عمر بن حفصون[2]، وحاشيته التي كانت متمردة على الدولة الأموية حتى أن أصبحت محاورتهم لا تقبل ولا شهادتهم فصنفهم الفقهاء مع النصارى، وذلك مذكره ابن قوطية في تأليفه تاريخ افتتاح الأندلس، ويوجد الكثير من الأحداث السياسية المعالجة في النصوص الفقهية من خلال الفقهاء الذين عاشوا في هذه الفترة، وكذلك الشخصيات البارزة وطوائف هذا العصر[3].

يذكر الفقيه أبو عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني أن بلاد المغرب الأوسط تعرضت للعديد من المرات للمجاعة و الطاعون الأسود الجارف الذي هلك الناس[4]، مثل : مجاعة تلمسان سنة (776هـ / 1373م).

أما الفقيه الونشريسي فقد جاء عنده في نازلة أنه عندما يتأزم الجانب الاقتصادي من خلال الجوائح الطبيعية أو الصراعات البشرية فتكثر المجاعات وتنتج عنها الأمراض[5].

هـ – كتب النوازل وقيمتها العسكرية:

تشير كتب النوازل إلى قضايا ومسائل تتعلق بالحياة العسكرية، منها قضايا الجهاد مثل: ما جاء في المدونة الجوائح الطبيعية التي تأتي من عند الله تعلى منها:" الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم" فهم جوائح، أما الناس واللصوص والعسكر إن لم يعرفوا فهذا يعتبر جائحة، أما الفقيه ابن نافع قال: اللص هو جائحة، أما الفقيهان ابن رشد والباجي ذكر بأن العسكر ليس بجائحة كاللص، أما الفقيه عبد الحق قال: السارق إن لم يعرف جائحة، وإن عرف يغرم ويدفع لشاري وليس جائحة، قال الفقيه ابن رشد:" أن لا جائحة في السارق ولا ما يأخذه السلطان"[6]، فكان الفقهاء يذهبون إلى بعض المسائل الحربية التي تحتوي على مسائل مهمة، إلى أن أصبح الفقهاء

[1] مسعود كربوع، **المرجع السابق**، ص 48.

[2] ابن عذارى المراكشي، **المصدر السابق**، ج01،ص 149.

[3] مسعود كربوع، **المرجع السابق**، ص 48.

[4] أبو عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، ص 50.

[5] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج11،ص 185.

[6] ابن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1 ، ص 1615.

يخرجون إلى المناطق للرباط في سبيل الله، حيث كان أهل البلاد ينتظرون الفقهاء بعد عودتهم من الربط لطرح بعض الأسئلة عليهم، في شتى المجالات وبدور الفقهاء الإجابة على كل ما طرحا عليهم[1].

فهناك بعض الفقهاء يعتبرون السارق جائحة ومنهم من لا يعتبر أنه جائحة بل يغرم السارق ويحبس، فتمثل السارق في سرقة أملاك الناس والدولة[2]، لذلك قال الفقيه مالك بعد أن سئل عن جماعة من بلاد المغرب الأوسط تشكل خطرًا على أهل البلاد وسلب أملاكهم، قال: " في أعراب قطعوا الطريق جهادهم أحب إليَّ من جهاد الروم"، مما جاء في الحديث:" من قتل دون ماله أو دون المسلمين فهو أعظم لأجره"، حيث قال الفقيه ابن القاسم: إتباعهم وقتالهم، أما ابن سحنون قال: يتبعون ويقتلون بدون توبة، أما الفقيه أبو مهدي سيدي عيسى بن أحمد بن مُحَمَّد الغبريني قال: يقتلوا، من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:[إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعًا من الناس، ولكن يقبض الْعلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُترك عالما اتخذ الناس رؤُوسًا فأفتواْ بغير علم فضلُّوا وأضَلُّوا] فطبقها على أهل الحرابة[3].

قال الله سبحانه وتعالى:{ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يُقَتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا وله في الآخرة عذاب عظيم} المائدة 33[4]، فهذه الآية شرحها الإمام مالك والشافعي والثوري في كتاب الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لأبي عبد الله مُحَمَّد أبي أحمد ابن الشماع[5].

ومن النوازل التي طرحت على الفقهاء نجد: صرف الزكاة في الجهاد، حيث سئل المواق بالأندلس عن صرف الزكاة في الجهاد فأجاب: " هذا الذي انتدب إليه هؤلاء الفضلاء ليس بمبتدع، لما نزل البرشلون المرية، ونصب عليها برج عودين، أيد ارتفاع سور المدينة ست قامات، وقربه من سور المدينة، ودخل فيه خمسمائة من المدرعين فدهش منه المسلمون، فانتدب أهل الشورى وعدوا ستة النفر المذكورون وأطلقوا النار فيه فأحرق بجميع من كان فيه، فسُر المسلمون بذلك ورجع النفر الستة، وقال

[1] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 10، ص 382.

[2] مختار حساني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني**،ج3، المرجع السابق، ص 255.

[3] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج06، ص ص 153 – 155.

[4] سورة المائدة، **الآية** 33.

[5] أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر بن مُحَمَّد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص 134.

المسلمون: الذي وعدناكم به قليل في حقكم، ونحن نوزع ما وعدناكم به على الناس ... وأعود مكرمة، هؤلاء لمصلحة البلاد".[1]

4- نماذج من كتب النوازل الفقهية:

أ – جامع مسائل الأحكام مما نزل بالمفتيين والحكام لأبي القاسم بن أحمد ابن مُحَمَّد البلوي القيرواني البرزلي **(738هـ – 1337م / 15 ذي القعدة 841هـ – 20 ماي 1438م)**:

هو " أبو القاسم بن أحمد بن مُحَمَّد بن المعتل البلوي القيرواني الشهير بالبرزلي – أبو الفضل –" واسم البرزلي كان يلقب به أبوا القاسم البرزلي فقط مما جاء في المصادر والكتابات التاريخية، الذي كان يعتبر فقيه تونس ومولده في القيروان، ثم ظهر رجل أخر اسمه مُحَمَّد من المرابطين يقطن بالقيروان يدعى بالبرزلي، في بداية القرن السابع هجري، ولا نجد إلا السخّاوي صاحب الضوء اللامع أنه يذكر أن البرزلي نسبة إلا قبيلة " بُرْزُلة"[2].

إذا عدنا إلى البحث في القبائل البربرية ودراستها نجد أنه توجد قبيلة بربرية تستقرّ في القيروان على عبر التاريخ تسمى " بني برزال" فأزاحوها إلى المعنى " البرزلي"، وهذه القبيلة تعود إلى بطن من بطون قبيلة زناتة الواقعة بأرض المسيلة من بني يفرن التي أصبحت تمثل دويلة صغيرة بالأندلس في مدينة قرمونة التي (459هـ / 1067م)، بعد سقوطها انتقل عالمان منها إلى بلاد الشام هما: " زكي الدين البرزلي صاحب المعجم الكبير توفي سنة (636هـ / 1239م)، أما الآخر علم الدين صاحب المصنفات العديدة وتأليف آخر تاريخ الشام المذيّل به على تاريخ أبي شامة توفي سنة (739هـ 1339م)"[3].

أما الباحثون والمؤرخين لن يقدموا لنا أي دليل على القبيلة التي ينتمي إليها البرزلي إلا أن قدم لنا البلوي إن البرزلي ينتمي إلى قبيلة " بليّ"، ويجب علينا أن لا يهمّنا موطنه أو نسبه بل يهمّنا علمه الذي

[1] **الونشريسي، المصدر السابق**، ج 07، ص 148.

[2] أبو القاسم البرزلي، **فتاوي البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من قضايا المفتيين والأحكام**، تح: مُحَمَّد الحبيب الهيلة، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ج01، ص 05.

[3] **المصدر نفسه**، ج01، ص 06.

قدمه للأمة الإسلامية كتراث عريق الذي أضاء لنا الطريق الصحيح والصواب الذي يتمثل في كتابه الفتاوى والذي هو محققا ومنشور حالياً[1].

فمن دراستنا للمادة العلمية التي تناولها المؤرّخون و العلماء والفقهاء أن ولادة البرزلي لم تكن مثبتة بتاريخ معين فمن حيث المقارنة أولنا أن مولده سنة (738هـ / 1337م) بالقيروان، والذي عاش حوالي مائة وثلاث سنين من حيث أن اتخذنا وفاته في سنة (841هـ / 1438م)، أما عن عائلته فلم نجد آثارا عنهم في المصادر التاريخية والفقهية[2].

أ–1– وفاته من خلال المصادر الفقهية والتاريخية:

يرى السخّاوي من حيث نظرته في تحديد تاريخ وفاته : " وأرخ بعضهم وفاته بتونس سنة (844هـ / 1440م) وبعضهم في التي قبلها" أما القرافي يشاطره الرأي، وإذا عدنا إلى ابن أبي مريم الذي نقل عن السخاوي في قوله: " وذكر بعض أصحابنا وفاته سنة (842هـ / 1438م)، وكذا رأيته مقيدًا في بعض المواضع، أما أحمد بابا اتبعهما كلاهما في كتابتهم[3].

ويرى الزركشي صاحب تأليف كتاب تاريخ الدولتين: " وفي يوم الخامس وعشرين لذي القعدة من العام المذكور (15 ذي القعدة 841هـ / 20 ماي 1438م)"، أنه توفي بتونس وكان دفنه بالزلاج، ويتحدث عنه السراج صاحب الحلل السندسية في الأخبار التونسية الذي كتب ونقل من ترجمة البرزلي عن السخاوي والقرافي وأحمد بابا ويورد.

كان الزركشي ينقل ولا ينقد ويمحص أو يرجح، وكذلك اتبعه مُحَمَّد مخلوف صاحب شجرة النور الزكية، وإذا عدنا إلى مُحَمَّد بن أبي شنب في" إجازة الفاسي ودائرة المعارف الإسلامية اللذان أشار عن تاريخ وفاته المتفق عليه وهو في سنة (841هـ / 1438م)، أما المستشرق بروكلمان الذي اتبع رأي الزركشي وثبت رأيه وذكر بأن وفاة الحاج البرزلي " ت (25 ذي القعدة 841هـ / 20 ماي 1438م) ولا يعترف بأقوال الآخرين.

[1] **المصدر نفسه** ، ج01، ص 06.
[2] **المصدر نفسه**، ج01، ص 07.
[3] **المصدر نفسه**، ج01، ص 07.

نرى بعض التعقيبات من فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام مما نزل من قضايا المفتيين والأحكام الذي حققه مُحَمَّد الحبيب الهيلة قال: " 1 – الزركشي مؤرخ تونسي قريب عهد من المترجمَ وهو بالإضافة إلى ذلك قلما يقع في خطأ تاريخي فيما يرويه من الأخبار عن بلده تونس وعن رجالها. 2 – السخاوي مصري بعيد الدار اعتمد على روايات شفوية، وهو كثيراً ما يقع في خلط واضطراب فيما يتعلق بتراجم التونسيين والمغاربة. 3 –ابن مريم مغربي اعتمد على روايات شفوية وأضاف إليها رأى مقيداً في بعض المواضع تاريخ وفاة البرزلي (ت سنة 842هـ) ولم يذكر مصدره[1].

فمن شيوخه وأساتذته الذين علموه وتعلم عليهم العلوم نذكر منهم البعض: أبو عبد الله بن مُحَمَّد بن عرفة الورغمي التونسي (ت 803هـ / 1401م) له الكثير من التأليف في الفقه والأصول والتفسير والمنطق، أبو عبد الله مُحَمَّد بن يوسف البلوي الشبيبي القيرواني (ت شهر صفر سنة 782هـ / 1380م) الذي أخذ عنه القراءات والحديث والفقه والفرائض والنحو والحساب والتنجيم، أبو عبد الله شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالخطيب (ت سنة 781هـ / 1381م) الذي شرح عمدة الأحكام لعبد الغني المقديسي والشفاء للقاضي عياض والأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي، أبو الحسن مُحَمَّد بن أحمد بن موسى البطرني الأنصاري (ت في ذي القعدة سنة 793هـ / 1391م) له العديد من الفتاوى، أبو العباس أحمد بن مسعود البلنسي القسنطيني المعروف بابن الحاج كان إمام بتونس، أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن حيدرة التوزري التونسي (ت في ربيع الأول 778هـ / 1376م) له الكثير من الفتاوى.

كذلك برهان الدين بن أحمد بن أحمد بن عبد الواحد الشامي الشافعي الضرير (ت في جماد الأول سنة (800هـ / 1398م) قرأ عليه بجامع الأقمر، أبو القاسم أحمد بن أحمد بن أحمد الغبريني ت (772هـ / 1370م) له العديد من الفتاوى، أبو العباس أحمد بن إدريس البجائي (ت 760هـ / 1359م) له كتاب في الفقه، أبو العباس أحمد بن سليمان بن مُحَمَّد العدناني البرشكي (ت 780هـ / 1378م) له حواش على رياض الصالحين للنووي، جمال الدين أبو زيد عبد الرحمان بن مُحَمَّد بن عبد

[1] **المصدر نفسه**، ج 01، ص 08.

الرحمان بن مُحَمَّد الدناني البرشكي التونسي المالكي ت (816هـ / 1413م) صاحب كتاب طرد المكافحة[1].

أ – 2– و من الكتب التي درس عليها الشيخ البرزلي يمكن تصنيف بعضها على حسب نمط العلم الذي يتحدث عليه، فنذكر منها:

أولا– القراءات والدراسات القرآنية:" تفسير القرآن على أبي مُحَمَّد الشبيبي وابن عرفة، قراءة القرآن بالسبع على الشبيبي وابن عرفة وأبي الحسن البطرني وابن الحاجة وأبي عبد الله اليفرني ، التسيير في القراءات لأبي عمر والداني على ابن عرفة، الشاطبية الكبرى: حرز الأماني لشاطبي على الشبيبي وابن عرفة وابن مرزوق الخطيب وبرهان الدين الشامي وأبي عبد الله اليفرني، الشاطبية الصغرى: عقلية أتراب القصائد للشاطبي على ابن مرزوق الخطيب، الدرر اللوامع في قراءة نافع لعلي بن مُحَمَّد الرباطي الشهير بابن بري على ابن مرزوق الخطيب[2].

ثانياً – كتب الحديث: صحيح البخاري على ابن عرفة وأبي الحسن البطرني وابن مرزوق الخطيب وبرهان الدين الشامي وابراهيم الدمشقي ابن الرشام وأحمد البرشكي، صحيح مسلم على الشبيبي وغبن عرفة وأبي الحسن البطرني وابن مرزوق الخطيب وبرهان الدين الشامي وأحمد البرشكي ، سنن أبي داود السجستاني على أبي العباس أحمد البجائي البرشكي، سنن النسائي على أبي الحسن البطرني، جامع الترمذي على ابن عرفة، موطأ مالك على الشبيبي وابن عرفة وابن مرزوق الخطيب، الشمائل للترمذي على برهان الدين الشامي، الشفاء للقاضي أبي الفضل عياض على ابن عرفة وأبي الحسن البطرني وابن مرزوق الخطيب وبرهان الدين الشامي وأحمد البرشكي، علوم الحديث لابن الصلاح على ابن عرفة، الأحكام الصغرى لعبد الحق الإشبيلي على أبي الحسن البطرني، الأحكام الكبرى لعبد الحق الإشبيلي على أبي الحسن البطرني، عمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي الجماعيلي على أبي الحسن البطرني وابن مرزوق الخطيب، النووي في الحديث على برهان الدين الشامي، حديث الرحمة على أبي الحسن البطرني، حديث وضع اليد على الرأس على أبي الحسن البطرني[3].

[1] **المصدر نفسه** ، ج 01، ص ص 9 – 12.
[2] **المصدر نفسه** ، ج 01، ص 13.
[3] **المصدر نفسه**، ج01، ص 14.

ثالثًا – أصول الفقه: محصل أفكار المتقدمين لفخر الدين الرازي على ابن عرفة، الإرشاد على قواطع الأدلة للإمام الحرمين على ابن عرفة، كتاب ابن الحاجب في الأصول وهو منتهي السؤال على ابن عرفة وعبد الرحمان البرشكي[1].

رابعًا – فروع الفقه: رسالة ابن أبي زيد القيرواني على الشبيبي وابن عرفة، كتاب التهذيب لأبي سعد البراذعي على الشبيبي وابن عرفة، كتاب الجلاب في الفقه على الشبيبي وابن عرفة، كتاب ابن الحاجب في فروع الفقه على ابن عرفة، المعالم الفقهية للتلمساني على ابن عرفة، الرخصة في تقبيل اليد على أبي الحسن البطرني، كذلك قال الرصاع أن للبرزلي روايات لتآلف الفقهية بسندها على أشياخها[2].

خامسًا – التصوف: أحزاب الإمام الشاذلي على أبي الحسن البطرني، جزء من كلام مُحَّد المرجاني على أبي الحسن البطرني.

سادسًا – أمداح الرسول ﷺ: البردة للبصيري على أبي الحسن البطرني، الشقراطيسية للشقراطسي على أبي الحسن البطرني.

سابعًا – النحو: الجمل للخونجي على أبي مُحَّد الشبيبي .

ثامنًا – فنون مختلفة: أخذ الفرائض والحساب والتنجيم على أبي مُحَّد الشبيبي.

تاسعًا – الإجازات: نذكر بعض الإجازات التي تحصل عليها عن شيوخه: أجازه أبو مُحَّد الشبيبي سنة (766هـ / 1364م) الذي قال فيه أشهد على ما يحمله، ثم أجازه أبو عبد الله مُحَّد بن عرفة الذي قال كتب له بخطه أن كل ما يحمله ويرويه[3].

عاشرًا – رحلاته: ارتحل الشيخ البرزلي إلى بلاد المشرق من أجل أداء مناسك الحج سنة (799هـ / 1399م)، بقي هناك سنة حتى سنة (800هـ / 1397م) هذا على إجماع المصادر، إذ يؤكد لنا البرزلي في فتاواه " قلت: شاهدت عام حججت وهو عام تسعة وتسعين وسبعمائة وعام ثمانمائة نوعًا مما قال الشيخ ... " الذي اتخذ طريقه نحوي براري برقة، وأيضًا قال: " ولما وردنا على أرض برقة مات من

[1] **المصدر نفسه**، ج01، ص 14.
[2] **المصدر السابق** ، ج01،ص 15.
[3] **المصدر نفسه**، ج01، ص 15.

الركب ومرض شيء كثير"، ثم التقى بشيخ صالح أبي عبد الله مُحَمَّد الدكالي في الإسكندرية، فتحدث معه عن خروجه إلى مصر بسبب عراكه مع ابن عرفة، بسبب أخذ الأجرة عن الإمامة، قال، " وباحثته في المسألة بثغر الإسكندرية"[1].

الحادي عشر – تلاميذه: تتلمذ على يده العديد من الطلبة نذكر منهم البعض المذكورة في المصادر منهم: أبو القاسم بن ناجي القيرواني ت (837هـ / 1434م) صاحب تأليف ذيل معالم الإيمان الذي أخذ عنه معن ابن عرفة، وعمر بن مُحَمَّد بن عبد الله الباجي التونسي المشهور بالقلشاني الحفصي ت (848هـ / 1444م)، الذي ذكره الرصاع في فهرسته وقال أنه تتلمذ على يدي الشيخ البرزلي له العديد من التأليفات الفقهية، ومُحَمَّد بن عمر بن مُحَمَّد القلشاني أبو عبد الله الذي كان قاضي بتونس وقاضي بجامع الزيتونة وخطيباً بجامع الموحدين حتى أن أتته المنية في شعبان (890هـ / 1485م).

وأحمد بن علي العسقلاني الذي عرف بابن حجر عالم عصره وحافظ للقرآن الكريم وله العديد من تأليفات حتى أن توفي سنة (852هـ / 1449م)، وعبد الرحمان بن مُحَمَّد بن مخلوف الثعالبي الجزائري من علماء عصره والمؤلفين بعد أن أتته المنية سنة (875هـ / 1470م)، ومُحَمَّد بن القاسم الأنصاري المعروف بالرصاع التلمساني الذي أخذ عن البرزلي، وذكره كثيرا في الفهرست وكان مفتي في الجامع الأعظم ومن مؤلفاته: شرح حدود ابن عرفة وكتاب في أسماء الرسول وشرح البخاري وشرح رسالة أبي عبد الله الظريف الذي توفي سنة (894هـ / 1489م)، والحلول القروي: أحمد بن عبد الرحمان اليزليتني القروي من فقهاء عصره وعلم طالبه ابن عرفة فتولى القضاء بطرابلس ثم علم في بعض أماكن التدريس حيث كان على قيد الحياة سنة (875هـ / 1470م).

ومُحَمَّد بن أحمد بن عيسى بن فندار القيرواني الذي ألف في الفقه إلى أن توفي سنة (889هـ / 1884م)، ومُحَمَّد البحيري التونسي الذي عمل في منصب قضاء الأنكحة في تونس بعد أن توفي في ذي القعدة سنة (858هـ / 1454م)، وأبو عبد الله البوسعيدي البجائي الذي اختصر نوازل البرزلي في عنوان الحاوي في النوازل، وعبد الله بن علي الشريف عرف التكودي القيرواني الذي عمل بالقيروان إماما وخطيبا بعد أن توفي سنة (803هـ / 1401م)، وأحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله التجاني الملقب بابن كحيل التونسي الذي ألف في التصوف والفقه والوثائق حتى أن توفي سنة (889هـ / 1484م).

[1] البرزلي، **المصدر السابق** ، ج01، ص 20.

ومُحَمَّد بن أحمد بن الحاج يعرف بابن زغدان الذي كان متصوفا وأخذ عن البرزلي بعد ان وفته المنية سنة (882هـ / 1477م)، ومُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم التريكي التونسي الذي أخذ عن البرزلي وألف في النحو فتوفي سنة (894هـ / 1489م)، وأحمد بن يونس بن سعيد القسنطيني التونسي المولود في سنة 813هـ / 410م)، ثم أخذ عن الشيخ البرزلي الذي ألَّف في الفقه ومدح الرسول ﷺ بعد أن توفي في شوال (878هـ / 1474م)، وعلي العلوي الذي ذكره الرصاع[1].

فكانت علاقة الشيخ البرزلي مع طلبته علاقة حسنة مثل علاقته مع طالبه ابن الناجي الذي أخذ عنه كل شيء فذكره في ذيل معالم الإيمان، فلازمه في كل مكان ثم أخذه للسلطان الحفصي[2].

ومما جاء في نوازل البرزلي من حديث عن الوباء قال: " وهو انتفاخ العصب، ومنها الشظى وهو عظم ناتٍ بالذراع، فإذا تحرك قيل شظى الفرس، ومنها الدحس وهو ورم يكون في أطرة حافره، ومنها الزوائد وهي أطراف عصب تبرق عند العجالة فيقطع عنها ويلصق بها. وفي تفسير آخر هي متولدة من النقرس. والحرد وهو ما كان يصيبه في عرقوبه من ترهل وانتفاخ عصب. والسرطان وهو داء يأخذ في الرسغ حتى ينقلب حافره.

ومنها الارتهاش وهو أن يصل بعرض حافره عرض عجافته من اليد الأخرى فربما أدماها وذلك لضعف يده. والمشش وهو شيء يشخص في رطيفة حتى يكون له حجم ليس له صلابة العظم الصحيح. عياض: هو عيب في قوائمها. قال: ونملة وهو شق في الحافر من ظاهر المرفق، ومنه الانفصال الفاحش لأن الحافر ليس له صلابة غيره، ومنها الرهصة والدبرة إذا لم يعلم بقدرهما، ومن شبكة ومن كل ما يقول أهل الصناعة إنه عيب ردت به كالسوي والمبوس والطنفس والبيض والهاجات والعلو والجهم والبل للمخلات وقطع الرسن والإوناد الزهارة والرفص. والخموع عيب يرد به وهو حفرة بين العنق والحارك تصاب به الدابة، والحرَن والصك عيب ترد به إذا كان شديدًا، فإن كان خفيفًا لم ترد به، والعثار والنفار والشراد فيها عيب إلا أن يكن خفيفًا"[3].

[1] **المصدر السابق**، ج01، ص ص 37 – 40.
[2] **المصدر نفسه**، ج01، ص 41.
[3] **المصدر نفسه**، ج3، ص ص 292 -293.

ب – الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت883هـ/ 1478م) [1]: هو الفقيه يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني، اقتصر الفقهاء والمؤرخين والباحثين على اسمه فقط إلا ابن مريم صاحب البستان الذي ذكر كنيته ونسبه لأبيه إدريس المازوني أي أبو زكريا ابن إدريس المغيلي المازوني[2].

و جاء في دراسة توصيفية تحليلية مهمّة حول المازوني زودتنا بتعريف عنه وحياته، فهو يحي بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني، حيث لقب بأبو زكريا في كتب التراجم، وهو الاسم الذي وجد على وجه الورقة الأولى في كل نسخ المخطوطات، حيث أشتهر بالفقيه والقاضي والمقرئ والمدرس[3].

ب – 1 – نسبه ومكانته: إن الفقيه أبي زكرياء يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني لا تزال أخباره عنه ونسبه وحياته غامضة عند بعض الكتاب والمؤرخين والفقهاء رغم أن كان أبوه أبو عمران موسى بن يَحي المغيلي المازوني قاضيا في مدينة مازونة، ولم يقدم له في تأليفه تعريفا كافيا، لأن أبوه كان ينحدر من أسرة علمية ودراسة اجتماعية وقلد العديد من الرتب[4].

ب – 2 – مولده ونشأته: إن بعض المصادر جعلوا كتابتهم يتيمة بتاريخ الشيخ أبو عمران موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني أنه ولد خلال القرن (09هـ / 15م)، أما يحي المازوني الذي ينتسب إلى إحدى قبائل بطون زناتة البتر من مغيلة التي تنتمي إل بطون بني فاتن التي تقع في مصب نهر شلف حتى مناطق مازونة، بضواحي مدينة تلمسان[5]، أما وفاته فكانت سنة 883هـ / 1478م[6].

كما نعلم أن الدولة الزيانية عاشت ظروف صعبة خلال الفترة الممتدة ما بين القرن (07 –09هـ / 13 – 15م) التي لم تسمح للفقهاء والباحثين في مواصلة كتاباتهم الفقهية النوازلية، لكن الشيخ يحي المازوني الفقيه الذي لم يتوقف عن الكتابة الفقهية في عهد السلطانين أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمُّو

[1] مختار حساني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني**،ج1، المرجع السابق، ص 9.
[2] إسماعيل بركات، **المرجع السابق**، ج 01، ص 129.
[3] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 57.
[4] إسماعيل بركات، **المرجع السابق**، ج 01، ص 130.
[5] **المرجع نفسه**، ج 01، ص ص 131 – 132.
[6] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 61.

(814 – 827هـ / 1412 – 1424م) والسلطان أبي العباس أحمد العاقل (834 – 866هـ / 1431 1462م)[1].

يذكر المؤرخون والفقهاء أن مدينة مازونة أصبحت تعج الباحثين والفقهاء بعد تأسيس فيها عدة مراكز ثقافية منها الجامع والمساجد والزوايا والكتاب والمدارس وقاعات المناظرات وغيرها من المراكز الثقافية[2]، فهذه المدينة أصبحت تمثل إشعاع حضاري بالنسبة للعاصمة الزيانية وهي تلمسان التي أصبحت منبعا للتراث الحضاري والثقافي في جل المجالات اليومية للإنسان، ويتغذى منها الإنسان روحيا وجسديًا من علم وثقافة وصناعة وحرف وتجارة وغيرها من المجالات[3].

و الونشريسي صاحب المعيار وصف الشيخ المازوني بأنه يتميز بطابع أخلاقي ديني سني ويحكم بما جاء في كتاب الله عزى وجل وسنة نبيه مُحَمَّد ﷺ، وحكم بالعدل عندما تولى القضاء بمدينة تونس، وكان يطلب العلم من شيوخه مثل أبو الفضل قاسم العقباني، كما ذكره شيخه ابن مرزوق الحفيد " أيها البحر الزخَّار، وبقية العلماء النظَّار في تلكم الأصقاع والقفار، ولولا وجود مثلكم فيا لخلت تلك الديار، وصارت إلى ما صارت إليه جهاتهَا كالقفار"[4].

ومن حيث مؤلفاته و وفياته يذكر بركاتي إسماعيل أن لم يترجم له المؤرخين إلا البعض منه وقدم مصنفه الدُّرر المكنونة في نوازل مازونة، أما تاريخ وفاته (883هـ / 1478م)، وقبره بحارة الرحيبة الذي لا يبعد عن باب الحياد الحالي[5].

ب – 3 – تعلم ودرس عند مجموعة من الفقهاء، نذكر منهم:

– أبو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حماد بن عرفة الورغمي التونسي ت (803هـ / 1401م).

– أبو عمران موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني ت (833هـ / 1429م).

[1] إسماعيل بركات، **المرجع السابق**، ج 01، ص 133.

[2] مختار حساني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني**،ج1، المرجع السابق، ص 11.

[3] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 62.

[4] إسماعيل بركات، **المرجع السابق**، ج 01، ص ص 137 – 138.

[5] **المرجع نفسه**، ج 01، ص 139.

– أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن مرزوق بن الحاج العجيسي التلمساني الملقب بالحفيد ت (842هـ / 1439م).

– أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمان المغراوي الخزري التلمساني الملقب بابن زاغو ت (845هـ / 1441م).

– أبو الفضل قاسم بن سعيد بن مُحَمَّد العقباني المعروف بالتلمساني ت (854هـ / 1450م).

– أبو عبد الله مُحَمَّد بن العباس بن مُحَمَّد بن عيسى الملقب بابن العباس ت (871هـ / 1466م).

–فهذا الفقيه المازوني تعلم عليه ودرس العديد من الطلبة الذين تعلموا الفقه عنه، والمصادر لم تذكر الكثير منهم فنذكر البعض:

– أبو العباس أحمد بن يحي بن مُحَمَّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي ت (914هـ / 1508م)[1].

ب – 4 – حياته العلمية: تولي المازوني منصب القضاء في عزِّ شبابه بعد أن توفي أبوه فخلفه لأنه كان من خيرة الشباب في تلك الحقبة وهو أهل لهذا المنصب الذي غاب صاحبه، فتعرض للكثير منا المشاكل إلى أن قال: " فإني لما امتحنت بخطة الفصل في عنفوان الشباب، وقادني إليها ما يعلمه الله من الأمور الصعاب، وكثرت عليَّ نوازل الخصوم، وتوالت لديَّ شكليات المعلوم ... "، فاعتلى هذا المنصب لأنه تتلمذ على يدي مشايخ المالكية وتعلما أصول الفقه والفتوة عليهم وخطة القضاء، لهذا تقلد هذا المنصب سواء في مازونة أو تنس.

ب – 5 – التدريس والإقراء: أنه كان محبا لطلب العلم والتدريس والإقراء ومما ذكر أن الشيخ المازوني اشتغل بالتعليم والتدريس مثل باقي الفقهاء والمشايخ الأخرون، حتى نثبت أنه كان صاحب مجالس واستقراء فنادى أحد معاصريه هو مُحَمَّد العقباني حيث قال: " ... أعرف كمالكم أنني أردت أن أعرض عليكم بعض ما يعرض لي للنظر في ذلك بنظركم ... منها أن أبا عمرو الداني ... استشكل بعض الطلبة قوله... "[2].

[1] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 62.
[2] **المرجع نفسه**، ص 68.

من الأسباب التي جعلته يألف هذا الكتاب هي الصعاب والمشاكل التي تلقاها في القضاء الذي عمل عليه في عز شبابه بعد وفاة أبيه، الذي كتب فيه جميع المسائل والخصوم والصعاب التي تلقاها في القضاء وكذلك جمع ما كتبه أبيه في حياته، والمسائل التي كانت تطرح في مجالسه والاستقراء للمسائل الصعبة، كذلك كتب ما تلقاه عن أشياخه في التدريس، وجميع هذه المسائل والعلوم الفقهية التي جمعها كتبها في كراريس المسودة وبعد الانتهاء من الجمع رتبها في كتاب وسماه الدرر المكنونة في نوازل مازونة.[1]

يعتبر تأليف الدرر المكنونة في نوازل مازونة لصاحبه الشيخ أبو زكرياء يحي المازوني من الكتب الفقهية النوازلية التي اشتهرت في العصر الوسيط خلال القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م)، ذكر الشيخ الفقيه المازوني أن تأليفه لهذا الكتاب يعود لسبب الفتن والمشاكل الطبيعية والبشرية التي طرحت عليه من طرف الناس، خاصة أنه مارس القضاء[2].

هذا التأليف مثل كتب النوازل الفقهية للونشريسي والبرزلي وابن الحاجب وغيرهم من الفقهاء الذين تحدثوا عن الجوانب الحضارية و الجوائح الطبيعية والبشرية، فالجزء الأول الذي يحتوي على تسعة عشر فصل والمعنون بعنوان الدرر المكنونة في نوازل مازونة الذي ألفه المازوني يحتوى على مقدمة التي بدأ في بدايتها بالصلاة على الرسول ﷺ، ثم عرف العلم والعلماء وكتابه والدعاء في الأخير.

نذكر هذه الفصول التي اعتد عليها الشيخ الفقيه المزوني:

- مسائل الطّهارة.
- مسائل الصّلاة.
- مسائل الزّكاة.
- مسائل الصِّيام.
- مسائل الإعتكاف.
- مسائل الحج.

[1] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 71.

[2] مختار حساني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني**،ج1، المرجع السابق، ص 10.

- مسائل الصّيد.
- مسائل الذّبائح.
- مسائل الضّحايا العقيقة.
- مسائل الجهاد.
- مسائل الإيمان والنذّر.
- مسائل الأنكحة[1].
- مسائل الطّلاق.
- مسائل الإيلاء واللّعان والظّهار.
- مسائل العدد.
- مسائل الرّضاعة.
- مسائل النّفقات.
- مسائل البيوع.
- الصلاة على النبي ﷺ[2].

هذا الجزء الأول الخاص بالشيخ الفقيه المازوني الذي كان فقيها واشتغل بالقضاء، وحكم بين الناس بما أنزل الله سبحانه وتعالى.

حيث عالج العديد من المسائل الخاصة بأحوال الناس من الظلم والعصب والنهب والضغط وحل الضرار وتذبذب النظام وشاع العنف وكثرة النهب والسرقة والقتل والنزاعات والغارات والاضطهاد والتعسف وغيرها من مشاكل العنف، ومنها الجوائح الطبيعية والأوبئة والمجاعات ... الخ،

[1] نور الدين غرداوي، **المرجع السابق**، ج01، ص 72.
[2] بركاتي إسماعيل، **المرجع السابق**، ص 189.

بعد انتهائه من الجمع والكتابة شكل كتابه في أربعة أجزاء منها:

ـ الجزء الأول "خاص بالنكاح".

ـ الجزء الثاني "كتاب الضرر والخصومات والدعاوي".

ـ الجزء الثالث "خاص بالوصية".

ـ الجزء الرابع "كتاب الجامع"[1].

ج – المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي (834 – 914هـ / 1430 – 1508م):

ج – 1 – نسبه ومولده: عندما نذكر النوازل فأوّل ما يتبادر إلى أذهاننا أحمد بن يحي الونشريسي و هو: أبي العباس أحمد بن يحي بن مُحَمَّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني ولد بجبل ونشريس حوالي سنة 834هـ[2]،وتوفي سنة (914هـ / 1508م)[3]، وعمره يناهز ثمانين سنة الذي نشأ بمدينة تلمسان في ظل دولة بني عبد الواد، وكان من علماء وفقهاء عصره ومالكي المذهب[4]، واسمه الكامل: أحمد بن يحي بن مُحَمَّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، العالم العلامة حامل لواء المذهب على رأس المئة التاسعة، ومن شيوخه أبي الفضل العقباني[5]،ومُحَمَّد بن عيسى الجلاب[6]، وقاسم بن سعيد بن مُحَمَّد العقباني، وإبراهيم العقباني قاضي تلمسان[7]، ومُحَمَّد بن العباس وابن مرزوق الكفيف[8]، الذي انتهبت بيته سنة (874هـ / 1469م) من الحاكم أبو ثابت الزياني صاحب تلمسان، لأنه كان

[1] نور الدين غرداوي، **المرجع السابق**، ص 72.

[2] مسعود كربوع، **المرجع السابق**، ص 22.

[3] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، قسم2، دار البيضاء للكتاب، الإسكندرية، 1955م، ج 04، ص 160.

[4] كمال الدين أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال النوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، دار الإسكندرية، مصر، 1996م، ص 05.

[5] أحمد بابا التنبكتي (ت 963هـ / 1036م)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تح: عبد الحميد عبد الله الهرَّامة، دار الكتاب، طرابلس، ج 3. 1999م، ص 135.

[6] مُحَمَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 46.

[7] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص 05.

[8] مُحَمَّد الحفناوي، **المرجع السابق**، ج02، ص 558.

صاحب حقٍ لا يخاف لومة لائم، فارتحل إلى فاس وسكن فيها، ثم شرع في تدريس مدونة الإمام مالك والفقه المالكي، الذي كان فصيح اللسان والقلم، حيث أخذ عنه ابن مليح اللمطى وأبوا زكرياء السوسي والقاضي ابن الغرديس التغلبي[1]،ثم شرع في تأليفه المعيار عن فتاوى فاس والأندلس، و كتاب (إيضاح المسالك إلى قواعد مذهب مالك)، أما إفريقيا وتلمسان كتب عنها وألف فيها المازوني والبرزلي[2]، أما تعليق ابن الحاجب الفرعي " غنية المعاصر" و " التالي على وثائق القشتالي" و "المواعد في الفقه" و " الفرق في مسائل الفقه" [3].

ج – 2 – حياته العلمية: يظهر محقّق مخطوط شفاء السائل وتهذيب المسائل لعبد الرحمان ابن خلدون، هو أحمد بن يحي بن مُحَمَّد عبد الواحد الونشريسي الذي ولد سنة (834هـ / 1430م) في جبال الونشريس الواقعة غرب الجزائر، ثم أخذ علمه من علماء مدينة تلمسان التي نشأ فيها ثم انتقل إلى القرويين بفاس من أجل تعلمه للفقه المالكي، ثم تخرج على يده العديد من الطلبة منهم ولد عبد الواحد قاضي فاس ومفتيها، وله الكثير من التأليف في الفقه المالكي، إلى أن وافته المنية بفاس سنة (914هـ / 1508م)، أما ترجمته : " دوحة الناشر لابن عسكر ص 47، فهرست أحمد المنجور ص 50، نيل الإبتهاج ص 87، مقدمة المعيار المعرب ص أ – ك طبع بالمغرب – وزارة الأوقاف (1401هـ / 1981م) [4].

يذكر لنا محقّق المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق في تعريف بالونشريسي، أنه أحمد بن يحي بن مُحَمَّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، الذي عرف نفسه في تأليفه بعد أن أوضحته جل المصادر والمراجع التي عرفته، لذلك اشتهر بأبي العباس الونشريسي[5]، أما إذا عدنا إلى ذكر مولده ونشأته واطلاعنا على المادة العلمية التي جمعناها وتتحدث عن الونشريسي تذكر أنه من

[1] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص 06.

[2] ابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تح: مُحَمَّد الأحمر أبو الثور ، دار الكتب، الجزائر، 1971م، ج01، ص 92.

[3] مُحَمَّد الحفناوي، **المرجع السابق**، ج02، ص 558.

[4] مُحَمَّد بن عسكر الحسني الفشاوني ت، **دوحة الناشر**، تح: مُحَمَّد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط، المملكة المغربية، 1977، ص47.

[5] فؤاد طوهارة، **المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، تخصص علم المخطوط العربي، عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010 – 2011م، ص 161 .

مواليد (834هـ / 1430م)، وتوفي سنة (914هـ / 1508م)، فمن هذا التاريخ نلاحظ أن عمره يناهز الثمانين سنة، وهو من تلمسان التي ترعرع فيها[1].

و تميزت أسرة أبي العباس أحمد بن يحي بن مُحَمَّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي بالعلم وثقافة والمكانة القوية، وبدراسة لبعض الكتب نرى أن والد الونشريسي لم يكن من أهل العلم لأن بعض المراجع تنكر بأنه من أهل العلم، بل أنه له مكانة اجتماعية فحسب، أما المكانة العلمية لأبنه الونشريسي، وإذ عدنا للمصادر يصفونه من أهل العلم أن هذه لغة خطاب المؤرخين والعلماء المعاصرين له فقط[2].

أما والدته وزوجته لم نتوصل إلى معلومات عليها رغم شهرة الونشريسي ومعرفته عند الناس وقيمته العلمية والاجتماعية، الذي نشط في جميع الفنون وعقد الشروط والوثائق والكتابات السلطانية[3]، فتحصلنا على معلومة فقط عن زوجته " أنه تزوج قبل رحلته إلى فاس ببضع سنوات، وأنجب ولده عبد الواحد بفاس بعد (880هـ / 1475م)، من زوجته التي لا نعلم عن اسمها ونسبها شيئا، ولا عن مكانتها الاجتماعية والثقافية "[4].

إذا عدنا إلى حياته العلمية[5]،بعد أن انعدم الأمن في جبال الونشريسي انتقل مع أسرته إلى مدينة تلمسان، وكان حاكم تلمسان أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حمّو الثاني (834 – 866هـ / 1430 – 1461م)، " الذي أظهر من حسن السيرة والعناية بنفسه ما أكسبه عطف الرعية وإجماع الناس عل مودته فأظهر بأسه للحفصيين وأعلن رفض عهدهم سنة (837هـ – 1433م) فتحرك لقتاله السلطان أبو فارس عبد العزيز الحفصي (796 – 837هـ / 1394 – 1433م)، فاحتل جبل ونشريس قهرًا وأنظم أهله تحت طاعته، ثم ما كاد يتصل بتلمسان حتى وافاه أجله"[6].

هذا العالم الفقيه المهتم بالعلوم والتدريس تخرج على يديه العديد من الفقهاء فنستطيع ذكر البعض منهم: " – أبوا عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغرديسي التغلبي القاضي، كانت له خزانة عامرة بالتأليف

[1] مُحَمَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 44.
[2] فؤاد طوهارة، **المرجع السابق**، ص 162 .
[3] مُحَمَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 45.
[4] فؤاد طوهارة، **المرجع السابق**، ص 163 .
[5] مُحَمَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 45.
[6] فؤاد طوهارة، **المرجع السابق**، ص 163 .

والفتوى أفاد بها معلمه أحمد بن يحيى الونشريسي في تأليفه لكتابه " المعيار المعرب ". – الفقيه أبوا زكرياء يحي بن مخلوف السوسي، كان إماما عالما توفي عام (927هـ / 1520م). – عبد الواحد بن أحمد بن يحي الونشريسي، تتلمذ على أبيه وتولّى الإمامة والقضاء والفتوى، ولقب بشيخ الجماعة وخلف أباه على كرسي " المدونة " بجامع القراويين بفاس. – وأبو مُحَمَّد الحسن بن عثمان التاملي الجزولي ت (932هـ – 1525م)[1].

ج – 3 – تأليفه:

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب.

ـ أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر.
ـ إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك[2].
ـ إضاءة الحلك والمرجع بالدرك على من أفتى من فقهاء فاس بتضمين الراعي المشترك[3].
ـ المنهج الفائق، والمنهل الرائق، والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق.
ـ الأجوبة والتعريف " بالمسائل القلعية"[4].
ـ الوفيات ذيل به كتاب شرف الطالب في أسنى المطالب ابن قنفذ.
ـ الولايات وتناول فيه الخطط الشرعية في سبع عشرا ولاية وهو مطبوع[5].
ـ الأسئلة والأجوبة.
ـ تنبيه الطالب الدارك، على توجيه الصلح المنعقد بين ابن صعد والحباك[6].

[1] مسعود كربوع، **المرجع السابق**، ص 27.
[2] مُحَمَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص ص 48 – 49..
[3] الونشريسي ، **المصدر السابق**، ج8، ص 334.
[4] ابن مريم، **المصدر السابق**، ص 271.
[5] مُحَمَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 50.
[6] الونشريسي ، **المصدر السابق**، ج6، ص ص 541 -543 -574.

ـــ نظم الدرر المنثورة وضم الأقوال الصحيحة المأثورة[1].
ـــ فهرسته.
ـــ عدة البروق في جمع ما في المذهب من المجموع والفروق[2].
ـــ الفوائد المهمة.
ـــ شرح الخزرجية في العروض.
ـــ الوعي لمسائل الإنكار والتداعي[3].
ـــ تعليق على كتاب الأعلام القريب النائي في بيان الخطأ[4].

جمع فيه من أجوبة متأخري العصر ومتقدميه و ما يعسر الوقوف على أكثره في أماكنه، واستخراجه من مكامنه، لتبدُّده وتفريقه، ... وصرحت بأسماء المفتيين إلا في اليسير النادر".[5]

إلى أن أصبح هذا الكتاب جامعا لكل الفتاوى الشرعية لأهل بلاد المغرب الإسلامي، فتناول فيه الفقيه أحمد الونشريسي كل الأحداث والنوازل الفقهية التي عرفها عصره أو الفترة التي سبقته في شتى مجلات الحياة.

هذه النوازل والفتاوى اعتمد فيها الفقهاء على الفقه المالكي، حيث نجد الفقهاء استنبطوا اجتهاداتهم الفقهية من الأمهات أو المختصرات في الأصول والفروع المتعلقة بالمذهب المالكي، لسبب انتشار المذهب المالكي ونوازله وثائقه في بلاد إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى وبلاد الأندلس[6]، الأندلس[6]، من بداية القرن الثالث هجري حتى القرن التاسع هجري[7]، وكذلك أصبحت تآليف الفقهاء الفقهاء المالكية ذات قوة فقهية نوازلية بارزة في هذه المنطقة التي اتسع فيها الفقه المالكي، الذي أتى إلى

[1] **المصدر نفسه**، ج1، ص ص 574 – 575.
[2] مُحَمَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 51.
[3] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج1، ص3.
[4] المقري، **المصدر السابق**، ج1، ص4.
[5] أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي (ت 914هـ / 1508م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق مُحَمَّد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، الرباط ، بيروت، 1981م، ج 01، ص 01.
[6] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص 07.
[7] مسعود كربوع، **المرجع السابق**، ص 33.

بلاد المغرب الإسلامي عبر الفقهاء المشارقة الذين كتبوا عن المذهب المالكي[1]، كذلك أعتمد على فتاوى أو نوازل الفقيه الشيخ أبي القاسم البرزلي القيرواني (ت844هـ / 1440م)[2].

فهذا الكتاب الضخم الذي طبع في فاس، 12 جزء استمدّ في تأليفه من نوازل مازونة ونوازل البرزلي وفتاوى فقهاء أهل فاس والأندلس، فكشف فيه عن الغموض الذي غطى الجوانب الحضارية لمنطقة المغرب الإسلامي ككل، " حيث قام إيميل آمارE.Amar بتحليل هذه الفتاوى تحليلا عاما في نشرية الأرشيف المغربي Archives Marocaines مجلد، 12 و 13 باريس (1326 – 1327هـ / 1908م – 1909م)، ص 522، ص 536[3].

يذكر التنبكتي في تأليفه نيل الابتهاج ترجمة لأحمد بن يحي بن مُحَمَّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، الذي تفقه في المذهب المالكي إلى أن علم بأصوله الدقيقة، كذلك أخذ عن شيوخ تلمسان منهم: أبي الفضل قاسم العقباني، وأبي عبد الله الجلاب، وابن مرزوق الكفيف، والغرابلي وغيرهم.[4]

بعد أن نهبت داره وفر إلى فاس قال فيه أحمد المنجور في فهرسته:" وأوكب على تدريس المدونة وفرعي ابن حاجب"، حتى أصبح من أهم الفقهاء وتخرج على يده الكثير من الطلبة منهم: ابن الحاجب وأبي عباد بن مليح اللمطي، وكذلك استفاد في تأليفه لكتاب المعيار المعرب من خزانة آل الغرديس الموجودة في فاس، فنعود إلى الفتاوى[5] التي أفتى بها في بلاد إفريقيا وتلمسان، واكتماله لتأليف المعيار المعرب، اعتمد فيها على فتاوى البرزلي "جامع مسائل الأحكام" ونوازل يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي (883هـ / 1478م) الموسومة بـ" الدُّرر المكنونة في نوازل مازونة".[6]

---

[1] مُحَمَّد حجي، **المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، ندوة الإمام مالك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار الهجرة، فاس، 1980م، ص 130.

[2] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص 07.

[3] مُحَمَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 54.

[4] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص 07.

[5] أحمد بابا التنبكتي (ت 963هـ / 1036م)، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، تح: عبد الحميد عبد الله الهرَّامة، دار الكتاب، طرابلس، 1999م، ص 135.

[6] **المازوني**: هو" يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى المازوني"، الذي كان قاضي فيها ومفتيا لأهلها، بعد أن أخذ عن فقهائها منهم: ابن مرزوق الحفيد والقاسم العقباني وغيرهم، ثم ألف نوازله المشورة التي سماها بالدرر المكنونة في نوازل مازونة، حتى أن أتته المنية سنة 883هـ بتلمسان، بعد أن لقب بالفقيه الفاضل. أنظر / التنبكتي، **المصدر السابق**، ص 637، والزركلي ، **الأعلام**، ج 08، ص 115.

يذكر لنا الباحث مسعود كربوع بأن الونشريسي لم يقدم لنا تاريخ تأليفه لكتاب المعيار المعرب، ولا حتى المؤرخين الذين جاءوا بعده، إلا أن أحمد النيفر المؤرخ التونسي قال: " ... والاستفادة من مكتبة آل الغرديسي بفاس، فاستخرج منها مادة مجلداته الإثنا عشر التي شرع فيها سنة (890هـ/ 1485م) ..."[1]، أما إتمام ونهايته من كتاب المعيار ذكره بنفسه حيث قال: " وكان الفراغ من تقييده مع مزاحمة الأشغال، وتغيير الأحوال، يوم الأحد الثامن والعشرين لشوال عام واحد وتسعمائة"[2].

ويتبين لنا بعد سقوط غرناطة بثلاث سنوات، أخرج كتاب المعيار على حساب قول أحمد منجور بعد ترجمة السكتاني الذي كتب عن أبي العباس الونشريسي وهو أول من أخرجها، أما مُحَّد حجي يذكر بأنه أخرجه أحمد بن سعيد المجليدي الفارسي (1094هـ / 1683م) وشخص آخر معه، لهذا يوجد تناقض بينهما، ومن الممكن أن مُحَّد حجي يقصد هذين الفقيهين جمعاه في كتبٍ واحد لا أخرجاه[3]، لكن الونشريسي لم ينتهي من الإضافات بعد، ففي سنة (991هـ / 1583م) أضاف بعض الأشياء في احدى الأبواب، ورغم هذا بقيت بعض التعديلات على حساب الدكتور مُحَّد حجي[4].

وأول طبعة لتأليف المعيار على حساب مُحَّد حجي في فاس سنة (1314هـ – 1897م)، من طرف ثمانية فقهاء على رأسهم ابن العباس البوعزاوي الفاسي بمطبعة الحجرية لي 12 جزء، حيث يحتوي ألفين وخمس وثلاثين فتوى من فقهاء عصره، والتي تخص بلاد المغرب الأوسط، منهم المازوني والبرزلي[5].

و تفيد دراسة متخصصة أنّ تأليف المعيار للونشريسي كان عبارة عن تجمع أكبر مادة علمية، واستدل على ذلك بأن سماه الجامع المغرب، كذلك انتقده بعض المؤرخين، حيث قال: يرى الحجوري " أن كتاب المعيار المشتمل على فتاوى فقهاء المغرب والأندلس وإفريقية، جمع فأوعى وهو من التأليف ذات الشأن عند فقهاء الوقت، على ما فيه من ضعف بعض الفتاوى"، فإذا عدنا إلى أحميدة النيفر نجد رأيه عكسه تماما " لم يقتصر على جمع ألفين ومائة وخمس وثلاثين فتوى، أصدرها رجال فقهاء معاصرون له وآخرون متقدمون عليه، بل عمد إلى تصنيفها والتعليق عنها، والتأصيل اللازم أحيانا، هذا إلى جانب

[1] مسعود كربوع، **المرجع السابق**، ص 33.

[2] أحمد بابا التنبكتي (ت 963هـ / 1036م)، **المصدر السابق**، ص ز .

[3] مُحَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص 56.

[4] أحمد بابا التنبكتي (ت 963هـ / 1036م)،**المصدر السابق**، ص ح .

[5] مُحَّد أمين بوحلوفة، **المرجع السابق**، ص ص 55 – 56.

ميل أكيد إلى الترجيح والتضعيف والقبول والرّد"، لهذا أصبحت المكانة العلمية لكتاب المعيار و تم اعتماده من طرف الفقهاء بعد وفاة الونشريسي[1].

و ضمن هذا الإطار نستطيع القول أنه إذا درس الباحث المعيار المعرب دراسة علمية يستطيع الوصول إلى فهم تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وكذلك معرفة الظواهر الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية، رغم أن كتب التاريخ توصلت إلى هذه الجوانب لكن كتب النوازل الفقهية تخصصت فيها مثل: تحدث النوازل الفقهية عن العادات والتقاليد والأعراف وعن الحيات الأسرية والاحتفالات والأعياد والأزياء والأطعمة والعلم والشخصيات البارزة[2]، فهذا التأليف يعد لنا ثروة كبيرة من العلوم والتشريعات الإسلامية لهذه المنطقة.

فمن هذه الثروة العلمية التي خلفها الونشريسي استفاد منها أحمد بابا التنبكتي[3]، من حيث 12 جزء وكل جزء يحتوي على ثروة علمية هائلة نذكر منها:

الجزء الأول: تعريف بالونشريسي وتأليفه، ونوازل الطهارة، ونوازل الصلاة، ونوازل الجنائز، ونوازل الزكاة، ونوازل الصيام، ونوازل الاعتكاف، ونوازل الحج[4].

الجزء الثاني: نوازل الصيد والذبائح و الأشربة الضحايا، ونوازل الإيمان والنذر، ونوازل الدماء الحدود والتغريرات[5].

الجزء الثالث: نوازل النكاح[6].

[1] مسعود كربوع، **المرجع السابق**، ص 34.

[2] كمال الدين أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص 08.

[3] **التنبكتي**: هو أحمد بابا التنبكتي السوداني الصنهاجي الشيخ الفقيه المؤلف الكبير المصنف العلم الطائر الصيت، الذي ألف ما يفوق عن أربعين تأليف منها: نيل الابتهاج في تطريز الدباج، الذي ولد سنة (963هـ / 1555) / وتوفي في شهر شعبان سنة (1024هـ / 1615م)، في مدينة تنبوكتوا. أنظر / أحمد بن محمّد المقري، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر ما لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، الملكية ، الرباط، 1983م، ص ص 104 – 105. وابن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ص 298 .

[4] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج01، ص ص 01، 03، 118، 306، 364، 410، 430، 432. أنظر/الملحق 01، ص 209.

[5] **المصدر نفسه** ، ج02، ص ص 05، 47، 267.

[6] **المصدر نفسه** ، ج03، ص 05.

الجزء الرابع : نوازل الخلع والنفقات والحضانة والرجعة، ونوازل الإيلاء والظهار واللعان، ونوازل التمليك والطلاق والعدة و الاستبراء[1].

الجزء الخامس: نوازل المعاوضات والبيوع[2].

الجزء السادس: مسألة من الوصايا وقعت ببجاية، ونوازل والرهن والصلح والحمالة والحوالة المديان والتفليس، تأليف أحمد الونشريسي صاحب المعيار [3].

الجزء السابع : نوازل الأحباس[4].

الجزء الثامن : نوازل المياه والمرافق، ونوازل الشفعة والقسمة، و الإجارات والأكرية والصناع، أسئلة مجموعة في السماسرة، وبقية نوازل المياه، والضرر والبنيان[5].

الجزء التاسع : بقية نوازل الضرر، ونوازل الوديعة والعارية، ونوازل الهبات والصدقات والعتق، ونوازل الوصايا وأحكام المحاجير، والغضب والإكراه، ونوازل الاستحقاق[6].

الجزء العاشر : نوازل الأقضية، ونوازل الشهادات، والدعاوى والإيمان، ونوازل الوكالات والإقرار و المديان[7].

الجزء الحادي عشر: نوازل الجامع[8].

الجزء الثاني عشر : نوازل توابع الجامع، وكتاب فتح الباب ورفع الحجاب بتعقيب ما وقع في تواتُر القرآن من السؤال والجواب، في بيان تواتر القرآن والفرق بين القرآن والقراءات، سؤلات من التفسير

[1] **المصدر نفسه** ، ج04، ص ص 03، 59، 79.
[2] **المصدر نفسه** ، ج05، ص ص 05.
[3] **المصدر نفسه** ، ج06، ص ص 05، 490، 574.
[4] **المصدر نفسه** ، ج07، ص 05.
[5] **المصدر نفسه** ، ج08، ص ص 05، 83، 221، 355، 379، 435.
[6] **المصدر نفسه** ، ج09، ص ص 05، 75، 124، 243، 537، 583.
[7] **المصدر نفسه** ، ج10، ص ص 05، 143، 229، 313.
[8] **المصدر نفسه** ، ج11، ص 5. أنظر / الملحق 01، ص 209.

وغيره، سؤال في علم التصوف، مسائل التفسير، فهذا الجزء تحدث فيه عن احكام الجامع والقراءات وتواتر القرآن الكريم والتفسير ومسائله وعلم التصوف[1].

الجزء الثالث عشر: هذا الجزء ألفه أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي ت (914هـ / 1508م)، خاص بالفهارس من وضع الأساتذة مُحَّد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال ومُحَّد العرائشي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية الرباط، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان (1401هـ، 1981م)، الذي يضم مجموعة من الفهارس العامة نذكرها:

جرد مفردات الفهرس الأبجدي العام، وفهرس أبجدي عام للموضوعات الفقهية، وجرد مفردات فهرس نوازل الجامع، وفهرس أبجدي لنوازل الجامع، وجرد مفردات فهرس الإشارات التاريخية والاجتماعية، وفهرس أبجدي للإشارات التاريخية والاجتماعية، وفهرس أعلام الأشخاص والقبائل والأمم والفرق، فهرس الأماكن، وفهرس الكتب الواردة في متن المعيار، واستدراكات وتصويبات[2].

كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب الذي ألفه أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي المتوفى بفاس سنة (914هـ / 1508م)، يحتوي على ثروة علمية هائلة خاصة بفتاوى أهل إفريقية والمغرب الإسلامي خاصة بلاد المغرب الأوسط، حيث أمر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بطبع هذا الكتاب بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري، فأخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور مُحَّد حجي في ثلاثة عشر جزء، ونشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، ودار الغرب الإسلامي، بيروت، لصاحبها الحبيب اللّمسي ص. ب 5787 / 113، سنة (1401هـ – 1981م).

تعدّدت مسائل نوازل المعيار التي تتعلّق بتفاصيل الجوائح المرتبطة بالعوامل الجغرافية لوقوع بلاد المغرب الأوسط ضمن أقاليم الغرب الإسلامي المترامية الأطراف، فقطر المغرب الأوسط وحده يجمع ما بين تلول و هضاب مُتَلوِنة بألوان التل و ألوان الصحراء، و صحاري شاسعة كانت تتعرض دوما إلى مثل هذه الظواهر و في كلّ فصول السنة، و كانت إحدى اهتمامات الفقه النّوازلي لارتباط الناس بما يصيب مواشيهم و زروعهم و نقاط السقي و الأودية و الآبار.

[1] **المصدر نفسه**، ج12، ص ص 05، 76، 148، 263، 293، 323.
[2] **المصدر نفسه** ، ج13، ص 07.

فمن المسائل التي جاء بها الفقيه الونشريسي : سئل سيدي عيسى بن علال الفقيه عن الزرع الذي أصابه القحط: "... زرعهم أصابته جائحة القحط وأن غلته فسد بذلك بعضها وأرادوا أن يخرجوا لنظر في ذلك شهوداً من أهل المعرفة ليسوا مرضيين في دينهم بحيث تقبل شهادتهم في كل ما تقبل فيه شهادة العدول المرضيين، واحتجوا بذلك أن أهل البصر لا تشترط عدالتهم، فقال لهم الناظر جائحة الزرع بالقحط لا يخرج إليها إلا في زمن الربيع عند احتياج الزرع وحصد بعضه فلا يمكن أحد من ادعاء الجائحة أنها أصابت من زمن الربيع، فإن غاية ما يعرف من ينظر إلى الزرع الآن بعد يبسه أن غلته ناقصة، أنه إنما يرد كذا وكذا وسقًا مثلاً. هذا غاية ما يعرفون. وهل ذلك النقص بسبب العطش أو بسبب البرد أو الجليد أو غير ذلك فلا يعرف أحد الآن؟ ... انظروا إلى الزرع القائم الأخضر قد اصفرَّت ورقته وذهب منه كذا بسبب القحط الكائن الآن حسبما ذلك في كريم عملكم. ... فقال الحارثون إن أهل العدل من الفلاحين امتنعوا لنا من الدخول في هذه المسألة ولم نجد سوى الذين أخرجنا من أهل المعرفة، فهل يمكنون من جعل جائحة القحط بعد يبس الزرع وحصاد بعضه ويصدقون فيما يزعمون أن نقص الغلة إنما هو بسبب العطش مع مخالفة الناظر لهم ودعائه أن الزرع لم يعبه عطش أم لا؟"[1].

د – المناقب المرزوقية لأبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني (781هـ / 1379م):

لا تختلف الكتابات المنقبية عن الكتابات النوازلية في شموليتها لتفاصيل دقيقة عن مضامين سؤال الفتاوى و إجاباتها و مختلف الأصيلات التابعة لها، على أنّ الكتابات المنقبية ستكون أكثر دقّة في توصيفها للشخص الذي يريد المؤلّف أن يدوّن مناقبه و يعدّد خصاله و مآثره فأفادت تلك المناقب بدور صاحب المنقبة زمن الكوارث و المجاعات و القحوط و الأوبئة و جاءت أخبارها عرضا عند محاولة المؤلّف تدوين فضائل صاحب المنقبة فأفادت منها المعرفة التاريخية ما حرمت منه في كتب التاريخ العام التي أهملت تفاصيل الحياة الاجتماعية لصالح مشاكل السياسة و المقاتل و الفتن و الحروب و المعارك و الصراعات الدائمة.

نأخذ بعض النصوص الخاصة بالجوائح الطبيعية التي في بعض الأحيان يكون الإنسان هو السبب فيها مثل تأزم الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية بعد أن تخلف المجاعة التي تظهر بعدها الأوبة وناتج الوفيات منها بعض النصوص:

[1] **المصدر نفسه**، ج 08، ص ص 170 - 171.

جاء في كناب المناقب المرزوقية لأبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني(781هـ / 1379م)، إن توتر الصراع بين بني زيان وبني مرين الذي أدى إلى تدهور الأوضاع وعدم الأمن والاستقرار السياسي، "خاصة بالمغرب الأوسط وعاصمته تلمسان"، الذي أدى إلى حصار المدن إلى فترات من الزمن، إلى أن انتشر الرعب والخوف والجوع وصدور عن هذا الوباء، كما نعلم أن كلما ظهر الجوع لازمه الوباء[1]، فوصف العبدري المغرب الأوسط وخاصة مدينة تلمسان بأنها مدينة ذات طابع اقتصادي نشيط وفيرة الإنتاج ومتميزة حضاريا فقد تدهورت مع بداية القرن السابع حتى القرن التاسع هجري، من تكالب المجاورين لها وحدق الأنظار فيها وزيغ السهام عليها، فجرانها من أوضع خلق الله وأشدهم إذاية، حتى أصبح أهلها كلهم في غبط وخوف وحصار، حتى أن ظهر عليهم الوباء من الجوع الناتج عن هذه الحروب والحصار على المدن[2].

قال العبدري في رحلته: " ثم وصلنا إلى مدينة بونة، فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة، مبسوطة البسيط، ولكنها بزحف النوائب مطوية مغبونة، تلاحظ من كتب فحوصا ممتدة، وتراعي من البحر جزره ومدّه، تغازلها العيون من جور النوائب، وتأسى لها النفوس من الأسهم الصوائب، وقد أزعج السفر من حلولها، فلم أقض وطرًا من دخولها، ومن أغرب المسموعات أن صادفنا وقت المرور بها زويرقًا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصًا، وقد حصروا البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج، وأسروا من البر أشخاصًا، فأمسكوهم للفداء بمرسى البلد، وتركناهم ناظرين في فدائهم، ومن مولانا اللطيف الخبير نسأل اللطف بنا في أحكام المقادير"[3]، فهذه الأوضاع السائدة في المغرب الأوسط أصابت الحياة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، إلى أن تدهورت وانهارت الأحوال وتزعزع فيها الاستقرار وحصار مدن المغرب الأوسط الذي خلف المجاعات والأوبئة وغيرها من الجوائح[4].

وسنقدم نموذجًا عن الوباء في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة: " لقد اعتبر بعضهم القرن الثامن هجري / الرابع عشر ميلادي من أسوء العصور التي عرفها الحوض المتوسطي، نظرا لكثرة

[1] أبو عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني، **المصدر السابق**،ط01، ص 43.

[2] مُحَمَّد العبدري البلنسي(ت نحو سنة 730هـ / 1329م)، **الرحلة المغربية**، تح: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عاصمة الثقافة العربية، عنابة، الجزائر، 2007م، ص 27.

[3] **المصدر نفسه**، ص 09.

[4] **المصدر نفسه**، ص 45.

الأزمات التي ميزته، حتى وصف بأنه قرن مطبوع بالكوارث(siècle calamiteux). ويأتي الطاعون الأسود على رأس الظواهر المميزة لهذا القرن. وقد اجتاح هذا الوباء البلاد المغاربية وأوروبا الغربية ابتداءً من سنة (749هـ / 1348م).

وتقدر بعض الدراسات عدد الخسائر البشرية التي خلفها الطاعون الأسود ما بين ثلث أو نصف سكان المغرب الإسلامي، ... المغرب عرف نزيفا ديموغرافيا من جزاء الطاعون الأسود، ... أن الجثث كانت متناثرة في الجبال والسهول والمدن، وأن الوباء قضى على المواشي" فمن هذا نرى أن البلاد احتاجت إلى عدة سنوات حتى سدت فراغ البشرية الذي خلفته الأوبئة، فتستدل سلوى الزاهري في تحقيقها لكتاب المناقب المرزوقية من كتاب ابن خلدون: " هذا إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف، الذي تحيف الأمم، وذهب بأهل الجيل، و طوى كثيرًا من محاسن العمران ومحاها، وجاء للدول على حين هرمها بلوغ الغاية من مداها، فقلّص من ظلها، وفلّ من حدّها، وأوهن من سلطانها، وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها، وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودّست السبل والمعالم، وخلت الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل، وتبدل الساكن، وأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته ومقدار عمرانه، وكأنما ناد لسكان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة، وقد ذهب ضحية وباء سنة (748 – 947هـ / 1347 – 1540م) العديد من الأفراد ... ثم درجوا كلهم في الطاعون الجارف"[1].

المبحث الثاني: الكوارث الطبيعية

1-تعريف بالكارثة :

تعتبر الكوارث الطبيعية من بين التحديات التي تواجه الكائنات الحية سلباً في مختلف بلدان العالم، والمغرب الأوسط(الجزائر) أحد البلدان التي تصادمت معها هذه التحديات خلال العصر الوسيط(العهد الزياني)، وبالعودة إلى الكتابات النوازلية الفقهية والكتابات المنقبية لهذا العصر وقفنا على العديد من النوازل تضمنت الكوارث الطبيعية بالمغرب الإسلامي عامة وبالمغرب الأوسط خاصة، حيث عالجت

[1] أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، **المصدر السابق**، ص 50.

المشاكل والأوضاع المتدهورة بسببها، والتي أثرت على مختلف المجالات الحياة البشرية، ومن هذه الكوارث الطبيعية المتتالية على بلاد المغرب الأوسط منها: القحط والجفاف والريّاح والأعاصير والفيضانات والثلوج والزلازل والحيوانات المتوحشة والطيور الشرسة وغيرها...الخ.

فنرى أن هذه الكوارث كانت سبب المشاكل البشرية مثل: الحرابة وقطع الطريق والنهب والسرقة والحروب والقتل والاغتصاب في أرزاق الناس وغيرها...الخ.

وهناك من يرى بأن هذه المشاكل البشرية ليس بكارثة فقط، بل أنها من باب سوء حرص المالك، والنظام السائد في بلاد المغرب الأوسط على حساب الدولة القائمة بقوتها في هذه المنطقة، والنظر إلى الجوانب الحضارية بشتى أوضاعها.[1]

من قول الفقيه أبي القاسم البرزلي: " ولا جائحة فيما اشتري من الثمر مع أصوله بإجماع. واختلف العلماء في ما اشتُري مفرداً، ومراعاة الكثيرة فيه من القلة وتحديد الكثرة فيه بالثلث. واختلف أئمتنا هل يرجع الثلث إلى قيمة ثمره وإن كانت أقل أو إلى قدرها ؟ وإن كان أقل على ما هو معلوم"[2].

حيث يذكر الفقيه أبو الوليد بن رشد الحفيد: " ... وأما ما أصاب من صنع الآدميين فبعض أصحاب مالك رآه جائحة، وبعض لم يره جائحة، والذين رأوه جائحة انقسموا قسمين، فبعضهم رأى منه جائحة ما كان غالبا كالجيش، ولم يرى ما كان بمغافصة جائحة مثل السرقة، وبعضهم جعل كل ما يصيب الثمرة من جهة الآدميين جائحة بأي وجه كان".[3]

يذكر الفقيه أبو القاسم البرزلي : " [لو بعت من أخيك تمراً فأصابته جائحة فلا يحل له أن يأخذ منه شيئاً، لِمَ يأخذ مال أخيه بغير حق] "، أما في حديث أخر له: " [إذا أصيب ثلث الثمرة فقد وجب على البائع الوضعية]"[4].

[1] الحسين بولقطيب، **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط 2002، ص ص 23 – 25.

[2] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج03، ص 388.

[3] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص 26.

[4] أبو القاسم البرزلي ، **المصدر السابق**، ج03، ص 388.

يتفق الفقهاء على أن الكوارث الطبيعية هي كل ما يترتب ويأتي من الطبيعة وليس من صنع الإنسان، مثل: الريح والقحط والمطر والبرد والجليد والثلج والطير والأسود والدود والأمراض والتثرية والأوبئة والنار والزلازل وغيرها من الكوارث الطبيعية التي تأثر على الكائن الحي، فهذه الجوائح دائما تتسبب في المشاكل التي تقع بين الباعة والمشتري، مثل الكراء عند المزارعين في وقت القحط، لسبب قلة الربح، وهذه الكوارث تأتي من السماء من عند الله عزى وجل لا من صنع الإنسان، لذلك اهتم العلماء بهذا الجانب من أجل اضاح وتقديم تعاليم دينية فيما يخص هذه النوازل الفقهية، وكذلك تدخلت الدولة بإجاد حلول لناس من أجل التخلص من هذه الأزمات التي تترتب على الكوارث الطبيعية ومن مخلفاتها كوارث بشرية، ومجاعات وأمراض وأوبئة فتاكة بالإنسان[1].

[1] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص ص 26 – 28.

الفصل الرابع :

الجوائح الطبيعية(طبيعتها، أسبابها، أنواعها)

شهد المغرب الأوسط خلال القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م) أزمات طبيعية قاهرة، متمثلة في الجوائح أو الكوارث الطبيعية منها: القحط والجفاف وارتفاع الحرارة القصوى، الرياح الساخنة والرياح الباردة، السيول والفياضان، الثلوج الكثيفة والبرد والصقيع (الجليد) والحرائق والزلازل والجراد والهوام والحيوانات المفترسة والبكتيريا والطفيليات والأمراض والأوبئة والمجاعة وغيرها من الجوائح الطبيعية التي غيرت موازين البشرية من الرفاهية والأمن والاستقرار إلى الخوف وتأزم الأوضاع وعدم الاستقرار.

وهذه الجوائح الطبيعية التي حلت بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط أثرت على مختلف مناحي الحياة وأزَّمت الأوضاع العامة، ونتج عنها تغيير مفاجئ انتقل بها من الازدهار إلى الانهيار، إذ أصبحت هذه الجوائح البشرية تهدد البنية الاجتماعية والحضارية لما ينتج عنها من قتل ونهب وسرقة وحرابة وانتشار للرذائل والفسوق، من أجل الحصول على ما يلزم الإنسان من حاجيات، ورغم هذه الجوائح التي غيرت الموازين الحضارية لسكان بلاد المغرب الأوسط من الأحسن إلى الأسوأ، تغيرت الموازين وزاد تكالب الدول المجاورة عليها من أجل نهب خيراته، ومن هذه الدويلات نجد: الدولة المرينية بالمغرب الأقصى والدولة الحفصية بالمغرب الأدنى والدول المسيحية الأوروبية.

فمن هذه الجوائح التي ذكرها الفقيه البرزلي منها: جائحة القحط والجفاف والريح والمرض والدود و اليبس و الجذاذ والثلج والبرد والصقيع والفيضان، كذلك الجوائح البشرية منها العدوى والعسكر والناس الذين يقتحمون المزارع ويأكلونها وينهبون، فهذه الجوائح كانت موضوع أسئلة فقهية كثيرة تطرقنا إليها في بحثنا هذا، وكانت فيها أجوبة من طرف الفقهاء في بلاد المغرب الأوسط، فمن هذه الجوائح ما يجلب الغلاء والبلاء والوباء على أهل البلاد التي تنزل فيها الجوائح الطبيعية و الجوائح البشرية، فأجاب التونسي عن هذه الأحداث حيث قال: " الأقرب في هذه المسائل أنها تجري على إحداث ما ينقص الثمن بجاره أو ينقص الغلة كذلك"[1].

أما الطرار فيفيد عن الشعباني أنّه قال: " فهذه الجوائح [تسبّب] الكساد وغلاء السعر وسواء أحداث المبتاع ومصيبته بعد الجذاذ ليس بجائحة، ولو أجيح بعد موت البائع فالجائحة باقية في ماله.

المبحث الأول: التعريف بالجوائح الطبيعية

[1]أبو القاسم البرزلي، **المصدر نفسه**، ج3،ص 399.

1- تعريف بالجائحة :

تعتبر الجوائح الطبيعية من المشاكل المعتاد عليها في بلاد المغرب الأوسط، وإذا عدنا إلى كتب النوازل الفقهية نجد العديد من المشاكل المترتبة عنها تمسّ بالكيان المجتمعي و بسبل العيش و الكسب لما يلحقه من أمراض وأوبئة وجراد وسباع و هوام و حشرات و قوارض وقحط وجفاف وزلازل وريّاح وأعاصير وفيضانات وثلوج وغيرها، فهذه الجوائح سببت مشاكل مجتمعية بشرية مثل: الحرابة وقطاع الطرق والعصابات والنهب والسرقة والحروب والقتل وغيرها، هذه المشاكل كلها من أجل الحصول على الطعام و الأكل، أما أبو إسحاق الغرناطي وابن فتحون وأبو هارون يفسرا هذه المشاكل البشرية ليس بجائحة، أي أنها من باب سوء حرص المالك[1].

و" هي المصيبة المستأصلة . يقال: أجاحهم العدو واستولى عليهم وكذا الشدائد"، مثال: " ولا جائحة فيما اشتري من الثمر مع أصوله بإجماع. واختلف العلماء في ما اشتُري مفرداً، ومراعاة الكثيرة فيه من القلة وتحديد الكثرة فيه بالثلث. واختلف أئمتنا هل يرجع الثلث إلى قيمة ثمره وإن كانت أقل أو إلى قدرها ؟ وإن كان أقل على ما هو معلوم"[2].

وفي نظر أبو الوليد بن رشد الحفيد ما جاء في قوله: " ... وأما ما أصاب من صنع الآدميين فبعض أصحاب مالك رآه جائحة، وبعض لم يره جائحة، والذين رأوه جائحة انقسموا قسمين، فبعضهم رأى منه جائحة ما كان غالبا كالجيش، ولم يرى ما كان بمغافصة جائحة مثل السرقة، وبعضهم جعل كل ما يصيب الثمرة من جهة الآدميين جائحة بأي وجه كان"[3].

فهناك بعض الفقهاء يعتبرون عمل السارق جائحة ومنهم من لا يعتبر أنه جائحة بل يغرم السارق ويحبس، فتتمثل أعمال السارق أساسا في سرقة أملاك الناس والدولة، لذلك قال الفقيه مالك بعد أن سئل عن جماعة من بلاد المغرب الأوسط تشكل خطرًا على أهل البلاد وسلب أملاكهم، قال: " في أعراب قطعوا الطريق جهادهم أحب إليَّ من جهاد الروم"، مما جاء في الحديث:" من قتل دون ماله أو

[1] الحسين بولقطيب، **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط 2002، ص ص 23 – 25.

[2] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج03، ص 388.

[3] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص 26.

دون المسلمين فهو أعظم لأجره"، حيث قال الفقيه ابن القاسم: إتباعهم وقتالهم، أما ابن سحنون قال: يتبعون ويقتلون بدون توبة، أما الفقيه أبو مهدي سيدي عيسى بن أحمد بن مُحَمَّد الغبريني قال: يقتلوا، من حديث رسول الله ﷺ:[إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعًا من الناس، ولكن يقبض الْعلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُترك عالما اتخذ الناس رؤُوسًا فأفتواْ بغير علم فضلُّوا وأضَلُّوا] فطبقها على أهل الحرابة[1].

كما جاء عند مسلم : " [لو بعت من أخيك تمراً فأصابته جائحة فلا يحل له أن يأخذ منه شيئاً، لِمَ يأخذ مال أخيه بغير حق] "، أما في حديث أخر له: " [إذا أصيب ثلث الثمرة فقد وجب على البائع الوضعية]"[2]،حيث اتفق العلماء والفقهاء على أن الجائحة هي كل ما يترتب ويأتي من الطبيعة وليس من صنع الإنسان، مثل الريح والقحط والمطر والبرد والجليد والثلج والطير والأسود والدود والأمراض والحشرات الضارة و الأوبئة والنار والزلازل وغيرها من الكوارث الطبيعية، فهذه الجوائح دائما تتسبب في المشاكل التي تقع بين الباعة والمشتري، مثل الكراء عند المزارعين في وقت القحط، لسبب قلة الربح، وهذه الجوائح من السماء من عند الله عز وجل لا من عند الإنسان[3].

المبحث الثاني: أنواع الجوائح الطبيعية المناخية

ترتبط الجوائح أو ما يعرف بالكوارث الطبيعية بلغَّة العصر بالقوى الخارجة عن إرادة الإنسان، وهي تدبير الله عز وجل و تصريفه في الكون والمخلوقات، وفي الأديان و العقائد الوضعية هي كل الأحداث الكبرى المتعلّقة بقوى الطبيعة أو بما وراء الطبيعة، وهي في كلا التصوّرين قوّة خارقة قسرية لا يد للإنسان فيها، اللهمّ بعض التدخّلات التي جعلت البشرية تساهم في تعرية الأرض والقضاء على النبات الطبيعي فيها وتلويث البيئة والأودية ومختلف المسطحات المائية، يضاف لها المشاكل والتحديات الطبيعية التي تواجهها في زمان بحثنا هذا.

إنّ مجال بحثنا هذا يختصّ بالبحث في تتبع الظواهر الطبيعية المعيقة للاستقرار البشري ولحركية العادية في بيئته ومجاله الطبيعي، الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالأرض وسطحها وبالمياه ومنابعها وبالجوّ ومناخه

[1] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج06، ص ص 153 – 155.
[2] أبو القاسم البرزلي ، **المصدر السابق**، ج03، ص 388.
[3] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص ص 26 – 28.

ومختلف التقلّبات العادية والطّارئة التي تميّز حالتهما، وكل ما ليس للإنسان يد مباشرة في تدبيره أو توجيهه أو تيسيره أو تسييره.

تحكّمت الجوائح الطبيعية في حياة الإنسان وسلوكياته وتفاعله مع البيئة الطبيعية[1]، كما تحكمت بصورة أدق وأكثر تأثيرا في النشاط الزراعي، الذي يعتبر مصدر عيش الإنسان والحيوان خلال فترة دراستنا، القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م). كما صنفها العلماء والفقهاء والمؤرخون والجغرافيون بأنها ظواهر طبيعية تأتي في أي زمان ومكان، المتمثلة في الرياح والسيريكو والغبار والقحط والجفاف وانحباس المطر والسيول والفيضان والثلوج والبرد والجليد والزلازل والحيوانات المفترسة والجراد والحشرات والأمراض والأوبئة ...الخ.[2]

ومن هذه الجوائح الطبيعية نذكر ما يلي:

1– جوائح الغلاف الجوي: الغلاف الجوي، هو الذي يحيط بالأرض ويدور معها، يبلغ سمكه حوالي 300 كلم، وهو خليط من الغازات والأبخرة والشوائب، التي يزداد تركيبها وكثافتها في الطبقة السفلى القريبة من سطح الأرض، بسبب الجاذبية الأرضية. ومن الجوائح الطبيعية التي تظهر في الغلاف الجوي نجد:

أ– جائحة الهواء: الهواء عنصر أساسي في الطبيعة، ويقوم بتحريك الحياة في هذه الطبيعة، التي يعيش فيها الإنسان والحيوان والنبات، فالهواء ضروري جداً لتنفسه من طرف الكائنات الحية التي تعيش في هذه الطبيعة، ويكوّن السحب التي يولد تكاثفها الأمطار لتكون ووفقا لأسباب أخرى سببا في نمو النبات الطبيعي و الحبوب و الخضر و كل الأحياء على سطح الكرة الأرضية، ويتحكم في توزيع الحرارة والبرودة وينظمها على حساب الطبيعة، وبسبب الهواء ينتقل الصوت من مكان إلى آخر وإلى مسامع الكائنات الحية، ولولا هذا الهواء لذهبت الأصوات، لذلك في القديم ربطت البشرية بين العناصر الأربعة المتفق عليها: وهي الأرض والماء والهواء والنار(الحرارة).[3]

[1] محمود أبوا العلا، **الفكر الجغرافي**، دار اللواء للطباعة، جامعة الأزهر مصر، 1979 م، ص 5.

[2] مُحَمَّد حسن، **المرجع السابق**، ج 01، ص 603.

[3] مؤلف مجهول، **النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية – 47 خريطة و66 صورة وشكلا –** ، مطبعة أندريا كوستا جليو، مصر، 1903م، ص 62.

نجد الهواء في كل مكان ولا يوجد أي مكان يخلوا منه الهواء، فهو يتحكم في البرودة والحرارة، فيخفف الحرارة ثم يولد الرطوبة والبرودة، فيثقل الهواء، ويحدث الضغط العمودي على مستوى البحر، الذي يعادل الضغط الحاصل من عمود الماء ارتفاعه: 10.33م، والضغط العمودي من الزئبق ارتفاعه 79سم[1]، فهذا الهواء إذا فسد يتسبب في قتل الكثير من الناس، حيث يذكر ابن خلدون: "أما الموتان ناتج عن الوباء المنتشر في البلاد، ولغالب أسبابه المجاعة والهواء الفاسد"[2].

ب– جائحة الجوّ: الجو هو عبارة عن هذا الهواء الذي تحدثنا عنه، وبشكله يحيط بالكرة الأرضية، وقدره العلماء والباحثون بأنه يرتفع بحوالي مائة كلم، الذي يتكون من مجموعة من الغازات التي تدور في الطبيعة منها: غاز الأكسيجين وغاز الآزوت وغاز حامض الكربونيك وكذلك بخار الماء، فهذه الغازات عناصر أساسية في الطبيعة حتى يتسنى للإنسان والحيوان والنبات التعايش، وتلعب دورا في تكوين السحب والأمطار.[3]

يقاس الضغط الجوي بجهاز البارومتر، فدائمًا يتغير مع تغير درجة الحرارة، فيزداد كلما زاد الانخفاض ويزداد كلما زاد الارتفاع، حتى أصبح هذا الجهاز يقاس به ارتفاع الجبال مهما كان ارتفاعها.[4]

يدرس علم الجغرافيا الظواهر الطبيعية أو صورة الجغرافيا[5]، منها: الحرارة والبرودة والرطوبة والرياح والحالات الخاصة بالجوّ عامة، لذا نجده يفيدنا في دراسة الجوائح الطبيعية التي محل دراستنا، وإبراز تأثيرها على مختلف الكائنات الحية.

ج– جائحة الحرارة: الحرارة هي الهواء الدافئ، الذي يكون غالباً في فصل الصيف وتكون مرتفعة جدًا، وفي فصل الربيع والخريف تكون معتدلة، أما في فصل الشتاء فتنخفض درجة الحرارة حتى تصبح تحت الصفر.

[1] **المصدر نفسه** ، ص 63.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون ، **المقدمة، المصدر السابق**، ص 112.

[3] مجهول، **النخبة الأزهرية، المصدر السابق**، ص 62.

[4] **المصدر نفسه**، ص 63.

[5] شاكر خصباك، **الجغرافيا عند العرب**، دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1986م، ص 19 .

للحرارة فوائد عديدة، تكون في بعض الأحيان عاملاً من عوامل تكوين التيارات البحرية وتبخر المياه وهبوب الرياح وتحرك السحاب، الذي ينتج عن تحركاته تساقط الأمطار، كما أنها تقوم بتدفئة الأرض حتى تنموا النباتات، وتصدر الأكسجين وحامض الكربونيك الذي تأخذه النباتات، وتطرح الأكسجين الذي يستنشق من طرف الإنسان، لهذا يمكن القول بأن الحرارة هي عامل من العوامل الطبيعية التي تساعد الكائنات الحية في العيش في الطبيعة.[1]

فالحرارة دائمًا تختلف من مكان إلى آخر على حسب المنطقة المعينة، فتختلف بالبعد أو القرب من خط الاستواء، وتختلف بحسب الارتفاع على مستوى البحر، وتختلف من الجبال إلى السهول والهضاب، والإنسان يكون عاملا في تغيير درجة الحرارة، بفعل المصانع والآلات الميكانيكية.[2] وهذا الاختلاف في درجة الحرارة في بعض الأحيان يؤدي إلى جوائح طبيعية.

د- جائحة الرطوبة والتكاثف:

د – 1- الرطوبة: هي عامل من العوامل الطبيعية التي تساعد على عيش الإنسان في الطبيعة، فهذه الرطوبة تصدر عن تبخر الماء الذي يتبخر بسبب الحرارة، وتتمثل في مياه المحيطات والبحار والسدود والأنهار والأودية والبرك وغيرها من المياه التي تتبخر وتشكل سحاب بعد أن يتجمد وينزل على شكل أمطار، وبرد وثلوج، ومياه هذا التساقط يستفيد منها الإنسان والنبات والحيوانان.

د – 2- التكاثف: هو البخار الذي يتشكل عن الحرارة من المياه السطحية ثم يتكاثف هذا البخار ويصبح بخارًا عاتما، ثم يشكل ضبابا وسحبا وندى وأمطارا وبردا وثلوجا بعد أن ترتفع درجة برودته.[3] ومظاهر الرطوبة والتكاثف في بعض الأحيان ينجم عنها جوائح طبيعية.

2- جائحة القحط (الجفاف):

[1] مجهول، **النخبة الأزهرية، المصدر السابق**، ص 62.
[2] **المصدر نفسه**، ص 63.
[3] **المصدر نفسه**، ص 63.

تعرض مناخ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط إلى تغيرات مناخية، أدت إلى الجفاف والقحط، بسبب نقص التساقط، وارتفاع درجة الحرارة، فيخلف هذا الجفاف المجاعة الشديدة التي تمس بالإنسان ومختلف الكائنات الحية.[1]

و من أمثلة ذلك ما سئل عنه الفقيه ابن رشد : عمّن يغير الساقية في وسط الطريق من أجل سقي البستان في عام القحط الذي هلك الزرع، فما حكم هذا؟ أجاب: أن في حلة قحط وغير الساقية في الطريق لسقي الزرع وهذا الماء يهلك الطريق فعلى القاضي ينادي بالشهود ويمنع هذه الساقية التي تجري في طريق العامة ويعيق سيرهم[2].

كما و في نفس المسألة سئل الفقيه ابن رشد عمن اكترى أرض ثم زرعها وبعدها أغرقها المطر ثم القحط هل يلزمه الكراء أم لا؟ فأجاب الفقيه: إذا أصابه القحط فلا كراء عليه، وسئل عمن اكترى زرعا وأصابه القحط أو حمله السيل أو انقطع الجبل على هذه الأراضي؟، فأجاب: أن لا كراء عليه[3].

فالجفاف ينتج عن ظاهرة انحباس المطر وقلة الماء التي يحتاجها الكائن الحي، لذلك سمي بالجائحة المائية، بعد أن تصبح الأرض بدون ماء، الذي يقضي على الكائن الحي سواء كان نباتا أو حيوانا أو إنسانا، فمن هذا الجفاف يختل التوازن البيئي بسبب انقراض بعض الكائنات الحية، وهذا الجفاف يمسّ كل بلدان العالم من فترة إلى أخرى، وتذكر النوازل الفقهية خلال القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م) أنه كلما حل الجفاف انتشر الوباء والمجاعة، لذلك نجد النوازل الفقهية تتحدث عن هذه الجائحة التي مست الكائنات الحية.[4]

جاء في المدونة: عندما يكتري مزارعاً أرضًا فأقحطت السماء وجفّت الأرض أو نزل الفيضان وغرقت الأرض وفسدت الآبار والبرك والينابيع، فلم يستطع المزارع أن يزرع وإذا زرع لم يجني الثمار، فلا كراء عليه، وإن النقد رجع به، وإذا حصد قليلا فلا كراء عليه وإن حصد كثيرًا يجب عليه الكراء.

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 114.

[2] ابن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1 ، ص 1289.

[3] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج3، ص 638.

[4] نوال بلمداني، **نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (04 – 05هـ / 10 – 11م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الأثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013 – 2014م، ص 48.

فمن اكترى دابة من أجل العمل بها ولكن توقف عن العمل لسبب المطر والغزير مثل الفيضان حتى غرقت الأرض أو مرضت هذه الدابة ولم تعمل، فكانت الإجابة: فعليه كراء ما حبسها، وكذلك الكراء الأول، هذا القول من نوازل الفقيه أبي عبد الله سيدي مُحَمَّد المهدي[1].

كما ذكر الونشريسي في المعيار، عن أبي العباس المراكشي بما نصه : " هذا الكلام صحيح في نفسه، غير أنه لا يستفاد جميعه من الآية الكريمة، ومن أين يلزم من سبق جميع المصائب أو غيره من الفرج بما أتي وأين وجه أخذه من الآية الكريمة ؟ « ما أصاب من مصيبة »[2].

فإذا عدنا قليلا إلى الفترات الزمنية السابقة مثل: أيام زناتة ومغراوة وبني يفرن في فترة ما بين (380هـ - 462هـ 990 – 1069م)، شهدت بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة قحطا شديدا، كما شهدته جل الدول المجاورة، فانتشرت المجاعات والأوبئة الفتاكة التي دامت ثلاثة سنين، وظهور كسف بالشمس، وبعد مدة نزل المطر ونبت الزرع وانتعشت البهائم والدواب وكل الكائنات الحية.[3]

ففي سنة (336هـ / 947) ظهر قحط شديد الذي ولّد الغلاء على النا س[4] ، وفي سنة (411هـ / 1020م) اشتد القحط في مدينة تاهرت إلى أن كثر الفناء والموت في الناس[5]، قال ابن حوقل صاحب صورة الأرض" وقد تغيرت تاهرت عمن كانت عليه، وأهلها وجميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم ودوام القحط وكثرة القتل والموت"[6]، كذلك من الجوائح البشرية التي تضر بالكائنات الحية مثل: التي تولد الحرائق النهب والسرقة والقتل وأخذ أرزاق الناس بدون حق، فمن هذه الأحداث ينتج عنها المجاعة التي تصدر الأوبئة الفتاكة بالكائنات الحية في الطبيعة.[7]

يعتبر الجفاف من أخطر الجوائح الطبيعية التي تؤدي بهلاك الإنسان والحيوان والنبات، بسبب جفاف الزرع ويبس الضرع في فصل الربيع، ولا يجد الإنسان ما يأكله وما يخزنه لأيام استهلاكه، فيهلك

[1] أحمد بن سعيد بن يشتغري (ت 516هـ)، **اللورقي المالكي**، تح: قطب الريسوني ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2008، ص 297.
[2] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج01، ص 84 .
[3] ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**، ص 115.
[4] **المصدر نفسه**، ص 100.
[5] **المصدر نفسه**، ص 118.
[6] أبو القاسم بن حوقل النصيبي، **المصدر السابق**، ص 93.
[7] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص50.

الإنسان والحيوان. هناك إشارة إلى أن سكان المغرب الأوسط سنة (679هـ / 1280م) بسبب سنين القحط لم يجدوا ما يأكلونه، فأكلوا القمح فريكاً.[1] وفي عام (711هـ / 1311م) لمّا حل القحط بالمغرب الأوسط وجفت الأرض، خرج أمير المسلمين عثمان بن يغمراسن لإقامة صلاة الاستسقاء من أجل طلب الغيث، فهذا القحط كانت بداية جذوره من سنة (708هـ / 1308م)، حيث دام هذا القحط حوالي 10 سنوات على التوالي إلى سنة (723هـ / 1323م)، حتى سنة (726هـ / 1326م) واختلطت العواصف الرعدية مع جائحة القحط فتأزمت الأوضاع وسادت المجاعة[2]، كذلك سنة (800هـ / 1400م) أكل الناس العشب وانتشروا في بقاع الأراضي من أجل البحث عن الكلأ.[3]

وفي سنة (926هـ / 1020م) توقف هطول الأمطار وجفت الأرض ويبس الزرع وجف الضرع، إلى أن أصبح أهل البلاد يعتمدون على السواقي والعيون والأودية والأنهار والآبار والبرك من أجل الحصول على الماء من أجل السقي والشرب.[4]

سئل الفقيه الشيخ أبو الحسن القزويني عن فرار الناس من بعضهم البعض في فترة الوباء؟ فأجاب من حديث الرسول ﷺ قال:"[لا عدوَى ولا طِيَرَةَ]" كذلك قال:"[لا يحلُ المُمْرِضُ محلَّ المصِحّ حيثُ شاء]"، و اختلف الفقهاء في تفسير هذه الأحاديث، أما الونشريسي فيرى أن هذا الحديث ينطبق على الناس في فترة الوباء وتمسك الناس به[5].

وسئل الفقيه ابن رشد عن جائحة الصَّرّ والقحط قال: إذا أصاب الزرع جائحة الصَّرّ ثم سلم الزرع من هذه الجائحة وبعدها أصابتها جائحة القحط ولم يسلم من هذه الجائحة وهلك الزرع[6]، فأجاب فأجاب الفقيه حيث قال: إذا سلم من الصر و أهلكه القحط فالكراء عنه ساقط[7].

نستطيع القول من خلال الوقوف على جائحة الجفاف[1]، أن المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط تعرض للجفاف والقحط مثل باقي البلدان الأخرى المجاورة بالمغرب الأوسط ، ويعد الجفاف من

[1] محمد حسن، **المرجع السابق**، ج 01، ص 604.
[2] عبد الهادي البياض، **المرجع السابق**، ص 33.
[3] محمد حسن، **المرجع السابق**، ج 01، ص 604.
[4] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **المصدر السابق**، ص 160.
[5] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 11، ص 352.
[6] ا بن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1، ص 1284.
[7] الونشريسي ، **المصدر السابق**، ج 08، ص 166.

أصعب الجوائح الطبيعية الأخرى التي شهدها المغرب الأوسط[2]، لأن الماء هو كل شيء بالنسبة للكائنات الحية، وهذا لتعدد استخداماته(الشرب، سقي المزروعات، سقي الحيوانات، البناء والغسل، الصناعة وغير ذلك من مجالات استخدامه.[3] وهذا لقوله تعالى: { وجعلنا من الماء كل شيء حي }.[4]

3- جائحة التصحر:

تعتبر ظاهرة التصحر من الجوائح الطبيعية مثل القحط والجفاف والفيضان والرياح والثلوج وغيرها من الجوائح الطبيعية التي مست المغرب الأوسط خلال القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م)، فتبدأ ظاهرة التصحر من جنوب الصحراء الكبرى نحو الشمال حيث الهضاب العليا و تلول بلاد المغرب الأوسط ، فتهب الرياح العاتمة القوية من الجنوب نحو الشمال بحملها لكميات معتبرة من الرمال ونشرها على باقي أقاليم المغرب الأوسط، إلى أن تتغطى مساحات شاسعة من التربة الخصبة بالرمال الصحراوية، التي جاءت بها الرياح من الجنوب إلى المناطق الوسطى.

و نستفيد من نوازل تتحدّث عن الأكرية أنّه وإذا هلك الزرع بالثلج أو الجليد أو البرد أو جائحة أخرى فوجب الكراء، وإن هلك الزرع بالمطر أو الجليد وشهد أنه غرق الزرع كله، بعيان الشهود وبعدها نبت الزرع فلا كراء عليه، وإن انكشف في الإبان وجب الكراء عليه[5]، وإن اجتاح الجراد المزارع وعلم كل الناس به فلا كراء عليه في تلك المدة التي يكون فيها الجراد، وإذا كان الجراد بيض في الأرض بمثابة الدود وأكل المزروع فتوقف الزارع عن البذر خوفا من الجراد فهنا لا كراء عليه في هذه المدة[6].

و من خلال هذا النّص الذي يعدّد الجوائح المانعة لاستيفاء صاحب الأرض حقوق كرائه للمستفيد وقت الجوائح التي منعت المستفيد قسرا من الأرض، إذ يعدّد الفقيه المفتي أنماط الجوائح الطبيعية التي اعتاد عليها الساكنة و في أغلبها كانت تنشأ عن الجفاف أو عدم انتظام الأمطار كما كانت و من جهة

---

[1] مجهول، **تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي**، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 10 ، المملكة المغربية، جامعة مُحَمَّد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ، الرباط، 1988م، ص88.

[2] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 71.

[3] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص 51.

[4] سورة الأنبياء، **الآية** 30.

[5] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج03، ص 390.

[6] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 08، ص 164.

أخرى سببا فيه خاصة الجراد الذي يستهلك النبات الطبيعي و يقضي على الغلال و الخضر و الفواكه المغروسة فيكون سببا للقحط و الجفاف.

4- الرياح: عرّف صاحب النخبة الأزهرية: " الرياح هي عبارة عن حركات الهواء الانتقالية التي تحدث على الأخص بسبب اختلاف في درجة الحرارة بين نقطتين من الكتلة الجوية".[1]

فعندما تكون الأقاليم الاستوائية ذات حرارة مرتفعة والأقاليم القطبية ذات برودة مرتفعة فيكون الجو في الطبقات الجوية معتدل، فعند تصادم التياران الهوائيان الحار بالبارد يمثل اعتدال جوي.

أ – الرياح التجارية: تعتبر رياح دائمة تهب بين المدارين من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي من نصف الكرة الشمالي، ومن الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي من نصف الكرة الجنوبي والرياح التجارية العكسية: تهب عكس الرياح التجارية من خارج المدارين.[2]

ب – الرياح الموسمية: فهي التي يكون منبعها من الرياح التجارية التي تكون في شهر أكتوبر حتى شهر أفريل التي تهب من الشمال الشرقي، ومن شهر أفريل حتى شهر أكتوبر تهب من جهة الجنوب الغربي، دائما تتكون في المحيط الهندي و تتشكل من حرارة الهواء في قارة آسيا في وقت الصيف أو تكون في فصل الشتاء بقارة إفريقيا وفي بعض الأحيان تتشكل عنها عواصف قوية.[3]

د – الرياح البر والبحر: " هي عبارة عن الرياح الدورية اليومية التي تهب على سواحل البلاد الحارة من البر إلى البحر أثناء الليل ومن البحر إلى البر أثناء النهار وسببها أن حرارة الشمس في النهار تسخن هواء البر أكثر من هواء البحر فيخفف فيصعد إلى الأعلى ويأتي هواء أخر من جهة البحر لكي يملأ الخلاء . والبر يبرد ليلا قبل البحر فيبقى هواء البحر ليلا أسخن من هواء البر فيصعد ويأتي هواء من البر لكي يملأ الخلاء وهكذا".

ج – الرياح المتغيرة: فهي رياح تهب في كل وقت وفي كل فصل دون انتظام ، وتهب من كل جهات البلاد وفي أي لحظة، وفي بعض الأحيان تهب باردة وفي الأحيان الأخرى تهب حارة، أما الرياح

[1] مجهول، **النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية، المصدر السابق**، ص 65.
[2] **المصدر نفسه**، ص 65.
[3] **المصدر نفسه**، ص 66.

الموضعية: في مصر وفي شرق الشام، التي تخرج من الصحراء الكبرى الإفريقية تسمى برياح السموم، إلى أن تقتل الإنسان بسبب نزيف من الرأس أو الرئتين بسبب الريح الحارة جدًا. [1]

ومن ما يدلّ على شيوع هذا النوع من الجوائح هو ما طرح على الفقيه اللخمي لما سئل عن الريح العاتمة التي تعتبر جائحة طبيعية فتسبب حرائق المزارع بسبب النيران التي يوقدها الإنسان، أو الأمطار الغزيرة التي تغرق الأرض ويوجهها الجار إلى جاره أو إلى المزارع فتغرقها، فحذر منها ابن رشد الفقيه منها وقائلا ضمان للخسائر المترتبة عليه لأنها من الجوائح الطبيعية ويمنع الإنسان في مساهمة أسباب هذه الخسائر المترتبة عنها[2].

وفي الفترة الوسيطة الباكرة سجّلت المصادر هبوب الرياح العاتية ففي سنة (307هـ / 919م) وسنة (355هـ / 966م) كان فيها ريح شديدة السواد التي اقتلعت الديار والأشجار[3]، أما في سنة (379هـ / 989م) هبت رياح شرقية قوية عامة ببلاد المغرب، التي دامت ستة أشهر إلى أن ظهر بعدها الوباء[4]، فهذه من الظروف الطبيعية التي تؤثر على النشاط الفلاحي وإتلاف المحصول الزراعي حتى في بعض الأحيان يسقط الكراء[5]، كما هبّت في سنة (382هـ / 992م) ريح شديدة هدمت مباني إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وأفسدت الحقول بالأشجار ونزعها الثمار، وبعدها ضرب كسوف، وفي سنة 485هـ هبت ريح قوية هدمت مباني تلمسان بالمغرب الأوسط وما يجاورها، فاقتلعت الأشجار حتى أصبحت الحيوانات تسير ما بين السماء والأرض[6]، فإذا انتقلنا في دراستنا إلى القيروان فإنّنا نقول أنّه في سنة (307هـ / 919م) هبت ريح مظلمة صفراء، دامت أيامًا، وسدت الأفق حتى كان الرجل لا يرى جليسه".[7]

---

[1] **المصدر نفسه**، ص 66.

[2] أبو القاسم بن مُحَمَّد بن مرزوق بن عضوم المرادي (ت 1009هـ)، **كتاب الأجوبة**، تح: مُحَمَّد الحبيب الهيلة، دار الحكمة، تونس، 2009م، ج 10، ص 343.

[3] ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**، ص 98 ، 101.

[4] **المصدر نفسه**، ص 102.

[5] بركات اسماعيل، **الدرر المكنونة في نوازل ما زونة لأبي زكرياء يحيي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني ت (883هـ / 1478م)** ، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2010، ج 01، ص 33.

[6] ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**، ص 116.

[7] ابن عذارى، البيان المغرب ، **المصدر السابق**، ج1، ص 182.

شهد المغرب الأوسط خلال القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م) رياح قوية عنيفة، صوّرها لنا ابن أبي زرع بقوله: " وفيها كانت الريح الشديدة التي هدمت المباني".[1]

وقال الفقيه الزاهي:" إن سقطة الثمرة بريح وأمكن لقطها فهي جائحة". أما إذا عدنا للفقيه ابن الماجشون حيث قال:" أن ليس بجائحة". أما الفقيه أبو مُحَمَّد قال:" بأنه جائحة وإن كان له ثمن، لأنه إنما يجذ إذا ييبس، إلا أنه إن سقط الثلث، فلا جائحة إذا رجع بعضه وهو ثمن الساقط. فلو سقط أكثر من الثلث وثمنه مثل الثلث فهو جائحة ويحسب عليه ثمن ما باع"، أما إذا سقط الثلث فهي جائحة وفيها قولان عند الفقيه اللخمي قال: فإن كان بها سموم فقط فتقدر وتعوض، وإن كان مع ثلثها رجع بمناب الساقط[2].

هذه الرياح كانت تفسد المحاصيل الزراعية، وكانت تشكل هاجسا حقيقيا للفلاحين لتأثيرها على محاصيلهم الزراعية، خاصةً الرياح الجنوبية التي تأتي حارة.

أمّا الرياح الغربية، التي كانت تأتي من الجهة الغربية وهي باردة نوعاً ما، أي تكون بين البرودة والرطوبة.[3] فهي أقل خطرا على المحاصيل الزراعية.

جاء في المدونة الجوائح الطبيعية التي تأتي من عند الله تعلى منها:" الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم" فهم جوائح، أما الناس واللصوص والعسكر إن لم يعرفوا فهذا يعتبر جائحة، أما الفقيه ابن نافع قال: اللص هو جائحة، أما الفقيهان ابن رشد والباجي ذكر بأن العسكر ليس بجائحة كاللص، أما الفقيه عبد الحق قال: السارق إن لم يعرف جائحة، وإن عرف يغرم ويدفع لشَّاري وليس جائحة، قال الفقيه ابن رشد:" أن لا جائحة في السارق ولا ما يأخذه السلطان"[4].

[1] ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**، ص 100

[2] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج03، ص 392.

[3] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص 52.

[4] ابن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1 ، ص 1615.

5- جائحة الصقيع:

الجليد مثل الجوائح الطبيعية التي تطرأ على الطبيعة، وتهلك الكائنات الحية منها النبتات والحيوانات والإنسان عبر مختلف العصور.

عرف صاحب النخبة الزهرية الجليد على أنه:" تساقط المياه الجوية في جهة على حالة الجليد يتعلق بدرجة الحرارة وبعد الجهة عن خط الاستواء وارتفاعها عن سطح البحر فتسقط جليدا في الشتاء فقط في بعض الأقاليم المنخفضة من المنطقتين الممتدتين وفي كل فصل من فصول السنة على قمم الجبال والأقاليم القطبية حيث يكون فيها الجليد دائمًا فيتكون لكتلة ثلجية".[1]

اجتهد الفقهاء في إيجاد حلول للزراعة التي يصيبها الصقيع(الجليد)، فسئل أحد الفقهاء في نازلة في العصر الوسيط أن من اكترى أرضًا وأهلكها الجليد فأجاب:" إن كان بعد إبان الزراعة فهو كالجليد"، فإن أتلفت الأرض فلا كراء عليه، وإن ظهر في الإبان لزمه الكراء.[2]

مثال: وإذا هلك الزرع بالثلج أو الجليد أو البرد أو جائحة أخرى فوجب الكراء، وإن هلك الزرع بالمطر أو الجليد وشهد أنه غرق الزرع كله، بعيان الشهود وبعدها نبت الزرع فلا كراء عليه، وإن انكشف في الإبان وجب الكراء عليه[3]، وإن اجتاح الجراد المزارع وعلم كل الناس به فلا كراء عليه في تلك المدة التي يكون فيها الجراد، وإذا كان الجراد بيض في الأرض بمثابة الدود وأكل المزروع فتوقف الزارع عن البذر خوفا من الجراد فهنا لا كراء عليه في هذه المدة[4].

6- جائحة الفيضانات والسيول:

تعد الفيضانات والسيول من الجوائح الطبيعية التي تشكل خطرًا على الكائنات الحية(النبات، الحيوان، الإنسان)، والفيضانات مثل كل الجوائح الطبيعية، لها تأثيرها السلبي على الطبيعة، خاصة في المناطق التي تكون فيها قوية، مثل المناطق السهلة والأودية التي تفيض وتخرج إلى الطبيعة وتحصد الأخضر واليابس، فنجد أودية المغرب الأوسط عرفت خلال العصر الوسيط فيضانات على السهول

[1] مؤلف مجهول، **النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية، المصدر السابق**، ص 64.
[2] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج8، ص 164.
[3] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج03، ص 390.
[4] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 08، ص 164.

المجاورة لها، التي كانت تسكنها الجماعات البشرية. وهذه الفيضانات والسيول عرفتها البشرية منذ القدم حتى العصر الوسيط ببلاد المغرب الإسلامي، ومنها المغرب الأوسط خلال القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م) وإلى يومنا هذا.[1]

في مسألة أخرى: " من اشترى شرب يوم أو يومين أو شهراً أو شهرين فسقى به زرعه فغار الماء أو نقص قدر ثلث الشرب وضع عنه جوائح الثمار" مما أدى به ابن القاسم: " وأنا أرى أنه مثل ما أصاب الثمرة من قِبَل الماء، فيوضع عنه إن نقص شربه ما عليه فيه ضرر بيّن، وإن كان أقل من الثلث أما إلاّ خطب له فلا يوضع له شيء". ومما أدل به الفقيه ابن فتحون:" وتفسير جائحة العطش أنه ينظر إلى تلك الأرض ما يقوم فيها على التوسط وهو حمل السنين ببعضها على بعض، فإنه يقوم للحبة ست حبات على التوسط، فما رفع من الست حبات لزمه ثلث الكراء". وجاء عند الطرار:" لو قال قائل يلزمه في الحبتين شيء لكان عنده مصيبا، لأنه لم ينتفع لما يلزمه في كلفة الحرث والحصاد والدرس أكثر من ذلك"[2].

أشارت العديد من النوازل إلى جائحة الفيضانات والسيول، حيث سئل بعض الفقهاء في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (07هـ - 08 هـ /13 – 14م) عن اكتراء أرضً وبعدها نزل مطر غزيرً فأتلف المحصول الزراعي إلى أن غرقت هذه الأرض، فأجاب الفقيه: إن كان بعد إبان الزراعة فهو كالجليد، وإن كان في الإبان لو انكشف عنها أدرك الزرع ثانية فلم ينكشف حتى فات فهو كغرقها في الإبان، فلا كراء عليه، وإن انكشف في الإبان لزمه الكراء".[3]

سئل الفقيه عمن اكترى أرضًا دائما بها ماء المطر، حيث أجاب أن المأمونة كأرض النيل وأرض المطر، أما أرض السقي بالأنهار والعيون والآبار والبرك والسدود، فالنقد فيها لأعوام الكثيرة جائز[4].

والفيضانات والسيول هي ناتج الأمطار المتهاطلة والمتساقطة بكميات مرتفعة جداً، فهي من الجوائح التي تطلق اليأس والخوف في نفوس الناس.[1]

[1] ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**، ص 102.
[2] ابو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج03،ص 390.
[3] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج8، ص 164.
[4] أبو عبد الله سيدي محمّد المهدي ،**المصدر السابق**، ج 03، ص ص 119 – 120.

سئل الفقيه ابن رشد عمن اكترى أرض ثم زرعها وبعدها أغرقها المطر ثم القحط هل يلزمه الكراء أم لا؟ فأجاب الفقيه: إذا أصابه القحط فلا كراء عليه، وسئل عمن اكترى زرعا وأصابه القحط أو حمله السيل أو انقطع الجبل على هذه الأراضي؟، فأجاب: أن لا كراء عليه[2].

و السيول هي جائحة من الجوائح الطبيعية التي شهدتها الساكنة على مر الزمان في بلاد المغرب الأوسط مثل البلدان الأخرى المجاورة لها، نجد في بعض الأحيان السماء تحبس أمطارها وينتج القحط والجفاف الذي يفتك بالإنسان، كذلك في بعض الفترات الأخرى ترسل السماء ماءها بدون أن يتوقف المطر لمدة من الزمن، شهر أو أكثر وهي تسقط ليلا ونهارًا، فهذه الأمطار أفسدت كل المحاصيل منها جنات التفاح وغيرها من البساتين.[3]

كما ينتج عن هذه السيول جرف التربة وقلع الأشجار وإتلاف المحاصيل الزراعية وتدمير المباني والطرقات والجسور ومنع الناس من العمل في أراضيهم، أي توقف النشاط الفلاحي.

سئل ابن رشد الفقيه عن شخص نصب بيناء عالي على بيناء جاره مما جعل الرياح العاتمة والفيضانات والأمطار الغزيرة تتجه نحو دار جاره، مما سبب له الأذى من هذه الجوائح الطبيعية، فأجاب: أن الضرر الأكبر يخفي الضرر الأصغر، واستدلّ من حديث رسول الله ﷺ حيث قال:[إذا اجتمع ضرران نفي الأصغر للأكبر وإذا التقى مكروهان ارتكب أخفّهما][4].

فالسيول والفيضانات والقحط تمثل خطرًا شديدا على الطبيعة والكائنات الحية، وعندما يحل القحط بمنطقة ما أو بلد ما وبعده تنزل الأمطار الغزيرة والسيول الدائمة، فيختل التوازن البيئي، وتنجم على هذه الحالة أمراض وأوبئة، التي تتلف النبتات وتفتك بالحيوانات وتقتل الإنسان، إلى أن تمثل أمراض جسيمة في الطبيعة.[5]

---

[1] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص 61.

[2] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج3، ص 638.

[3] محمد حسن، **المرجع السابق**، ج 01، ص 604.

[4] أبي القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج04، ص 358.

[5] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص 52.

جاء في المدونة أنّ الجوائح الطبيعية تأتي بتقدير و تدبير و إرادة الله تعالى و مشيئته منها أنّ:" الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم" فهم جوائح، أما الناس واللصوص والعسكر إن لم يعرفوا فهذا يعتبر جائحة، أما الفقيه ابن نافع قال: اللص هو جائحة، أما الفقيهان ابن رشد والباجي ذكر بأن العسكر ليس بجائحة كاللص، أما الفقيه عبد الحق قال: السارق إن لم يعرف جائحة، وإن عرف يغرم ويدفع لشاري وليس جائحة، قال الفقيه ابن رشد:" أن لا جائحة في السارق ولا ما يأخذه السلطان"[1].

7- جائحة البرد:

ظاهرة البرد مثل الظواهر الطبيعية الأخرى، تماثل الثلج والأمطار والقحط والرياح وغيرها، وربما يتجلى تخيل في مخيلة الإنسان أن ظاهرة البرد تأتي غريبة ومعقدةً نوعا ما، من حيث تشكيل البرد وكيفية تشكله؟ وهو برد باردً جامدً ذا وزن يقارب رطل أو أكثر؟ وينزل في فصل الصيف؟، فنستطيع القول أو الإجابة هذه التي تطرأ في مخيلة الإنسان، أنه يتشكل أثناء العواصف الرعدية وفي كل فصل، حيث تصل فيها سرعة التيار الذي يسير نحو الغيوم إلى أكثر من 160كلم /سا، فيخاف الإنسان إذا هطل المطر ومعه البرد إذا كان وزنه أكثر من رطل، لأنه يفسد كل المحاصيل الزراعية وكل ما تصادف معه من الكائنات الحية سواء الإنسان والحيوان، مثل ما حدث في بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة خلال فترة دراستنا.[2]

البرد يأتي البلاد في فترات متقطعة من الزمن، ففي خبر لابن أبي زرع:" نزل برد عظيم كبير الحجر، زنة الحجر رطل وأزيد، قتل الطير والوحوش والبهائم وطوائف من الناس، وكسر الثمار والشجر، وكان ذلك إثر قحط شديد وغلاء عام"[3]. لهذا يعتبر البرد من الجوائح الطبيعية التي عايشها الإنسان في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر والوسيط[4]، وفي سنة (342هـ/ 953م) الذي لم يشهد له أحد، حيث

[1] ابن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1 ، ص 1615.
[2] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص 53.
[3] ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**، ص 100.
[4] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص 100.

دمر الأهالي وقتل المواشي وهلك المزروعات[1]، فهذه الجائحة تختفي لفترات وتعود إلى غاية القرن (07هـ / 13م) الذي سادت فيه الجوائح الطبيعية منها ظاهرة البرد.

و من ما نستنتجه من الفتوى السابقة أنّ لا خلاف في أنّ جوائح:" الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم"[2] هي جوائح قسرية حتمية لا يد مباشرة للإنسان فيها على اتفاق بين الفقهاء و المفتين في ذلك .

جاء في كتاب صاحب الاستقصا قوله: " ... جاء فيها السيول العظيمة بجميع بلاد المغرب، وكان بها رعود قاصفة وبروق خاطفة ودام ذلك أيامًا ..."، ونحن في دراستنا لهذه الظواهر دائمًا نجد مصطلح بلاد المغرب ككل، و هو الذي يساعدنا على بناء مقاربة إسقاطيه على إقليم المغرب الأوسط بوصفه مكونا رئيسيا من بلاد المغرب ككل، لهذا في دراستنا سلطنا الضوء على بلاد المغرب الأوسط وكان تركيزنا عليها وقمنا بأخذ الجوائح الطبيعية التي تحدث في المغرب ككل عند عدم تدقيق المصادر في قطر المغرب الأوسط بوجه مخصوص.

وعلى إثر التوصيف التاريخي الحدثي لهذه الجائحة وما ذكرته المصادر من كوارث ترتبط به وتحمل صفة الشمولية على قطر المغرب الأوسط وأقطار بلاد المغرب الأخرى فإنّ ضرورة البحث تستدعي منا التعريف العلمي للبرد للوقوف على مدى تأثيره على الطبيعة والإنسان و بأنّه لا يقل خطرا عن باقي الجوائح الأخرى.

يتحدث الباحث عبد الله الجمعان الذي درس ظاهرة البرد التي تعد من الظواهر والجوائح البشرية التي يتعايش معها الإنسان في حياته اليومية منذ القدم، ووجد أنّ هذه الظاهرة من الظواهر المعقدة التي لازال الباحثين إلى يومنا هذا بالدراسة عن تشكل البرد وكيفيته، فيتشكل البرد أثناء العواصف الرعدية التي تصل فيها سرعة التيار المتجهة نحوى الغيمة، أكثر من 60 كلم / سا، لذلك العلماء الحاليون يقومون

[1] **المصدر نفسه**، ص 100.

[2] ابن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1 ، ص 1615.

بمراقبة هذه الظاهرة بأجهزة الأشعة تحت الحمراء منها الرادارات والأقطار الصناعية، فطرأت تساؤلات على المهندس عبد الدايم الكحيلي لإجابته عن الأسئلة من القرآن الكريم، وكذلك بالطريقة الفيزيائية.[1]

حيث نعلم أن القرآن الكريم ذكر العديد من الظواهر الطبيعية التي في بعض الأحيان تكبد خسائر مادية وبشرية، مثل البرد في بعض الفترات من الزمن ينزل بوزن رطل أو أكثر فإذ سقط على الإنسان أو الحيوان فيقتله، وبحفظ من الله عز وجل ينجوا الكائن الحي منه، فلقول الله تعالى: { ألم ترى أن الله يزجي سحابًا ثم يُأَلِّفُ بينه ثم يجعله ركامًا فترى الودْقَ يخرج من خلاله وينزِّل من السَّماءِ من جبالٍ فيها من بردٍ فيصيبُ بهِ من يشاءُ ويصرفهُ عن من يشاءُ يكادُ سنَا برقِهِ يذهبُ بالأبصارِ} سورة النور الآية 43[2].

أما و باعتماد تفسير العلماء الفيزيائي التجريبي والإسقاطات الفيزيائية، فنجد تدافع التيارات الهوائية نحوى أعلى الغيوم المتفرقة، فحبات البرد الصغير يشكلها تيار هوائي سرعته 45 كلم/ سا، أما حبات البرد المتوسطة يشكلها تيار هوائي سرعته 88 كلم / سا، أما حبات البرد الكبير يشكلها تيار هوائي بسرعة 160 كلم / سا، وبعدها تتراكم الغيوم في السماء ثم تتشكل قطرات المطر، ثم تتجمع في درجة حرارة تحت الصفر، ثم تتشكل حبة البرد، إذا كانت حبة صغيرة يستغرق وقت تشكلها من 05د إلى 10د، بعد أن تتجمع ملايين من قطرات الماء حتى أن تشكل حبة برد بقطر 15 سم، التي تنزل من حوالي 18 كلم حتى تصطدم بالأرض بسرعة 180 كلم، لذلك يسبب البرد خسائر بشرية ومادية[3].

و يبدوا أنّ أقاليم المغرب الأوسط كانت تعاني من ظاهرة البرد الناجم عن توالي تساقط البرد و الجليد إذ جاء أنه وإذا هلك الزرع بالثلج أو الجليد أو البرد أو جائحة أخرى فوجب الكراء، وإن هلك الزرع بالمطر أو الجليد وشهد أنه غرق الزرع كله، بعيان الشهود وبعدها نبت الزرع فلا كراء عليه، وإن انكشف في الإبان وجب الكراء عليه[4].

[1] عبد الله الجمعان، **كيفية تكون البرد موقع مركز العاصمة**، طريقة فيزيائية، تحجم خسائر بشرية ومادية، يوم 07 / 03 / 2010م. https://www.storm.ae/vb/showth.

[2] سورة النور، **الآية** 43.

[3] عبد الله الجمعان، **المرجع نفسه**.

[4] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج03، ص 390.

8- جائحة الثلوج:

تعتبر الثلوج من الظواهر الطبيعية، وإذا كانت كثيفة جدا تتحول إلى جائحة من الجوائح الطبيعية ، وذلك لتأثيرها السلبي على الكائنات الحية، عند تغطيتها للفضاءات المجالية التي يقتات منها الإنسان سبل عيشه، وبلاد المغرب الأوسط تعرضت إلى العديد من العواصف الثلجة العاتمة لمدة من الزمن، خاصة في مرتفعات وجبالها الوعرة والهضاب العليا.

يقول صاحب النخبة الأزهرية في تعريف الكتل الثلجية: " الكتلة الثلجية هي عبارة عن جليد يتراكم فوق بعضه البعض كالجبال وقد يبلغ طول الكتلة الواحدة 20 كلم وسمكها 100م، على الجبل"، فهذه المناطق سواء تكون في أوروبا مثل جبال الألب أو في جبال المغرب الإسلامي، فتبدأ هذه الكتل الثلجية بالذوبان عند ارتفاع الحرارة أو عند وصول فصل الصيف، فالثلوج تكون في المناطق المرتفعة على مستوى البحر، سواءً في بلاد المغرب أو أوروبا أو أمريكا أو آسيا.[1]

و مما يدلّ على شيوع الجوائح بسبب الثلوج هو ما جاء في النازلة السابقة لما ابتدأ خطاب المفتي بخطر جائحة الثلج "وإذا هلك الزرع بالثلج أو الجليد أو البرد أو جائحة أخرى فوجب الكراء، وإن هلك الزرع بالمطر أو الجليد وشهد أنه غرق الزرع كله، بعيان الشهود وبعدها نبت الزرع فلا كراء عليه، وإن انكشف في الإبان وجب الكراء عليه[2]"، و الثلوج كما هو معلوم كانت تغطّي كل أقاليم الهضاب العليا و المنطقة التلّية ممّا يجعل خطرها عاما في بعض السنوات حيث المناطق الكثيفة السكان و الكثيفة النشاط الفلاحي و الزراعي و هو ما أكدته نوازل أخرى جاء بعضها في الكتابات المنقبية.

يقول أبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني: " حدثني عمي رحمه الله تعالى، أنه كانت له مطامير من القمح والفحم، وكان يعد اللحم المدخر، المعروف بالمسيلي، وبالخليع والزيت، فإذا كان يوم الثلج، فتح مطمورة من القمح وأخرى من فحم، ويتصدق بالزرع والفحم والإدام طول يومه، فلا يرجع إلى داره حتى يفرغ من المطمورتين"[3].

[1] مجهول ، **النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية المصدر السابق**، ص 64.

[2] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج03، ص 390.

[3] أبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التِّلمساني (781هـ)، **المصدر السابق**، ص ص 190 – 191.

فالثلوج تظهر في جميع البلدان وعلى ممر الزمان، منها بلاد المغرب الأوسط التي تتعرض لهذه الجائحة الطبيعية وتولد خسائر بشرية ومادية، خاصة تأتي في فصل الشتاء البارد الذي يتجمد فيه الماء مثل البرد، وهذه الثلوج شهدها الإنسان في العصور القديمة حتى العصر الوسيط مثل ما لاحظناها في العهد الفاطمي و في عهد الدولة الزيانية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (07 – 08 هـ / 13 – 14م)، وهذه الجائحة كان أهل البلاد يحضرون لها باللباس والغطاء والزاد ربما تدوم أيام طويلة، وإرشاد الفقهاء والحكام لأهل البلاد بالتوعية والتبليغ عن الأيام التي تسقط فيها.

المبحث الثالث : جائحة الحيوانات

1– جائحة الجراد:

يعتبر الجراد من الجوائح الطبيعية التي أثرت على الكيان الإنساني والاجتماعي من خلال هجماته على المزارع وأكل الثمار والمنتجات التي يستغلها الإنسان لصالحه[1]، جاء في المدونة الجوائح الطبيعية التي تأتي من عند الله تعلى منها:" الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم"[2].

والقمليات والخشاش هم من الجوائح التي تؤثر على الإنسان[3] مثل الجراد الذي يتواجد عبر العصور إذ يأتي ويذهب من فترة إلى أخرى، ففي سنة (381هـ / 991م) أتى جراد كثير لا يعد ولا يحصى، الذي اجتاح على بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، حيث بقي ثلاث سنين إلى أن حصد الأخضر واليابس[4]، مثلما عم الجراد كل أجزاء بلاد المغرب الإسلامي سنة (377هـ / 987م)، منها بلاد المغرب الأوسط حتى أكل كل المحاصيل الزراعية ولم يترك شيء فاجتاح على البلاد كلها.[5]

كما شهد المغرب الأوسط خلال سنة (406هـ / 1015م) جرادا كثيرا، ألحق ضررا كبيرا بالمحاصيل الزراعية، التي نشب عنها غلاء وعدم القدرة الشرائية لسكان المغرب الأوسط، فحدثت هذه الظاهرة مع

[1] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص 63.

[2] ابن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1 ، ص 1615.

[3] أبو الأصبع عيسى بن سهيل بن عبد الله الأسرى (ت 486هـ)، **المصدر السابق**، ص 746.

[4] ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**، ص 116.

[5] **المصدر نفسه**، ص 102.

اختلاف الحكام في المغرب الأوسط، منهم سير المعز إلى بلاد القبائل البربر وغيرهم[1]، فكان الجراد يأتي في بعض الأحيان بكثرة على شكل أسراب وموجات متتالية على بعض مناطق المغرب الأوسط، مثلما نزلت جموع الجراد في أراضي وادي آريغ[2] خلال القرن (5هـ / 11م)، بعد أن أتلفت كل المحاصيل الزراعية المتواجدة على وادي آريغ.[3]

يشير الفقيه أحمد بن يحيى الونشريسي في إحدى النوازل إلى الجراد خلال القرنين (07 08 هـ / 13 – 14م)، وكيفية تعامل الفلاحين وأصحاب الأراضي الزراعية التي قضى عليها الجراد بالمغرب الأوسط، من خلال خوف الفلاحين من هذه الأسراب والجموع التي تحل بالمحاصيل الزراعية، لذلك قام الفقهاء بإصدار بعض القوانين والفتاوى التي تزيل أعباء الكراء على الفلاحين، حيث سئل أحد شيوخ الفقهاء على أرض بها محصول زراعي واجتاح عليها الجراد وقضى عليها، قال:" لو أتى الجراد إبَّان الحرث فعلم الناس أنهم إن زرعوا شيئًا أكله الجرادُ فامتنعوا لذلك فلا شيء عليه في تلك المدة، قيل يريد أنه باض في تلك الأرض بحيث يعلم أنه إذا ظهر أكل الزرع فهو بمنزلة الدود في الأرض يأكل الزرع، ونص عليه الباجي قال: إذا اكترى الأرض على أن تزرع بطوناً فزرع الأولى فأكلها الجراد وكثر الجراد حتى خاف أن يزرع غيرها فيأكلها الجراد فلا كراء عليه إلاَّ قدر ما أقام الزرع الأول خاصة، ولا شيء عليه فيما أقام من المدة لأنه أتاه ما منعه من زرعها بقية المدة".[4]

وتفيد دراسة مهمّة متخصّصة في الكوارث الطبيعية بأن الجراد خطره جسيم وقوي وخطير على الإنسان والكائن الحر بسبب إتلاف الموارد الزراعية، حينما يأتي في شكل جموعٍ في بعض السنين عبر العصور، حتى أنه يخلّ بالتوازن البيئي الذي ينتج عنه المجاعات وبدورها تصدر الأمراض والأوبئة، و يذكر بعض المؤرخين أنه كلما كانت مجاعة لازمها الوباء، وهذه الأمراض والأوبئة تعود إلى سوء التغذية بالدرجة

[1] ابن الأثير(555 – 630هـ)، **الكامل في التاريخ**، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية، د سنة، ص 1358.

[2] **وادي أريغ**: الواقعة في سمته بلد وارجيلان حتى جهة التلال وتعتبر من واحات الشرقية للصحراء الجزائرية التي تسمى إلى حدي اليوم وادي أريغ. عبد الرحمان ابن خلدون، ج2، ص2397. **وسير الشيماخي**، ج3 ، ص 827.

[3] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص 66.

[4] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج08، ص 164.

الأساس، فكان الجراد يعمر المناطق الصحراوية ذات المناخ الحار، وبالكاد تكون مواتية له، وتعتبر المناطق الصحراوية موطن انبعاث الجراد منه إلى بلاد المغرب الأوسط وغيرها من المناطق الأخرى.[1]

ووقوع بلاد المغرب الأوسط متوسطة الشمال الإفريقي جعلها عرضة للجراد الإفريقي الذي يتكاثر في وسط جنوب القارة الافريقية و للجراد المحلّي الموسمي و هو ما يمكن أن نفهمه من النازلة السابقة :" وإن اجتاح الجراد المزارع وعلم كل الناس به فلا كراء عليه في تلك المدة التي يكون فيها الجراد، وإذا كان الجراد بيض في الأرض بمثابة الدود وأكل المزروع فتوقف الزارع عن البذر خوفا من الجراد فهنا لا كراء عليه في هذه المدة"[2].

إضافة إلى ذلك فإنّ الجراد سريع التكاثر بشكل كبير، ويشبه السمك في بيضه الكثير والمتناثر في كل مكان، لذلك حاول الإنسان منذ القدم إلى غاية فترة دراستنا بحرق الأماكن التي بها مجمعات الجراد من أجل القضاء عليه وبيضه، ويتميز الجراد بميزة عدم السير والطيران في الوقت البارد مثل فترة الليل والصباح، فيقوم الإنسان في هذا الوقت بحرق مجمّعاته[3]، فمن هذه الجموع المتتالية على بلاد المغرب الأوسط التي تفتك بالأخضر واليابس وقللت من المستوى المعيشي سواءً للإنسان أو الحيوان فلجأ الإنسان للجمع وحرق أماكن الجراد، لكن عجز الدولة على إيجاد حلول لتخلص من هذه الجائحة التي حلت بهم، فنظروا إلى حل أخر وهو التعامل بالوصفات الغريبة التي تعتمد على الكهنوت والطلاسم والشعوذة.[4]

فإذا عدنا إلى الجغرافي الإدريسي الذي ذكر في رحلته أن المجتمع في تلك المرحلة كانوا يأكلون الجراد بكثرة حيث قال: " ويأكلون الجراد أكلاً كثيراً مقليا ومملحا"[5]، حتى أن اعتبر سكان أهل بلاد المغرب الأوسط في الجنوب أن هذه الحشرة فهي بلاء من غضب الله عليهم، و من جهة أخرى نجدهم

[1] عبد الهادي البياض، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والاندلس (ق6-8هـ/12-14م)**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2008م، ص 63.

[2] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 08، ص 164.

[3] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص 67.

[4] عبد الهادي البياض، **المرجع السابق**، ص 65.

[5] الإدريسي، **المصدر السابق**، ص 228.

يأكلون الجراد أينما وجدا حتى يتخلصوا من هذا العبء الذي سلطته الله عليهم، و أضحى الجراد يباع في أسواق جنوب المغرب الأوسط.[1]

و في هذا السياق يذكر الفقيه الونشريسي بعض مشاكل الفلاحة حيث أنه ذكر الجراد الذي اجتاح على المحاصيل الزراعية المكتراة أرضها مثل في قوله سئل الفقيه القاضي أبو مُحَمَّد عبد الرحمان اليزناسي عمن اكترى أرضا وغرسها ثم اجتاح عليها الجراد، فأجاب لا شيء على مكتري الأرض من كرائها[2].

سئل الفقيه ابن أبي زيد عن الرمان والتين والخوخ الذي يطيب بطن عن بطن؟ فأجاب:" سبيله سبيل ما توضع فيه ثلث الثمرة بثلث الثمن.

ثم سئل عد الدود الذي يأكل ورق التوت هل توضع الجائحة فيه؟ فأجاب:" نعم توضع الجائحة إن لم يجد مشترى له"، وإن جاء من يشتريه بثمن زهيد؟ فأجاب: لا توضع عنه الجائحة[3].

إذا انتشر واجتاح الجراد على المناطق الزراعية فلا يترك شيء للإنسان والحيوان حتى أن يخلف المجاعة التي يصدر عنها الوباء والطاعون لسوء التغذية، فقد قال القزويني في هذا الشأن " إذا رعت أيام الربيع طلبت أرضا طيبة التربة رخوة، ونزلت هناك وحفرت بأذنابها حفراً وباضت فيها كل واحدة مائة بيضة وطارت، وآفتها الطيور والبرد، ثم أتت أيام الربيع واعتدل الزمان يفقس ذلك البيض المدفون، ويظهر مثل الذباب الصغار على وجه الأرض، وأكلت زرعها حتى قويت، ثم تنهض إلى أرض أخرى وباضت كما فعلت في عامها الأول وهكذا دأبها".[4]

قال: "إذا أكل الدود الزرع الثلث أو أكثر فعليه "رد الساقط أو حبسه ولا يحط عنه شيء"، وإن سقط منها الثلث فله حبسه ويحط عنه بما سقط وما أكله الدود، وإن اشتراه في وقت نموه وبعدها أجيح هذا الزرع ويبس فلا جائحة فيه.

[1] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص 67.
[2] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج08، ص 275.
[3] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**،ج3، ص 398.
[4] **نوال بلمداني، المرجع السابق**، ص 67.

قال ابن رشد إذا أصيب الزرع قبل نضجه فيه اتفاقًا، " وما أجيح بعد إمكان جذاذه بعد طيبه وقبل مضي ما يؤخر إليه جذه عادة تجري على اختلاف قول مالك"[1].

ويلاحظ أنّ جائحة الجراد جاء ذكرها في كل المصادر تقريبا بسبب تمركز الجراد الإفريقي في وسط إفريقيا و تكاثره في المناطق الاستوائية بسبب المناخ الملائم و الغطاء النباتي الكثيف والمتنوّع بجانب أنهار السنغال و بحيرة تشاد و مناطق حوض النيل ليتوجّه بعدها إلى بلاد المغرب شمالا.

2- جائحة الحيوانات المفترسة والهوام:

تعتبر الحيوانات المفترسة عاملا من العوامل التي تأثر على الكائنات الحية، ومن هذه الحيوانات الأسود والذئاب وغيرهما من الحيوانات المفترسة التي تشكل خطراً في المراعي الطبيعية والمناطق السكانية مثل : منطقة تاهرت وبجاية وتلمسان وغيرها من المدن، فكانت هذه الوحوش المفترسة تشن هجوم على الرعاة وتأخذ ما طاب لها من الأغنام والأبقار وتلحق ضررا بالإنسان وحياته، وكانت تدخل هذه الوحوش المفترسة القرى عندما يحل الظلام وتثب على الحيوانات الأليفة في خيامها.[2]

كانت بلاد المغرب الأوسط مليئة بالذئاب المفترسة التي كانت تهدد الثروة الحيوانية، وتشكل خطرًا على الإنسان الذي يخرج في أوقات الليل، خاصة عندما يكون الناس نياما، فيذكر الفقيه البرزلي في نوازله "الوحش العادي" الذي كان يخافه الرعاة في وقت القائلة أو الليل عند خروجه.[3]

شكلت الأسود خطراً على ساكنة بلاد المغرب الأوسط وثروتها الحيوانية، وعجز ساكنها مواجهتها، فكانت هذه الأسود تدخل الأماكن المحروسة والمخصصة للأغنام والأبقار، في أوقات الليل وفي منتصف النهار، فتأكل هذه الحيوانات، ولم يسلم الإنسان منها إذا وجد في مكان خالٍ، وتعيش هذه الأسود في الأماكن الباردة، وإذا ارتفعت درجة الحرارة زادت شراستها.[4]

---

[1] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق** ، ج3، ص ص 392 - 393.

[2] نوال بلمداني، **المرجع نفسه**، ص 64.

[3] البرزلي، **المصدر السابق**، ج06، ص 558 .

[4] موسى هواري، **تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (ق 01 – 07 هـ / 07 – 13م)**، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008 / 2009م، ص 139.

يذكر الفقيه الونشريسي في إحدى نوازله، سئل عنها أبو عمر بن المكوي:" عمن استأجر راعيًا لغنمه فلما خرج الراعي بها المسرح ترك الغنم ورجع إلى المدينة ثم انصرف إليها عشية فوجدها قد نقصت ولم يدر متى زالت أوقات رجوعه أم قبل.

فأجابه بأنه لا ضمان عليه إلا أن يقيم ربُّ الغنم البينة أنها ضاعت في وقت تعدِّيه ذلك. [1]

وفي نازلة كتاب تضمن الصناع، الذي يدفع الثوب إلى القصّار ويأتي ربُّ الثوب ليأخذه فيجد فيه **قطع الفأر** أنه إن لم تقم بينة أنه قطع فأر وأنه لم يفرط ضمن القصار لأنه حال هذا الضمان والراعي مؤتمن".[2]

يتضح من هذه النوازل وجود الوحوش المفترسة كظاهرة خطيرة وجائحة من الجوائح.

وسئل الفقيه الوسياني من روايات أبي عثمان المزاتي الدجمي الذي أطلق اسم " **آفة الغنم**" علي الذئاب والحيوانات المفترسة، التي تشكل خطرًا على الكائنات الحية، حيث يقول: " أبو الربيع وأبو نوح وأبو سهل أن أبا ثمان ممن كان سكن بجبل نفوسة من مزاتة، قالوا عنه: مشى يوم إلى بئر يسقي الماء، فلن يجد من يمسك له فتم السقاء، فنظر فإذا بذئب، فقال له أبو ثمان : تعال امسك لي هنا، لم أجد غيرك يا آفة الغنم" حيث تكلم معه الذئب وأعانه على السقاية ثم ذهب أبو ثمان.[3]

كما ذكر صاحب المسالك والممالك الوحوش بقوله: " والنورية تجذب الحيوان كالفرش الطائر والوحش والغزلان.[4]

ومن الجوائح الأخرى في هذا التصنيف بالمغرب الأوسط نجد العقارب، التي تحدث عنها الإدريسي عقارب بجبل مسيون[5]، فهذا الجبل تكثر فيه العقارب الصفراء اللون لكن خطرها قليل[6]، و

---

[1] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج8، ص 330.

[2] **المصدر نفسه**، ج8، ص 330.

[3] أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني (ق6هـ / 12م)، **سير الوسياني**، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة ، وزارة التراث والثقافة مسقط، سلطنة عمان، 2009م، ج2، ص 529.

[4] أبو عبيد البكري، **المسالك والممالك**، تح: أدريان فان ليوفن و أندري فيري، دار الغرب الإسلامي، 1992م، ص 175.

[5] **جبل مسيون**: جبل مسيون من مدينة بجاية الواقع من الجهة الشمالية، وهو سامي العلو، ويعتبر صعب المرتقى، الذي يحتوي على أعشاب تأخذ لتداوي بها، وبه الكثير من العقارب الصفراء. الإدريسي، **المصدر السابق**، ج1، ص 259.

[6] الإدريسي، **المصدر السابق**، ج1، ص 259.

تشير آخر البحوث التي جاءت بدراسة من تأليف لحسن بودرقا و geographie strabon أن العقارب بها ذكور وإناث أما الذكور أخطر من الإناث، وكانت هذه العقارب والحشرات الضارة عبر ممر الزمن التي تواجدت في بلاد المغرب الأوسط و كان الإنسان في صراع دائم معها منذ العهد القديم حتى العصر الوسيط، وهذا الطرح نفسه ظهر في المصادر الجغرافية الإسلامية منها نزهة المشتاق.[1]

فمدينة القلعة أكبر المدن كثافةً وأوسعها مساحة وأكثرها خيرات لكن ذكر فيها الإدريسي أن " بهذه المدينة عقارب كثيرة سود تقتل في الحال وأهل القلعة يتحرزون منها ويتحصنون من ضررها ويشربون لها نبات الفوليون الحراني ويزعمون أنه ينفع شرب درهمين منه لعام كامل فلا يصيب شاربها شيء من ألم تلك العقارب وهذا عندهم مشهور وقد أخبر بذلك من يوثق به في وقتنا هذا وحكى عن هذه الحشيشة أنه شربها وقد لسبته العقرب فسكن الوجع مسرعاً ثم إنه لسبته العقارب في سائر العام ثلاث مرات فما وجد لذلك السبب ألما وهذا النبات ببلد القلعة كثير".[2]

كان سكان المغرب الأوسط خلال القرنين (07 - 08 هـ / 13 – 14م) يعتمدون في الطب والتداوي بالأعشاب ضد لسعات العقارب وأضرارها، كانت هذه الأعشاب متوفرة في الجبال المرتفعة مثل جبال بجاية وتاهرت والقلعة وغيرها من الجبال والمناطق التي بها الأعشاب التي تصنع بها الأدوية، من أجل التداوي بها لسموم العقارب ولأمراض أخرى والتي سنذكرها في جزء لاحق بالتفصيل.

المبحث الرابع: جائحة (الحرائق، الزلازلْ، والكسوف والخسوف)

1- جائحة الحرائق:

تعتبر الحرائق من الجوائح الطبيعية التي يكون الإنسان سببا في اشتعالها، وفي بعض الأحيان تشتعل هذه النيران من طرف الظواهر الطبيعية مثل الشمس والقمر والكسوف والخسوف والبراكين وغيرها من الكوارث الطبيعية، فهذه الحرائق أثّرت على الثروة الحيوانية والنباتية والإنسان ونشاطه، فيصدر عن الحرائق المجاعة والحرابة والنهب والقتل وغيرها من استغلال أحوال الناس.[3]

[1] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص 65.
[2] الإدريسي، **المصدر السابق**، ص 259.
[3] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص 62.

جاء في المدونة الجوائح الطبيعية التي تأتي من عند الله تعلى منها:" الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم"[1].

والحرائق هي نيران تشتعل في البنايات أو الحقول أو الغابات، إما أن تكون من طرف الإنسان أو أمر طبيعي ناتج عن ارتفاع الحرارة، مثل ما حدث في سنة (305هـ / 917م)، حيث أحرقت النار أسواق مدينة تاهرت قاعدة المغرب الأوسط وعاصمة زناتة.[2]

شهد المغرب الأوسط خلال القرنين (07 – 08 هـ / 13 – 14م) العديد من الحرائق الطبيعية، لهذا نعتبر هذه الحرائق من الجوائح الطبيعية، لأضرارها المتعددة، أتلفت المحاصيل الزراعية والمنتوجات الفلاحية وحقول البساتين والدور والبنايات وغيرها، كلفت هذه الحرائق خسائر ضخمةٍ منها مادية وبشرية.

2- جائحة الزلازل والكسوف والخسوف:

تعتبر الزلازل من الجوائح الطبيعية التي أثرت على مختلف الكائنات الحية بالمغرب الأوسط، وانعكست سلباً على نشاط الإنسان وعيشه واستقراره ، فالزلازل تمسّ بالحياة البشرية مباشرة وتشوه الطبيعة.[3]

والزلازل ليست مثل الجوائح الطبيعية الأخرى التي تتكرر بشكل دائم، فهي تحدث في فترت متقطعة وفي جميع بلدان العالم، منها المغرب الأوسط ، ففي وصف لابن سعيد الذي نقله عنه العمري " أن بلاد المغرب قليل الصواعق والزلازل"، ورغم هذا شهدت بلاد المغرب الأوسط هزات زلزالية مثل ما شهدتها البلدان الأخرى، التي خلفت خسائر مادية وبشرية كثيرة.[4]

عرف المغرب الأوسط هزات زلزالية قوية، مثل زلزال تلمسان الذي ذكره ا ابن أبي زرع في عهد الأمير يوسف بن تاشفين، ذكر بأن الناس لم يرو ببلاد المغرب مثله، هدم البنيان ومات فيه خلق كثير تحت

[1] ابن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1 ، ص 1615.
[2] ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**، ص 98.
[3] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص 63.
[4] عبد الهادي البياض، **المرجع السابق**، ص75.

الردم، ووقعت الصوامع والمنارات، ولم تزل الزلزلة تتعاقب وتتكرر في كل يوم وليلة من أول يوم من ربيع الآخر إلى آخر يوم من جماد الآخرة من السنة المذكورة. [1]

هكذا كانت تتعاقب الزلازل على بلاد المغرب الأوسط مثل باقي البلدان المجاورة لها، مثل مدينة سبتة التي حل بها زلزال عنيف سنة (600هـ / 1165م) الذي هدم المباني وقتل العباد والحيوانات.[2]

المبحث الخامس: جائحة الأوبئة

1 – الوباء:

يعرف الوباء في اللغة بأنّه : كلّ مرض عام ، (وَيَمُدُّ وَيَقْصِرْ)، و جمع المقصور أَوْبَاءٌ، وجمع الممْدُودِ أَوْبِئَةٌ، وقد وُبِئَتُ الأَرْضُ تَوْبَأُ فَهِيَ مَوْبُوءَةٌ إِذَا كَثُرَ مَرْضَهاَ، وكذلك وُبِئَتْ تَوْبَأُ وَبَاءَةٌ فَهِيَ وُبِئَةٌ وَوُبِئَةٌ عَلَى فَعِلَةٍ وفَعِيلَةٍ، وَأَوْبَأَتْ أَيْضًا فَهِيَ مُوبِئَةٌ وَاسْتَوْبَأَتْ الأَرْضَ، وَجَدَتْهَا وَبِئَةً[3].

سئل الفقيه أبو الحسن القزويني على حق المجذوم من الناس والأطباء؟ حيث أجاب : أن المريض بالوباء له حق على الناس والأطباء من اجل التداوي وشفائه من المرض، لكن المعاملة مع المرضى تكون بالحيطة والحذر، حتى لا يتفشى المرض وينتقل من شخص إلى آخر، وحتى إن توفى المريض له حق الغسل والدفن وتطبق كل شروط الميت[4].

مثل ما عمل به أهل أجلو " الذين وقع فيهم وباء في أحد السنين فأضر بأهلها في جناتهم، وآذى كثيرًا، فاقتضى نظرهم أن يجتمعوا ويصوموا يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وربما استعان بعضهم بالأولياء وذوي الكرامات، وفي هذه الظروف شكا أهل تلمسان إلى أبي زكريا يحي بن يوغان الصنهاجي قحطا مسهم فاستسقوا به فسقوا"[5].

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق** ، ص 168.

[2] عبد الهادي البياض، **المرجع السابق**، ص 45.

[3] سمية مزدور، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588 – 927 هـ / 1192 – 1520 م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وأثار كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، (1429 – 1430 هـ / 2008 – 2009 م)، ص 19 – 20 .

[4] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 11، ص 358.

[5] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص 50.

ومن جوائح الأوبئة التي تحدثت عنها كتب النوازل نجد الطاعون.

2- جائحة الطاعون:

الوباء يأتي على جميع الناس في كل زمان ومكان، فالوباء ظهر في العَّهد والقديم والوسيط إلى غاية يومنا هذا، حيث قال الرسول ﷺ : [إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه] أخرجه في الصحيحين، أصاب الناس قحط شديد في عهد عمر ابن الخطاب ﷺ، ثم أتبعه جوعاً هلك به الناس، ثم أعقبه وباءٌ شديدٌ، فهذا الوباء قتل الكثير من الناس حيث أن عمر ابن الخطاب كان يخطب في الناس عن الجفاف والمجاعة والقحط ويدعوا الله لسلامه الناس، وتعليمهم كيفية الابتعاد عن الوباء، حيث توفي جراء هذا الوباء مجموعة من المسلمين منهم: "أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان والحرث بن هشام وسهيل بن عمر وابنه عتبة وآخرين أمثالهم.[1].

إن هذه الأوبئة والأمراض المتتالية على المغرب الأوسط تعتبر من الجوائح الطبيعية التي أثرت على النمو الديموغرافي ومست مختلف الجوانب الإنسانية، وقتلت خلقا كثيرا، وأثرت على المستوى المعيشي بشكل واضح[2]، فنظر العلماء والأئمة والفقهاء إلى هذا الأمر، فأغلبهم أرجعه إلى غضب الله عزّ وجل عنهم فابتلاهم بهذا الوباء، فأصبح العلماء والفقهاء بتفاسير السنة النبوية والقرآن الكريم من أجل أخذ التدابير والحيطة من هذه الأوبئة، حتى أن هذا الطاعون جاح عن جميع البلدان المجاورة لبلاد المغرب الأوسط[3].

يرى الكثير من الفقهاء والمؤرخين والأطباء من خلال كتاباتهم أن جائحة الوباء أو الطاعون اسم واحد، فالوباء هو الطاعون، دون مراعاة الفرق بينهما، لذلك يجب علينا معرفة الفرق بينهما حتى نستطيع التميز بين الفترات التي يظهر فيها الوباء أو الطاعون. [4]

فالطاعون هو الوباء لكن ليس الوباء هو الطاعون، فالوباء أشمل منه، والطاعون مرض مثل الجذري والجذام والحمى والحصبة والذبحة والسعال الجاف وغير ذلك، هذه الأمراض كلها وباء [5]، فكان الطاعون بالنسبة لأهل سكان المغرب الأوسط مثل اللعنة التي حلت بهم تأخذ الأرواح وتفسد أوضاع

[1] عبد الرحمان ابن خلدون، العبر، تح: سهيل زكار، **المصدر السابق**، ج 02، ص 553.

[2] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 71.

[3] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص ص 50 – 51.

[4] سمية مزدور، **المرجع السابق**، ص21.

[5] ابن قيم الجوزية، **الطب النبوي**، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت2006، لبنان، ص 38.

من شتى أنواعها [1]، فهذا الطعون ظهر منذ القدم عبر مرور الزمن، ففي "سنة (307هـ / 919) حلّ بالمغرب الأوسط " وباء كثير وطاعون مفرط.[2]

وفي سنة (344 هـ / 955م) حل وباء بالمغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، الذي هلك أقوام كثيرة "وفيها مات الملك الناصر لدين الله مدينة تلمسان من أرض العدوة".[3]

فتظهر هذه الأمراض في فترات زمنية مع تحول الفصول ففصل به الحرارة والأخر به البرودة والرياح القوية[4]، مثل الريح القوية التي دامت ستة أشهر سنة (379هـ / 989م) إلى أن خلفت "الوباء العظيم والأمراض الكثيرة" إلى غاية سنة (380هـ / 990م)،إن الرخاء المفرط من تراكم السلع لسبب الوباء الذي حل ببلاد المغرب حيث أنه منعهم من تصدير السلع إلى البلدان الخارجية والمجاورة مثل بلاد أوروبا.[5]

فمن هذه التقلبات الجوية ينتج عنها الوباء في شتي أنواعه من السعال والحصبة والحمى والجذري والجذام وغيرها، فيذكر لنا ابن عذارى أن في (يوم السبت 18 شعبان 311هـ / يوم السبت 12 ديسمبر923م) قام عبيد الله بعزل قاضي القيروان عبيد الله إسحاق بن أبي المنهال عن القضاء و ولى مكانه مُحَمَّد بن عمران النفطيُّ، الذي أوقع بأهل نفوسة فهدم وقتل وسبي الذرية، ثم دخل مسرور بن سليمان من صعيد مصر إلى بلاد المغرب الأوسط فوقع فيه وأصحابه الطاعون ثم عاد إلى برقة.[6]

هذا الطاعون الجارف الذي اندثر ثم عاد بعد 06 قرون إلى بلاد المغرب الأوسط سنة (747هـ / 1347م)، الذي ظهر في بلاد الصين ببحيرة بالكاش ثم انتشر إلى بلدان أوروبا ثم بلدان إفريقيا منهم بلاد المغرب الأوسط، إلى أن تسرب إلى كل البقاع في العام وقتل العديد من الناس، حتى أصبحت كل المناطق بالعالم تعاني منه.[7]

---

[1] رفيق تلي، **المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور**، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية ، برلين، ألمانيا ، 2021م، ص 11.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**، ص 98.

[3] **المصدر نفسه**، ص 100.

[4] داود عمر الانطاكي، **بغية المحتاج في المحراب من العلاج** ، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995 ص 335.

[5] علي ابن أبي زرع الفاسي، **المصدر السابق**، ص 102.

[6] ابن عذارى المراكشي ، **المصدر السابق**، ج1، ص 189.

[7] مُحَمَّد حسن، **المرجع السابق**، ج 01، ص 605.

توالت الأمراض والأوبئة[1] على بلاد المغرب الأوسط، يذكر ابن مرزوق الخطيب أنه توالت الأمراض على مولاه أبي الحسن في مدينة تلمسان[2]،فظهر هذا الوباء في الكثير من السنوات، منها في سنة (748هـ/ 1348م) ثم في سنة (749هـ / 1349م) ثم سنة (750هـ / 1350م)، حيث أنه في هذه السنة وصلت الوفيات إلى 4000 قتيل، ثم عاد في سنة (760هـ / 1360م) ثم سنة (833هـ / 1433م) [3].

اتجه الناس نحو الفقهاء والمتصوفة والصلحاء والأولياء من أجل نصحهم وتقديم لهم يد العون وكيفية التخلص منه وطرح بعض الأسئلة الخاصة بهذا الوباء[4]، فأجاب الرصّاع بقوله:" أجمعت الأمة على على أن الفرار ليس بواجب ، وإنما الخلاف هل هو جائز أو مكروه أو حرام"[5] .

فهذا الوباء أثر على كلّ المجالات الحضارية سلبيا[6]، وفي سنة (928هـ 1521م)حل بالبلاد وباء كثير اجتاح كل بلاد المغرب الإسلامي، إلى أن خلف قتلى كثيرون، ودام هذا الوباء إلى سنة (930هـ / 1523م)، فمات الكثير من الفقهاء والعلماء بسبب هذا الوباء القوي.

يعتبر هذا الوباء من الجوائح الطبيعية التي دمرت الحياة البشرية والحيوانية في كل مكان وزمان، ويشتد الفقر على أهل البلاد وتكثر الفاقة وتقل الثمار لاحتباس الناس عن العمل والكسب.[7]

و قد اختلف في سبب هذا الوباء من عدة أوجه، فهناك من يقول بأن هذا الوباء راجع إلى تعكر الماء والهواء مثل عبد الرحمان ابن خلدون، وهناك من أرجعه إلى الزلازل مثل ابن أبي زرع الفاسي، وهناك من أرجعوه إلى وخز الجن، وهناك بعض الفلاسفة أرجعوه إلى أمور غيبية، وبعض الأطباء أرجعوه إلى أمراض جسدية فقط، أما أهل الحديث والقرآن فقد أرجعوه إلى ارتكاب المعاصي وأمروا بالصبر والتأقلم مع هذا الوباء الذي حل بهم وقتل الكثير منهم.[8]

---

[1] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 71.

[2] ابن مرزوق الخطيب، **المصدر السابق**، ص 249.

[3] **المصدر نفسه**، ص 249.

[4] أبو عبد الله محمّد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، ص 50.

[5] محمّد حسن، **المرجع السابق**، ج01، ص608 .

[6] **المرجع نفسه**، ج 01، ص 606.

[7] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **المصدر السابق**، ص 160.

[8] محمّد حسن، **المرجع السابق**، ج 01، ص 607.

وهذه الأمراض البكتيرية تظهر على جسم الإنسان وعلى هيئة الحيوان بحدّة وحرارة، التي تدخل جسم الإنسان على شكل تسمّمات من خلال الغذاء أو الهواء ويصيب جهاز الدورة الدموية بسبب دوران البكتيريا المرض في مجرى الدم وكذلك الطاعون الرئوي ...الخ[1]، أو المياه التي تكون في البر أو المستنقعات، فغالبا ما تكون مياه متعفنة، فعند شربها يحدث مرض من هذا الماء خاصة في بطن الإنسان.[2]

وكذلك من أنواع الطاعون الدبلي أو الدملي أو العقدي أو الذبحة التي تأتي بنفث الدم ويذكر الشيخ الإمام ابن حجر أن هذه الأمراض من أنواع الطاعون، والطاعون هو نوع من الوباء.[3]

فالطاعون يظهر في الأجساد أو المادة اللحمية أو تحت جلد البطن وغشائه حتى أن الجلد له علاقة بالأعضاء التي داخل الجسد، ويحدث ألما شديدا فيها، مثل: الغدد والأمعاء والرئة والكبد والبلعوم والقصبة الهوائية ...الخ. [4]

وكذلك الطاعون الرئوي مثل ما وصفه ابن خلدون في مقدمته، إنه يظهر في الهواء الرطب الفاسد والعفن في المناطق المغطاة بالأشجار، مثل: المناطق الغابية والجبال والمغطاة بالأشجار والنبتات التي تموت الحيوانات بداخلها فتفسد وتتعفن، فيتعفن الهواء والماء، والتربة حتى الغطاء النباتي الذي يعتبر مصدر عيش الحيوانات.[5]

لذلك نستطيع القول أن ليس الهواء فقط مسئول عن ظهور الأمراض والأوبئة وحده فقط بل المياه الراكدة أو الجارية مثل ما جاء في شعر البكري:

قوله :

فمـــتى تلملما بها جاهلها يرتحل عن أرضها قبل الأغلس

---

[1]منظمة الصحة العالمية (07 تموز / يوليو 2022م)، **منظمة الصحة العالمية** – جمع الحقوق محفوظة،***plague<detail<https***://www.who.int،سنة2022م،ص01، *http://adresse complète (consulté le jour/mois/année)*

[2]أبو عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني، **المصدر السابق**، ص 246.

[3]مُحَمَّد المواق ومُحَمَّد الرصاع، **الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية (886هـ–1481م)** ، نص جديد حول الأندلس وإفريقية قبل سقوط غرناطة، تحقيق مُحَمَّد حسن، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، 2007م ،ص 105.

[4]ابن سينا، **القانون في الطب** ، مكتبة جمهورية مصر، القاهرة، مصر، د ت ، ج1،ص 1137.

[5]عبد الرحمان ابن خلدون ت (808 هـ / 1405م) ، **مقدمة ابن خلدون**، تح: عبد الله مُحَمَّد درويش، مكتبة الهداية دمشق،سوريا،2004م ، ص 282.

ومأواها من فح ما خصت به مجس يجري على تراب نجس

فمتى تلعن بلادا مــرة فاجعل اللعنة ذابا لتنفس

كما ساهمت المياه الجارية مثل الينابيع والوديان والأنهار كذلك البحيرات وبقاع المياه والسدود في انتشار الأمراض والأوبئة مثل الجذري والجذام والجرب والحمى والحصبة وهذه الأمراض انتشرت في الكثير من المناطق وليس في المغرب الأوسط فقط بل كذلك في المغرب الأقصى والأدنى وحتى في بلاد الأندلس[1]، و الطاعون الدموي أي إنتان الدموية، كما ذكر ابن خاتمة في أبياته الشعرية:

قوله:

قد خالف الشرع وأحكامه لأنه يثبت بالرائحة

لا تثق بالحياة طرفة عين في زمان طاعونه مستطير

فكأن القبور شعلة شمع والبرايا لها فرش تطير

أما قول ابن الوردي:

يقلون شم الخل في زمن الوبـــــــاء وفاقا لما قال الأطباء ياخلي

فإن قلت للطاعون تسطر على الورى يقول نعم أسطو وأنفك في الخل

وقال إبراهيم المعمار:

قبح الطاعون داء فقدت فيه الأحبة

بيعت الأنفس فيه كل إنسان بحبه [2].

ويذكر المؤرخون الأمراض التي توالت على المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية وشخصتها منها: مرض الذبحة و الدماميل والأورام والشبكية والكندا والصداع والفتق وداء الشاخة، وغيرها حتى القرن (09هـ -15م) ظهر داء الإفرنج، كما علق عليه حسن الوزان أن هذا الداء انتقل إلى بلاد المغرب الأوسط

[1] أبي عبيد البكري ت487هـ، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، د ت، ص63.

[2] أبو جعفر أحمد ابن خاتمة الأندلسي ، **مخطوطات ومطبوعات تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد (747هـ / 1346م)**، شبكة الألوكة، *w ww. alukah.net* ، د ت ، ص 359 .

عن طريق اليهود المهاجرين من الأندلس إلى بلاد المغرب، واستيطانهم بالمغرب الأوسط بعد أن سقطت غرناطة[1].

يذكر مُحَمَّد بن الهيب القادري في تأليفه نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر أن وباء تفاقم في بسكرة وكثر، فمات فيه الكثير حوالي نحو سبعين ألف نسمة منهم الأطفال والشباب والكهول والشيوخ والنساء حتى الحيوانات حتى أن خلت البلاد وأصبح بها سكان قلة.[2]

الذي كان يسمى بداء الإفرنج الزهري بأثره الموجع وقرحة مؤلمة، فتنتشر بكثرة في بلاد البربر في السهول و الصحراء دون الجبال والتلول، الذي جاء بالأخضر واليابس فحصد أرواح كثيرة، فعندما كان هذا المرض يصيب الإنسان في أوروبا فيتجه نحو بلاد المغرب لسبب الهواء الطبيعي إلى أن أصيب به أهل بلاد إفريقيا ، فكان ينتشر عبر التجار والحروب وزيارة الأقارب في إسبانيا وانتقال اليهود إلى المغرب و الأفواج القادمة من أوروبا. [3]

وبعض المؤرخين يذكرون في كتاباتهم أن مرض الطاعون ظهر ببلاد الصين ،ببحيرة بالكاش شمال منغوليا إلى أن وصل إلى بحر القزوين ثم القسطنطينية ثم مسينة سنة (747هـ / 1347م) ثم نابولي وبيزا والبندقية ثم الإسكندرية [4]، إلى أن ظهر الطاعون الأسود سنة (751هـ-1350م) في المغرب الأقصى الذي عرف بالمرض الفتاك ولم يسلم منه أحد، فقتل خلق كثير في المغرب الأوسط في عاصمة الدولة الزيانية ، وقضى على الكثير من العائلات ولم يسلم أحدا منهم وذكر أبو عبد الله الخطيب ابن مرزوق أنّ أولاد الحاج يوسف بن يحي حفيد العالم التفريسي انقرضوا ، وكذلك بعض العلماء منهم أبو عبد الله مُحَمَّد بن يحي النجاري، ومن مواصفات هذا المرض الخبيث حمى دائمة بارتفاع الحرارة وعرق وتشنج وبرودة في الأطراف وقيئ مراري وعطش والبصق بالدم حتى الموت.[5]

---

[1] المازوني أبوا زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي ت (883هـ / 1478م) ، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تح إسماعيل بركات ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، سنة 2009- 2010م، ج01، ص 88.

[2] مُحَمَّد بن الهيب القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تح: مُحَمَّد حجي وأحمد التوفيق، مكتبة الطالب، شارع مُحَمَّد الخامس، الرباط، 1402هـ / 1982م، ص 51.

[3] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج01، ص 84. أنظر / الملحق 07، ص 215.

[4] مُحَمَّد حسن، **المرجع السابق**، ج01، ص 605.

[5] خالد بالعربي، **المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني(698-845هـ/1299-1442م)**، دورية كان التاريخية، دورية إلكترونية محكمة ربع سنوية، ع4، يونيو 2009م، ص 23 .

فهذا الطعون كان يظهر بعد مراحل فظهر أول مرة في المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية سنة (750هـ/1349م)، ثم عاد سنة (763هـ / 1362م)[1]، ثم جاء سنة (764هـ/1363م) ،ثم عاد بعد أربعة سنوات أي سنة (768هـ/1367م)، ثم عاد سنة (845هـ/1442م)[2]، ومن الوقاية منه اتخذوا بعض التدابير منها: التمسك بالشعائر الدينية الإسلامية، مثل الصوم " وهذا ما فعله أهل أجلو الذين وقع فيهم الوباء في أحد السنين فأضر بأهلها في جناتهم وآذى كثيرًا منهم، فاقتضى نظرهم أن يجتمعوا ويصوموا يوم الأربعاء والخميس والجمعة.[3]

أ– جائحة الجذري والجذام والحصبى والحمى:

يعتبر الطاعون من الأمراض التي أرقت الإنسان في العصر الوسيط، حيث أن هذا المرض لا يستهان به، أما الجذام مرض خبيث ولا يقتل مثل الطاعون لكن من خوف الناس منه أثر على نفوسهم، فانتشر هذا المرض في نطاق واسع في مختلف بلدان العالم، حيث أن هذا المرض أصدر حوارا وكلاما يدور بين الفقهاء مثال: هل يجوز مخالطة المجذمين أم لا؟ على غرار الجذام والجذري والحصبة والسعال والذبحة وغيرهم من الأمراض التي تؤّثر على الكائن البشري في الدرجة الثانية بعد الطاعون.[4]

فكان الجذام يأتي من بعض الأغذية: مثل : لحوم الأنعام والأسماك والخضر، مثل : الباذنجان والثوم والخردل والعدس والفول، أما الفواكه مثل : التمر، حتى أصبح الأطباء يسمونه بداء الأسد، بتغير وجوه الذين أصابهم هذا الوباء وهو مرض معدي وينتقل بسرعة من شخص إلى آخر [5] ، فبعض الأطباء الأطباء يشكون ويرجعون سبب ظهور الجذام يعود إلى البثور المتعفنة وأكل بعض الحيوانات التي تأكل اللحوم المسمّمة والمفترسة.[6]

سئل الفقيه عمّن اشترى أمة بصحة جيدة ولكن بعد البيع مرضت بالجذري ثم ماتت، فهل المشتري يرجع على البائع أم لا؟ فأجاب: أن الجذري ليس من الأمراض الأربعة منها: الجنون والجذام

[1] عبد الهادي البياض، **المرج السابق**، ص 35.

[2] خالد بالعربي، **المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698–845هـ/1299–1442م) مرجع سابق**، ص24 .

[3] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص 50.

[4] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص 56. أنظر / الملحق 04، ص 212.

[5] داود عمر الانطاكي ، **المصدر السابق**، ص344.

[6] البرزلي ، **المصدر السابق**، ج6،ص 481.

والبرص والحمْل، فالجذري ليس مذكورا في هذه الأمراض، لكن بعض الفقهاء قالوا أن الجُذْرِي من الجذام[1].

يعتبر الجذري من الأمراض الخطيرة، فبرائحته الكريهة ينتقل بسرعة، أما الحصبة فهي أقل خطرا من الطاعون والجذام، وهذا المرض ينتقل مثل الأمراض الأخرى من شخص إلى آخر أي يتنقل في الهواء، يرى بعض الأطباء أن هذا المرض ينتقل من حيض النساء في الولادة فأصبح الأطباء يقومون بغسل بطن المرأة التي تلد، فصنفها الأطباء إلى أمراض بكتيرية وأمراض فيروسية وأمراض المعدية التناسلية والأمراض المعدية المحجرية.[2]

سئل الفقيه عمن تزوج بِكْرًا وكان بها جذري من قبل ولكن برئت منه عند العقد وبعد الزواج عاد إليها الجذري وتوفيت وادعي وليها بأن زوجها كان يصب عليها الماء البارد لتداوي لكنها توفيت، هل يلزمه الصداق أم لا؟ فأجاب الفقيه: إن الصداق لازم له، أما الجذري مرض وبرئت منه[3].

أما الجرب فهو من الأمراض الحصبة فيرى الأطباء ظهور هذا المرض في جسم الإنسان من الأغذية الخشنة وأكل الحبوب والبقوليات الجافة.[4]

أما الحمى مثل الأمراض الآخر، التي تمس بأجساد الناس وتهلكهم، فهذا ابن بطوطة أصابته الحمى، فنصحه صاحبه أبو عبد الله الزبيدي بأن يستريح في بجاية حتى يبرأ منها، فأبى وركب الدابة على مرض وقال : (إنْ قضى الله عز وجل بالموت فتكون وفاتي على الطريق وأنا قاصد أرض الحجاز) ومن المعروف أن الناس كانوا يرون أن من مات في طريق الحج عُدَّ شهيداً، وقد عنى به الزبيدي وأعاره دابة وخباء، وقال ابن بطوطة: (وكان ذلك أول ما ظهر لي من الألطاف الإلهية في تلك الوجهة الحجازية"[5]. حيث قال ابن مرزوق الخطيب: "عندما توالت الأمراض على مولاه منها مرض الحمى فقال فقال له اذهب إلى تلمسان فخاف ابن مرزوق وقال له والله لا فارقتك"[6]، جاء في قول حسن الوزان :" :" وكثيرا ما يتلهى في المساجد يوم الجمعة في الوقت الذي يجتمع عادة ألاف الأشخاص ، فإذا وصل

[1] أبو عبد الله سيدي محمّد المهدي (1342هـ)،**المصدر السابق**، ج 03، ص 43.

[2] سمية مزدور، **المرجع السابق**، ص 23 .

[3] أبو عبد الله سيدي محمّد المهدي ،**المصدر السابق**، ج 02، ص 154.

[4] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج01، ص 83 .

[5] حسن مؤنس، **المرجع السابق**، ص 34.

[6] ابن مرزوق الخطيب، **المصدر السابق**، ص 249.

الخطيب إلى أحسن فقرة في خطبته واتفق أن سعل آخر (ثم آخر) وهكذا حتى يسعل الجميع في نفس الوقت تقريبا إلى نهاية الخطبة فيفترقون دون أن يسمع أحدا إليها"[1].

ورأى علماء أهل ذلك العصر أن الوباء يظهر في ثلاثة حالات ،الأولى من الماء والهواء والأطعمة الفاسدة ، أما الحالة الثانية فمن وخز الشيطان المتمثل في الصرع وغيرها، أما الحالة الثالثة التي جاء بها الميتافيزيقيون والأطباء فيظهر هذا الوباء من فساد الدم ومن طعن الشيطان، وهناك أراء أخرى من يقول أن ظهور الوباء ناتج عن المجاعة والفقر [2].

ب – الجوائح الطبيعية يمكننا أن نبينها في جدول:

السنة:	نوع الجائحة الطبيعية:	المصدر:	المكان:
260هـ / 874م.	وباء عظيم مع غلاء السعر و عدم الأقوات.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	بلاد الأندلس والمغرب.
285هـ / 898م.	مجاعة و وباء.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	بلاد الأندلس وبلاد العدوة.
303هـ /915م.	فتن ومجاعة كثيرة.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	إفريقية والمغرب والأندلس.

[1] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج01، ص 84 .

[2] محمد حسن، **المرجع السابق**، ج01، ص607

307هـ / 920م.	فتن ومجاعة.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	إفريقيا والمغرب والأندلس.
342هـ / 954م.	ريح قوية.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	المغرب والأندلس.
344هـ / 956م.	وباء عظيم.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	المغرب والأندلس.
355هـ / 966م.	رياح قوية.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	بلاد المغرب.

361هـ / 972م.	الجراد الكثير.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	بلاد المغرب.
377هـ / 988م.	الجراد.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص55.	بلاد المغرب.[1]
378هـ / 989م.	الفيض.	نوال بلمداني، المرجع السابق، ص56.	بلاد المغرب[2].

[1] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص55.

[2] **المرجع نفسه**، ص 56.

379هـ / 990م.	رياح شرقية دامت 06 أشهر، مات فيها الكثير.	ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 97.	بلاد المغرب.
381هـ / 991م.	القحط الشديد، أكل الناس بعضهم البعض.	المصدر، نفسه، ص 97.	بلاد المغرب[1].
381هـ / 991م.	مجاعة شديدة، كثرة الموت في كل مكان.	ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص173.	بلاد المغرب[2].
382هـ / 992م.	رياح قوية، جلبت الوباء والطاعون.	الناصري السلاوي، المرجع السابق، ص 15.	بلاد المغرب.
406هـ / 1016م.	الجراد، قضى على الأخضر واليابس.	المرجع، نفسه، ص 153.	بلاد المغرب[3].

[1] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 97.

[2] ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج1، ص173.

[3] الناصري السلاوي، **المرجع السابق**، ص ص 15، 153.

407هـ / 1017م.	قحط قوي، هلك فيه الناس.	الناصري السلاوي، المرجع السابق، ص 15.	بلاد المغرب.
411هـ / 1321م.	قحط شديد، مات فيه الكثير من الناس.	الناصري السلاوي، المرجع السابق، ص 161.	بلاد المغرب.
485هـ / 1092م.	رياحٌ قوية، قلعت الأشجار وهدمة الديار.	المرجع نفسه، ص 101.	بلاد المغرب.
498هـ / 1105م.	قحط، فتك بالأهالي.	المرجع نفسه، ص 101.	بلاد المغرب.
.	قحط، جفاف.	المرجع نفسه، ص 161.	أودية بلاد المغرب[1].
.	أمراض كثيرة ووباء عظيم.	ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 111.	بلاد المغرب.

[1] الناصري السلاوي، **المرجع السابق**، ص ص 15، 161، 101.

.	جفاف.	المصدر، نفسه، ص 111.	بلاد إفريقية والمغرب والأندلس.
.	قحط.	المصدر، نفسه، ص 115.	بلاد إفريقية والمغرب والأندلس.
.	رياح شديدة.	المصدر، نفسه، ص 116.	بلاد المغرب[1].
.	غلاء مستمر.	ابن الأثير، المصدر السابق، ص 1358.	بلاد إفريقية والمغرب[2].
.	وباء فتاك.	ابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 118.	بلاد إفريقية والمغرب والأندلس.
.	الموت الكثير.	نفسه، ص 118.	بلاد المغرب من تاهرت حتى سجلماسة فقط.
.	رياح وأعاصير شديدة.	نفسه، ص 120.	بلاد المغرب الأوسط بشتى مدنها من الجنوب

[1] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص ص 111، 115، 116.

[2] ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص 1358.

			حتى الشمال[1].
.	علم الناس بالهلاك.	ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 39.	بلاد المغرب و الأندلس[2].

نلاحظ في هذا الجدول التالي بعض الجوائح الطبيعية أو الكوارث الطبيعية التي تعايشت مع الإنسان منذ القدم حتى العصر الوسيط إلى يومنا هذا، وعندما نتحدث عن المغرب فالمغرب الأوسط جزء منه وكل الجوائح التي تظهر في بلاد المغرب كذلك تظهر في بلاد المغرب الأوسط، وهذه الجوائح الطبيعية التي ظهرت خلال القرنيين (07 - 08هـ / 13 – 14م) في المغرب الأوسط، وكذلك الجوائح التي ظهرت قبل القرن (07هـ / 13م)، أما المادة المصدرية خاصة بالمغرب الأوسط نوعاً ما قليلة وغير كافية، لذلك نلاحظ المقارنة بين المناطق واستنتاجها في بلاد المغرب الأوسط من بلاد المغرب الإسلامي، لكن توجد بعض الجوائح التي ذكرها الفقهاء والباحثون بالضبط في بلاد المغرب الأوسط أي في الحيز الجغرافي لمجال بحثنا و دراستنا لهذا الموضوع.

وفي بعض الأحيان لا نجد الدراسات الكافية لموضوعنا هذا من خلال كتب النوازل الفقهية والمناقب التي اعتمدت عليها في بحث هذا، وإذا وجدت بعض الجوائح الطبيعية في كتب النوازل الفقهية والمناقب نجد بعضها بدون تاريخ أو بدون مكان محدد في بلاد المغرب الأوسط، لذلك عملت على هذا الموضوع من أجل معرفة حالة العيش في العصر الوسيط، على شكل مقاربات نسبية لهذا الموضوع، واعتمدت على المادة التاريخية.

ج – الجوائح في بلاد المغرب الإسلامي:

حدود التردد ق 6 - 8هـ / 12 – 14م	عدد	حدود دنيا	حدود متوسطة	حدود قصوى

[1] ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص ص 118، 120.

[2] ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج4، ص 39.

ق 6 هـ 12م	24	من 01 سنة إلى 05 سنوات	من 06 سنوات إلى 08سنوات	من 16 سنة إلى 19 سنة
ق 7 هـ / 13م	26	من 01 سنة إلى 03 سنوات	06 سنوات	25 سنة
ق 8 هـ / 14م	10	01 سنة	من 10 سنوات إلى 11سنة	36 سنة[1]

يمكن أن نستنتج أنّ هذه الجوائح الطبيعية التي حلت ببلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة قد أثرت على بنية المجتمع من موت وجوع وبأس وتشريد، بعد أن نتج عن هذه الجوائح الطبيعية تدافعات و صراعات بشرية، من حرابة وقتل وهجمات من الدول الخارجية، والاختلاف في البيت الزياني على السلطة والحكم، ورغم هذه الجوائح الطبيعية التي هددت الكيان الاجتماعي، أصبحت الدولة الزيانية تبحث عن الحلول من الوقاية من هذه الجوائح الطبيعية والحد من الجوائح البشرية، عن طريق الحكام والأئمة والمحدثين والفقهاء والباحثين بوسيلة الفتاوى الناتجة عنهم وإرشادهم إلى طريق الحق والهدي والكف عن المعاصي وطاعة السلطة وصبرهم على هذه المحن والشدائد، إلى أن يفرج الله سبحانه وتعالى عنهم بالخير ونعمه.

[1] عبد الهادي البياض، **المرجع السابق**، ص 41.أنظر / الملحق 02، ص 210.

الفصل الخامس :

أثر الجوائح الطبيعية على الاقتصاد و الدولة و المجتمع

تعتبر الجوائح الطبيعية إرادة قاهرة وقوّة غالبة قسرية على الإنسان، وينتج عنها آثار كبيرة ستكون قويّة ومتعددة الأصعدة ومستحكمة الأثر في مختلف الميادين ، وأوّل من يواجه آثار هذه الجوائح هو عامّة الشعب من الرعية، وهم من سيقيّم الباحث ردود أفعالهم وأساليب تعاملهم مع المعطيات الطارئة الناجمة عن تأثير تلك الكوارث، ذلك أن الحكم التاريخي سيكون مرتبطا بالصفة الغالبة على عامّة الناس، وإذا ذكرنا المجتمع فإنّنا نعني أيضا وبصفة مباشرة الآثار الاقتصادية التي تتعلّق بأنشطة الناس ومقدّرات عيشهم من رعي وزراعة وفلاحة وتربية المواشي وما يرتبط بهما من غطاء نباتي طبيعي، ومختلف أنشطتهم الحرفية والتجارية.

إنّ تأثير تلك الجوائح لن يستثن بطبيعة الحال أنظمة الحكم السياسية ورجالاتها، ذلك أنّهم أوّل من سيتحمّل تبعات اهتزاز استقرار فئة العامة من الناس وتأثّر موارد أرزاقهم وبيئة أنشطتهم المعاشية، فالحكام ملزمون بتحمّل الصدمات الناجمة عن انهيار توازن النسيج الاجتماعي من أجل صون الاستقرار المجتمعي الذي هو عماد قوّة الدولة وتلاحم مكوّناتها وتنظيماتها الاجتماعية.

المبحث الأول: تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة الاقتصادية:

الجوائح الطبيعية التي تحدثنا عليها في الفصل الرابع لها تأثيرات عديدة في مختلف المجالات، خاصة المجال الاقتصادي، فهذه الجوائح تؤثر سلبا على مختلف الأنشطة الزراعية والحرفية والتجارية، وينتج عنها انتشار المجاعات وارتفاع الأسعار وكثرت الغلاء، بسبب ندرة السلع من الأسواق واحتكارها، ويعود ذلك إلى نقص المحاصيل الزراعية والابتعاد عن النشاط الفلاحي.[1]

وهذه التأثيرات الاقتصادية نوجزها في ما يلي:

1- تأثير الجوائح الطبيعية على النشاط الزراعي والرعوي:

تعتبر الزراعة بالمغرب الأوسط عنصرا أساسيا في حياة الإنسان والحيوانات منها: الأبقار والأغنام والمعز والضأن والحصان والبغال والحمير وغيرها، أما زراعة الحبوب منها: القمح والشعير والفول والحمص والعدس والبصل والثوم والبطيخ وغيرها، ثم الأشجار المثمرة منها: اللّوز والجوز والخوخ والتفاح والكروم والعنب والزيتون وغيرها،

[1] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص 63.

حيث انتشرت زراعة الفواكه والكروم والزيتون في شمال المغرب الأوسط، مثل: بلاد تلمسان، أما زراعة النخيل انتشرت في جنوب الصحراء[1].

وهذا النشاط الزراعي مرتبط بالمناخ وعناصره، فإذا نزل المطر تسقي الأراضي الزراعية، ويكون الإنتاج وفيرا من المزروعات التي تستهلك من طرف الإنسان والحيوان.[2]

وإذا لم ينزل المطر وتنتشر الجوائح الطبيعية تتلف تلك المحاصيل الزراعية، فيقل الإنتاج وتنتشر الأوبئة والأمراض، فيهلك الإنسان والحيوان، وهو ما أشارت إليه كتب النوازل وكتب المناقب.[3]

عرفت الزراعة بتلمسان خلال العهد الزياني نشاط دائما وإنتاجا وفيرا، بفضل طرق الزراعة وطرق الري التي استخدمت في النشاط الزراعي من أجل وفرة الإنتاج، وكان سقي المزارع من وديان وينابيع المغرب الأوسط إحدى مقومات النشاط الزراعي.

ومن بين التحديات التي واجهها الفلاحون والمزارعون بالمغرب الأوسط تعرض محاصيلهم للجوائح الطبيعية، المتمثلة في القحط والرياح والثلوج والزلازل والأمراض والأوبئة والجراد وغيرها.[4]

فهذه الجوائح أحدثت صراعات وخلافات بين هؤلاء المزارعين والفلاحين رفعت إلى الفقهاء والقضاة للبت فيها وفق الحكم الشرعي، وهو ما احتوته كتب نوازل العصر الموافق لعصر الفقيه جامع النوازل أو قبله و تجدّد السؤال عنها.

وهو الذي أشارت إليه إحدى النوازل سئل عنها الفقيه أبو مُحَمَّد: عمن أفسد وأكلت مزرعته من قبل أبقار أو أغنام أو دجاج جاره، فهل يدفع ثمنها أو لا؟ فأجاب: هذه جائحة وإن كانت في النهار فعلا صاحب المزرعة يؤمنها وإن كانت في الليل فالراعي يدفع ثمنها، لأن الراعي هو حارس هذه الحيوانات.[5]

---

[1] نورالدين غرداوي، **المرجع السابق**، ج01، ص 33.

[2] مُحَمَّد بن ساعو، **المرجع السابق**، ص 23.

[3] الطاهر منزل، **المرجع السابق**، ص 95.

[4] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **تلمسان في العهد الزياني (633 – 962 / 1235 – 1555هـ)**، هشام أبو رميلة، رسالة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ – 2002م، ص 179.

[5] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 09، ص 548.

وسئل الفقيه ابن رشد عن شخص نصب ببناء عال على ببناء جاره مما جعل الرياح العاتمة والفيضانات والأمطار الغزيرة تتجه نحو دار جاره، مما سبب له الأذى من هذه الجوائح الطبيعية، فأجاب: أن الضرر الأكبر يخفي الضرر الأصغر، واستدلّ من حديث رسول الله ﷺ حيث قال:[إذا اجتمع ضرران نفي الأصغر للأكبر وإذا التقى مكروهان ارتكب أخفّهما][1].

ومن الأسئلة التي تطرح على الفقيه اللخمي سئل عن الريح العاتمة التي تعتبر جائحة طبيعية فتسبب حرائق المزارع بسبب النيران التي يوقدها الإنسان، أو الأمطار الغزيرة التي تغرق الأرض ويوجهها الجار إلى جاره أو إلى المزارع فتغرقها، فحذر منها ابن رشد الفقيه منها وقائلا ضمان للخسائر المترتبة عليه لأنها من الجوائح الطبيعية ويمنع الإنسان في مساهمة أسباب هذه الخسائر المترتبة عنها[2].

قال: فإذا اختلف المقوّمون في تضرر المزروع الثلث أو أقل، فيحكم بهذه البيّنتين، وإذ استعصى الأمر فالحكم ببينة الثلث، لأن البينة الثلث هي أعدل، ثم قال: يجب على المقومون وصف شهادة الجائحة في الزيتون، فينظر إليها فهي سالمة، ثم ينظر إليها فهي مجتاحة ثم ينظر إليها فهي سالمة ومجتاحة، أي الحكم بثلاثة أقوال.

قال: إذا أخذ المباع أكثر من الزريعة فوجب عليه كراء الأرض وإذا أخذ الزريعة فقط فلا كراء عليه، أما الاشبيلي أبو حفص قال: من وجد الزريعة فقط لا كراء عليه، وإن وجد البذر بقدر نفقة المصاريف فلا كراء عليه[3].

جاء في المدونة: عندما يكتري مزارعاً أرضًا فقحطتْ السماء وجفت الأرض أو عمّ الفيضان وغرقت الأرض وفسدت الآبار والبرك والينابيع، فلم يستطع المزارع أن يزرع وإذا زرع لم يجني الثمار، فلا كراء عليه، وإن النقد رجع به، وإذا حصد قليلا فلا كراء عليه وإن حصد كثيرًا يجب عليه الكراء، أي ألزم دفع حقوق الكراء على حسب الغلَّة المتوفرة في حالة ظهور جوائح طبيعية.

[1] أبي القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج04، ص 358.

[2] أبو القاسم بن مُحَمَّد بن مرزوق بن عضوم المرادي (ت 1009هـ)، **كتاب الأجوبة**، تح: مُحَمَّد الحبيب الهيلة، دار الحكمة، تونس، 2009م، ج 10، ص 343.

[3] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج03، ص 388.

فمن اكترى دابة من أجل العمل بها ولكن توقف عن العمل لسبب المطر والغزير مثل: الفيضان حتى غرقت الأرض أو مرضت هذه الدابة ولم تعمل، فكانت الإجابة من الفقيه: فعليه كراء ما حبسها، وكذلك الكراء الأول، هذا القول من نوازل الفقيه لي أبي عبد الله سيدي مُحَّد المهدي[1].

وإذا هلك الزرع بالثلج أو الجليد أو البرد أو جائحة أخرى فوجب الكراء، وإن هلك الزرع بالمطر أو الجليد وشهد أنه غرق الزرع كله، بعيان الشهود وبعدها نبت الزرع فلا كراء عليه، وإن انكشف في الإبان وجب الكراء عليه[2]، وإن اجتاح الجراد المزارع وعلم كل الناس به فلا كراء عليه في تلك المدة التي يكون فيها الجراد، وإذا كان الجراد بيض في الأرض بمثابة الدود وأكل المزروع فتوقف الزارع عن البذر خوفا من الجراد فهنا لا كراء عليه في هذه المدة[3].

و سئل الفقيه عمن اكترى أرضًا دائما بها ماء المطر، حيث أجاب أن المأمونة كأرض النيل وأرض المطر، أما أرض السقي بالأنهار والعيون والآبار والبرك والسدود، فالنقد فيها لأعوام الكثيرة جائز[4]، أما الريح العاتمة التي تأتي بالنار من الموقد وتأخذها إلى زرع أخر أو بستان وغيرها فلا يتحملها الذي أشعل النار، لسبب البعد أو القرب والنار أخذتها الريح العاتمة، والريح العاتمة تعتبر جائحة طبيعية.[5]

سئل الفقيه ابن رشد : عمّن يغير الساقية في وسط الطريق من أجل سقي البستان في عام القحط الذي هلك الزرع، فما حكم هذا؟ أجاب: أن في حلة قحط وغير الساقية في الطريق لسقي الزرع وهذا الماء يهلك الطريق فعلى القاضي ينادي بالشهود ويمنع هذه الساقية التي تجري في طريق العامة ويعيق سيرهم[6]، لأن هذه الساقية يعتبرها القاضي أنها معيقة للسير في الطريق.

في مسألة أخرى: " من اشترى شرب يوم أو يومين أو شهراً أو شهرين فسقى به زرعه فغار الماء أو نقص قدر ثلث الشرب وضع عنه جوائح الثمار" مما أدى به ابن القاسم: " وأنا أرى أنه مثل ما أصاب الثمرة من قِبَل الماء، فيوضع عنه إن نقص شربه ما عليه فيه ضرر بيّن، وإن كان أقل من الثلث أما إلاّ خطب له فلا يوضع

[1] أحمد بن سعيد بن يشتغري (ت 516هـ)، **اللورقي المالكي**، تح: قطب الريسوني ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2008، ص 297.
[2] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج03، ص 390.
[3] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 08، ص 164.
[4] أبو عبد الله سيدي مُحَّد المهدي ،**المصدر السابق**، ج 03، ص ص 119 – 120.
[5] **المصدر نفسه**، ج 03، ص 540.
[6] ابن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1 ، ص 1289.

له شيء". ومما استدلّ به الفقيه ابن فتحون:" وتفسير جائحة العطش أنه ينظر إلى تلك الأرض ما يقوم فيها على التوسط وهو حمل السنين ببعضها على بعض، فإنه يقوم للحبة ست حبات على التوسط، فما رفع من الست حبات لزمه ثلث الكراء". وجاء عند الطرار:" لو قال قائل يلزمه في الحبتين شيء لكان عنده مصيبا، لأنه لم ينتفع لما يلزمه في كلفة الحرث والحصاد والدرس أكثر من ذلك"[1].

فهذه الأسئلة والأجوبة أغلبها تكون بين الفقهاء وأهل البلاد لسبب ظهور الجوائح الطبيعية، مثل الثلوج والسيول والجليد والرياح والوباء وغيرها من الجوائح أو الكوارث الطبيعية التي تحدث عنها الحسن الوزان في فترة متأخّرة من التاريخ الوسيط، أنّ أغلبها تظهر في فصل الشتاء الذي حدده بأن فصل الشتاء يظهر من شهر أكتوبر حتى شهر مارس، فتنتشر فيه الجوائح الطبيعية بكثرة وعلى حساب نوعها سواءً جوائح طبيعية أو جوائح بشرية أو جوائح حيوانية التي تشكل خطرا على الإنسان[2].

و كان جواب الفقيه أبو حفص:" تقدر جائحة الثمرة المشتراة بوجهين: أحدهما تقديرهم ما تحمل هذه الثمرة على التوسط من حملها في السنين فيقال هو كذا. والثاني تقديرهم أن هذا الذي عاينوه مجاحاً ساقط في أصول الثمرة أو فاسداً في رؤوسها، هو ثلث الذي قدروه [204 أ] من حملها على توسط. وأما لو قدروا هذا المجاح في ما بقى صحيحاً في رؤوس الثمرة شيئاً بمجرده، وافتقر إلى تسليم البائع أنّ المبتاع لم يجذ من الثمرة شيئاً"[3].

سئل الفقيه ابن رشد عن جائحة الصَّرّ والقحط قال: إذا أصاب الزرع جائحة الصَّرّ ثم سلم الزرع من هذه الجائحة وبعدها أصابتها جائحة القحط ولم يسلم من هذه الجائحة وهلك الزرع[4]، فأجاب الفقيه حيث قال: إذا سلم من الصر و أهلكه القحط فالكراء عنه ساقط[5]، كذلك سئل ابن الفقيه ابن محرز عن جنة نزل بها العدو وأكل منها وأفسدها فاشتكي المشتري للقاضي، فأجاب إن كل من أكل من طرف العسكر والناس والعدو فهو جائحة مثل الجوائح الطبيعية وتقدر بالثلث أو أقل وأخذ من عند الباع إلى المبتاع، لهذا أصبح الضمان من طرف المشتري مطلقاً[6].

---

[1] ابو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج03،ص 390.

[2] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج 1، ص 77.

[3] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج03، ص 391.

[4] ا بن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1، ص 1284.

[5] الونشريسي ، **المصدر السابق**، ج 08، ص 166.

[6] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج3، ص 391.

فصّل حسن الوزان في هذه الجوائح التي تأتي في الأسئلة والأجوبة على حساب الأشهر حيث يذكر أن فصل الربيع الذي يبدأ من (15 فيفري حتى 18 ماي)، حيث أن هذا الشهر معتدل أما الفترة التي تمتد من (25 أفريل إلى 05 ماي) تتميز بالسيول والفيضان الذي يفسد المحاصيل الزراعية، ثم يبدأ فصل الصيف حتى شهر أوت الذي يتميز بارتفاع درجة الحرارة والقحط الذي يعم البلاد كلها، ثم فصل الخريف الذي يمتد حتى شهر ديسمبر الذي يتميز بالاعتدال وفي بعض الأحيان يتميز بكثرة الرياح والأعاصير، أم فصل الشتاء الذي تكثر فيه الجوائح الطبيعية يمتد من شهر ديسمبر حتى شهر مارس ثم يأتي الربيع المعتدل[1].

قال الفقيه الزاهي:" إن سقطة الثمرة بريح وأمكن لقطها فهي جائحة". أما إذا عدنا للفقيه ابن الماجشون حيث قال:" أن ليس بجائحة". أما الفقيه أبو مُحَمَّد قال:" بأنه جائحة وإن كان له ثمن، لأنه إنما يجذ إذا ييبس، إلا أنه إن سقط الثلث، فلا جائحة إذا رجع بعضه وهو ثمن الساقط. فلو سقط أكثر من الثلث وثمنه مثل الثلث فهو جائحة ويحسب عليه ثمن ما باع"، أما إذا سقط الثلث فهي جائحة وفيها قولان عند الفقيه اللخمي قال: فإن كان بها سموم فقط فتقدر وتعوض، وإن كان مع ثلثها رجع بمناب الساقط[2].

قال: إذا أكل الدود الزرع الثلث أو أكثر فعليه "رد الساقط أو حبسه ولا يحط عنه شيء"، وإن سقط منها الثلث فله حبسه ويحط عنه بما سقط وما أكله الدود، وإن اشتراه في وقت نموه وبعدها أجيح هذا الزرع ويبس فلا جائحة فيه.

قال ابن رشد إذا أصيب الزرع قبل نضجه فيه اتفاقًا، " وما أجيح بعد إمكان جذاذه بعد طيبه وقبل مضي ما يؤخر إليه جذه عادة تجري على اختلاف قول مالك"[3].

جواب الفقيه اللخمي عن السؤال المقدم له عن جائحة البقول، حيث قال:" اختلف فيها على خمسة أقوال: فقيل من مشتريها مطلقًا، وقيل من البائع مطلقًا، وقيل إن لم يكن لها قدر فلا رجوع، وإن كان لها قدر رجع وإن لم تبلغ الثلث، وقيل حتى تبلغ الثلث، وقيل إن كان مما لا تجوز مساقاتها بحال رجع بقليله وكثيرة، ولا تجوز مساقاته للضرورة كالجزر واللفت والبصل والفجل وكل ما لا يخلف فيعتبر فيه الثلث. واختاره هو: إن كانت العادة السلامة فيه فنزلت جائحة به على خلاف العادة فيرجع بقليله وكثيره ولا حد فيها. وإن كانت العادة

[1] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج 01، ص ص 79 – 80.
[2] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج03، ص 392.
[3] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق** ، ج3، ص ص 392 - 393.

السقوط وأصيب فيه القدر المعتاد فلا رجوع بشيء، وإن زادت على المعتاد بأمر يُتَحسَّس لمثله في الثمن وضع، والبقل واللفت وغيرهما فيه سوء"[1].

سئل الفقيه اللخمي عن الذي اشترى غلةً بكل أصنافها وأجاح أحد أصنافه، فأجاب قال: من اشترى غلةً بأصنافها وأجيحت أحد أصنافها، فتوضع الجائحة على هذا الصنف فقط إذا بلغ هذا الصنف الثلث من الغلة، أما قال ابن حبيب الذي لم يفرق ابن القاسم: " إن بلغت الجائحة ثلث الثمرة رجع بثلث الثمن فلا تقويم وما تأوّله عن ابن القاسم بعيد عن مذهبه[2].

يذكر الفقيه الونشريسي بعض مشاكل الفلاحة و منها أنّه ذكر الجراد الذي اجتاح على المحاصيل الزراعية المكتراة أرضها وجاء في قوله سئل الفقيه القاضي أبو مُحَمَّد عبد الرحمان اليزناسي عمن اكترى أرضا وغرسها ثم اجتاح عليها الجراد، فأجاب لا شيء على مكتري الأرض من كرائها[3].

و سئل الفقيه ابن أبي زيد عن الرمان والتين والخوخ الذي يطيب بطن عن بطن؟ فأجاب:" سبيله سبيل ما توضع فيه ثلث الثمرة بثلث الثمن.

ثم سئل عن الدود الذي يأكل ورق التوت هل توضع الجائحة فيه؟ فأجاب:" نعم توضع الجائحة إن لم يجد مشترى له"، وإن جاء من يشتريه بثمن زهيد؟ فأجاب: لا توضع عنه الجائحة.[4]

ومن هذه الجوائح التي ذكرها الفقيه البرزلي منها: جائحة القحط والجفاف والريح والمرض والدود و اليبس و الجذاذ والثلج والبرد والصقيع والفيضان، كذلك الجوائح البشرية منها العدوى والعسكر والناس الذين يقتحمون المزارع ويأكلونها وينهبون، فهذه الجوائح جاءت فيها أسئلة كثيرة تطرقنا إليها في بحثنا هذا، وكانت فيها أجوبة من طرف الفقهاء في بلاد المغرب الأوسط أو بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، فمن هذه الجوائح تجلب الغلاء والبلاء والوباء على أهل البلاد التي تنزل فيها الجوائح الطبيعية و الجوائح البشرية، فأجاب التونسي عن هذه الأحداث حيث قال: " الأقرب في هذه المسائل أنا تجري على إحداث ما ينقص الثمن بجاره أو ينقص الغلة كذلك"[5].

[1] **المصدر نفسه**، ج3، ص 394.
[2] **المصدر نفسه**، ج3، ص 396.
[3] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج08، ص 275.
[4] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**،ج3، ص 398.
[5] **المصدر نفسه**، ج3،ص 399.

أما الطرار عن الشعباني: فقد قال في هذه الجوائح أن " الكساد وغلاء السعر وسواء أحداث المبتاع ومصيبته بعد الجذاذ ليس بجائحة، ولو أجيح بعد موت البائع فالجائحة باقية في ماله.

سئل الفقيه ابن رشد عمن اكترى أرض ثم زرعها وبعدها أغرقها المطر ثم القحط هل يلزمه الكراء أم لا؟ فأجاب الفقيه: إذا أصابه القحط فلا كراء عليه، وسئل عمن اكترى زرعا وأصابه القحط أو حمله السيل أو انقطع الجبل على هذه الأراضي؟، فأجاب: أن لا كراء عليه[1].

و سئل ابن محرز عمن اشترى نخل وقطعها رجل بعد أن بيعة؟ فأجاب: " الذي يجب عندي أن يقوّم النخل على أن لو جاز بيعها على بقاء خراجها على بائعها كم تسوى فتكون قيمتها"[2].

إن الجوائح الطبيعية إذا توالت على بلاد المغرب الأوسط خاصة وبلاد المغرب الإسلامي عامة، يصدر عنها المجاعات والمجاعة يصدر عنها الوباء مثل: مجاعات (617هـ / 1220م)، و (679هـ / 1280م)، (693هـ / 1293م)، و (698هـ / 1293م)، (723هـ / 1323م)، (724هـ / 1324م)، (734هـ / 1333م)، أما الطاعون الخطير نتج عن المجاعة مثل: سنة (749هـ / 1348م)، و(776هـ / 1374م)، و (764هـ / 1363م)، فهذه المجاعات و الطواعين تسببت في ركود التجارة الداخلية والخارجية[3].

2- تأثير الجوائح الطبيعية على النشاط الحرفي والصناعي:

تعتبر الحرف والصناعات بالمغرب الأوسط بصفة خاصة، وبلاد المغرب الإسلامي والأندلس والبلدان المجاورة بصفة عامة عنصرا هاما وأساسيا في الحياة البشرية، فالإنسان في هذا النشاط يحول المواد الأولية إلى مواد نصف مصنعة ومصنعة، ثم يسوّقها داخليا أو خارجيا للحصول على موارد مالية يسد بها حاجياته.

ومن الأنشطة الحرفية التي يمارسها حرفي المغرب الأوسط وتحتاج إلى مواد أولية (زراعية، حيوانية، معدنية...)، نجد حرفة النسيج، التي تعتمد على غزل الصوف والحياكة، بهدف صناعة مختلف الألبسة والأفرشة والأغطية والزينة

[1] **المصدر نفسه**، ج3، ص 638.

[2] **المصدر نفسه**، ج3، صص400 - 401.

[3] مُحَمَّد بن ساعو، **المرجع السابق**، ص 24. أنظر / الملحق 03، ص 211.

للنساء والرجال، وصناعة الفخار والجلود والطعام وبناء البيوت وصنع أدوات الكتابة وغيرها من الصناعات التي تمسك بها أهل بلاد المغرب الأوسط ، فكانت تلمسان مركزا للزراعة والصناعة والتجارة.[1]

فاشتهرت هذه الصناعات في المدن أكثر من البادية، و أفادت المصادر بأنّ مدن المغرب الأوسط كانت تعجّ بالأسواق الكثيرة والمراكز التجارية.[2]

وتعتبر الأرحية من الحرف والصناعات الهامة، التي اعتمدها مجتمع المغرب الأوسط، لما لها من أهمية كبرى في تحويل المواد الزراعية إلى مواد نصف مصنعة تستخدم في صناعة مختلف الأطعمة ، حيث جاء في أحد الأسئلة: إذا قلَّ الواردون الذين كانوا يأتون بالطعام من أجل الطحن، هل هذه الظاهرة جائحة يصدر بها الكراء أم لا؟ فكان الجواب، إذا قلَّ الواردون إلى الفنادق المكتراة لنزول فيها لسبب قلة الطعام لرحى أو الخوف الذي ساد في الطريق سواءً كان سببه جوائح طبيعية أو جوائح بشرية، فهنا يكون الكاري مخيرًا إما أن يتمسك بالكراء ويحط به الكراءُ أو يتركه[3].

نرى من هذا القول أن الحرف والصناعات أغلبها جاءت من بلاد الأندلس إلى بلاد المغرب تلمسان إلى المراكز الحضارية منها تلمسان وبجاية والجزائر، بسبب النزاعات والحروب التي كانت بين كملوك الطوائف من جهة الإسبان من جهة أخرى، فأصبحت بلاد المغرب الأوسط تعج بأهم الحرف والصنائع القادمين من الأندلس خاصة مدينة تلمسان، و من جرّاء هذا التطور الحضاري الذي شهدته بلاد المغرب الأوسط كثرت الحرائق الناتجة عن المصانع التي انتشرت في كل مكان[4].

3- تأثير الجوائح الطبيعية على النشاط التجاري:

تأتي التجارة بعد الزراعة والصناعة التي تتمثل في بيع المنتوجات الفلاحية والصناعية سواء مواد أولية أو خامة أو نصف مصنعة أو مصنعة، مثل ما تناولته في النشاط الزراعي والنشاط الحرفي والصناعي سابقًا، فالنشاط التجاري تمسك به سكان المغرب الأوسط، سواءً تجارة داخلية أو تجارة خارجية، وهو شريان الحياة الاقتصادية، يدخل الرفاهية والبذخ لمجتمع المغرب الأوسط.

---

[1] محمّد بن ساعو، **المرجع نفسه**، ص 26.

[2] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 35.

[3] ابن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1 ، ص 1282.

[4] محمّد بن ساعو، **المرجع السابق**، ص 26.

وبالعودة إلى كتب النوازل وقفنا على العديد من نوازل الجوائح الطبيعية التي تتعلق بالنشاط التجاري، تشير بعض الأسئلة التي وردت على فقهاء المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط إلى الجوائح الطبيعية التي تتعلق بالنشاط الزراعي وتأثيرها على النشاط التجاري، حيث سئل الفقيه الأجل الإمام الحافظ القاضي العدل أبو الوليد بن رشد شيخنا ﷺ على جائحة أصابت البلاد وضعف العباد وقلت التجارة، هل يلزم الكراء على المكتري أم لا؟، أجاب: ينظر القاضي إلى دخل الحوانيت ويقدر الكراء على حسب الدخل.[1]

كما أورد البرزلي نازلة عن تجار من صقلية إلى سوسة و رمتهم الرياح إلى نواحي تونس تحدّد السؤال عنها في بلاد المغرب حول تأثير الرياح العاتية على مراكب التجارة و عن كيفية استخلاص الكراء لصاحب المركب في حال غيرت الرياح وجهة السفينة بما يلحق الضرر بصاحب التجارة المكتري فأجاب الفقيه ابن شلبون بأنّه: « إذا كان المرسى الذي نزلوا به مأمونا فالذي دوّر المركب بغير إذن التجار ضامن لما أغرمهم السلطان، و كذا لو قدّر على مرسى مأمون غير هذا فكره و دار إلى هذا، و أمّا لو كان غير مأمون و اضطروا إلى هذا فلا ضمان على صاحب المركب....»[2].

كما يتحدث حسن الوزان عن جائحة الرياح والثلوج اللتين تعتبران عائقا أمام التجار الذين يأتون إلى بلاد المغرب الأوسط، من كل مكان سواءً من بلاد فاس أو تافيلالت أو غيرهما، وكذلك من بلاد الأندلس وأوربا والمشرق الإسلامي، فهذه الجوائح الطبيعية تشكل خطراً على التجار وتوقف التجارة و الترحال بين البلدان خوفاً على حياتهم وممتلكاتهم، حيث أن بلاد المغرب الأوسط كانت تتميز في فصل الشتاء بالبرد القارس والثلوج الكثيفة والجليد والأمطار الغزيرة والرياح وغيرها من الجوائح الطبيعية.[3]

فعلم الجغرافيا البشرية والجغرافيا الاقتصادية[4] يبينا مدى تأثير الحرابة التي تعتبر من الجوائح البشرية على النشاط التجاري، مثل الجوائح الطبيعية التي عرقلت طريق سير التجار إلى البلدان المجاورة، مثل: المغرب الأقصى والمغرب الأدنى وإفريقيا جنوب الصحراء، حيث أن ظاهرة اللصوصية التي انتشرت خلال القرنين(7 – 8هـ/ 14-15م)[5]،

[1] ابن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1 ، ص ص 1283 - 1284.

[2] أبو القاسم البرزلي، **المصدر السابق**، ج3، ص638.

[3] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج 1، ص 73.

[4] محمد بالفقيه، **الجغرافيا القول فيها والقول عنها**، النشر العربي الإفريقي، المغرب، د س، ص 12 .

[5] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 36.

حيث أصبح التجار يخشون من اللصوص وقطاع الطرق على أنفسهم وعلى تجارتهم، لهذا تقلصت التجارة بالمغرب الأوسط، وأصبحت مهددة، وانحصرت في التجارة الداخلية.[1]

هذه الجوائح الطبيعية تأتي في غالب الأحيان في فصل الشتاء الذي يتحدث عنه ويصفه حسن الوزان بأنه يبدأ في أغلب البلدان من شهر أكتوبر حتى شهر ديسمبر، أما البرد الشديد القارس يظهر في شهر جانفي، مثل: وقتنا الحالي، أما شهري فيفري ومارس تتميز بالرياح القوية التي تقلع الديار والأشجار وتخرب المحاصيل الزراعية حتى أن تقتل الإنسان والحيوان، ففي هذه الأشهر التي تميزت بالجوائح الطبيعية في بلاد المغرب الأوسط وتمنع سير التجار القادمين إليه من كل مكان بعيد أو قريب.[2]

المبحث الثاني: تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة الاجتماعية

إذا كان من المتفق عليه أن الجوائح و الكوارث الطبيعية هي فعل قسري خارج عن نطاق الإنسان فإنّ تأثيرها سيكون متفاوتا حتما على معطيات الحياة و على السير العادي لنمط معيشة الساكنة، فالنوازل جاءت ليبحث الفقهاء فيها عن مخارج لارتباك مختلف الأنشطة الكسبية، و لتبدّل أحوال المعيشة، ذلك أنّ أوّل ما تصيب الجوائح تصيب الأرض و الزروع و الثمار و المساكن، و تؤثر على تحصيل أسباب الكسب فيبحث الجميع عن حلول لا تضرّ بأحوال الناس و معاملاتهم.

1 – المجتمع:

تعايش مجتمع المغرب الأوسط مع الجوائح الطبيعية التي عرفها المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، حيث كانت الأوبئة والجوائح الطبيعية تحل بهم تقريبا كل عشر أو خمسة عشر سنة، وتأتي على الأخضر واليابس، وهناك من يقول من المؤرخين والباحثين أن بعض الجوائح تأتي من سنة إلى أخرى، حتى و إن لاحظنا أنّ هذه الجوائح انتشرت منذ الزمن القديم فإنّ ذروتها زادت خلال العصر الوسيط مثل: الطاعون الجارف الذي حدث سنة (748هـ / 1347) وحصد الكثير من أرواح الناس.[3]

[1] محمّد بن ساعو، **المرجع السابق**، ص 30.
[2] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج 1، ص ص 77 – 78.
[3] محمّد حسن، **المرجع السابق**، ج01، ص 610.

وهذه الجوائح كانت تتسبّب في الأوبئة والمجاعات التي قتلت الكثير من البشر، فكان الفقهاء والعلماء والولاة يقومون بتوزيع الحنطة والأغذية في الأيام الصعبة إلى الناس وتوزيعها عليهم إلى أن يتغلبوا عن هذه الظروف الصعبة.[1]

كما ترتب على هذه الجوائح الطبيعية الكثير من المشاكل المعاشية الخاصة بساكنة المغرب الأوسط أو البلدان المجاورة لها، ومن هذه المشاكل نجد انتشار الحرابة والنهب والسرقة والانحلال الخلقي والقتل، ومست كذلك الجانب الديني والعقدي[2] مثل انتشار ظاهرة الردة[3]، فكان الناس يعتقدون أن النصارى يملكون كل المواد الغذائية التي تلزم أهل ساكنة المغرب الإسلامي في فترة القحط والجفاف، الذي سبب المجاعة، وهذه الأخيرة كانت سببا إلى الردة من أجل أخذ الغذاء من عند النصارى.[4]

كلما ظهرت الجوائح الطبيعية أو الوباء تصدّى له الكثير من العلماء والأولياء الذين عرفوا بالكرامات وذلك بإطعام الفقراء والمساكين ومداواة المرضي الذي مسّتهم الأوبئة والأمراض، مثل مرض الجذام والبرص والطاعون وغيرها من الأمراض المستعصية والمجاعات التي حلت بسبب جائحة الجفاف.[5]

كما تعتبر الحروب جائحة من الجوائح البشرية ينتج عنها المجاعات، مثل الحصار الشديد الذي ضرب تلمسان وهو الحصار الذي قام به أبي يعقوب المريني على تلمسان كان (يوم الجمعة 02 شعبان 696هـ / يوم الجمعة 06 جوان 1297م) فتخلصت تلمسان من هذا الحصار في شهر ذي القعدة (706هـ / 1306م)، فهذا الحصار دام 08 سنوات و 03 أشهر حتى أصبح أهل مدينة تلمسان يأكلون الجيفة والحيوانات و بلغ الأمر أن وصفهم ابن الأحمر بأنهم أكلوا موتاهم.[6]

وفي عهد الفقيه الصوفي ابن صعد – الذي تقرب من السلطة الزيانية، فبدأ بنشر العلم وإلقاء المحاضرات الدينية والفقهية– اجتاح الوباء والطاعون الذي أزَّم هذه الفترة، فتدهورت الأوضاع وانعدم الأمن والاستقرار وانحرف الناس إلى الطريق الخاطئ، فأراد ابن صعد تغيير هذه الأوضاع إلى الأحسن وهذه الفكرة غاية التيار الصوفي والسلطة الزيانية، فبدأ بنصح وإرشاد الناس عامة وتوعيتهم بأن هذا الوباء سوف يزول، أما الأخلاق فتدوم

[1] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص 68.
[2] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 71.
[3] **المرجع نفسه**، ص 29.
[4] محمد رزوق، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين(16 – 17)م**، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1998م، ص 143.
[5] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص 43.
[6] خالد بالعربي، **المرجع السابق**، ص 22.

عليكم بالتمسك بالدين الإسلامي وأخلاقه والابتعاد عن الأعمال الدنيئة، التي تهلك المجتمع وتغضب الله سبحانه وتعالى.[1] وكذلك ندائه لسلطان يغمراسن أن ينظر إلى رعيته وينصفهم ويقدم لهم حقّهم في هذه الأزمة، ثم بدأ ينشر أخبار الرسول الله ﷺ والصحابة أجمعين وقصة عمر ابن الخطاب وتفقّد رعيته، وسالم بن عبد الله الذي كان غذائه الخبز والزيت، وسلمة بن دينار الذي توقف عن شراء الفواكه، ثم تحدث عن عقاب المحتكرين وغلاء الأسعار لما ظهرت مجاعة التي دامت 31 سنة، فكانت تظهر تقريبا كل سنتين أو ثلاث سنوات، فيرجع سببها إلى الحصار المتتالي والمتعاقب على تلمسان في العهد الزياني من سنة (760هـ – 791هـ / 1359 – 1389م).[2]

و بسبب الأيام الصعبة التي تأتي فيها الجوائح الطبيعية قام أهل البلاد بحفر مطامير وخوابي وأهراء من أجل تخزين الحبوب وكل المواد التي لا تفسد لادخارها للأيام الصعبة، مثلما كان ابن مرزوق الخطيب يفعله أيام الجوائح الطبيعية، فهذه الظاهرة الخيرية كانت منتشرة في بلاد المغرب الأوسط يقول أبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني: " حدثني عمي رحمه الله تعالى، أنه كانت له مطامير من القمح والفحم، وكان يعد اللحم المدخر، المعروف بالمسيلي، وبالخليع والزيت، فإذا كان يوم الثلج، فتح مطمورة من القمح وأخرى من فحم، ويتصدق بالزرع والفحم والإدام طول يومه، فلا يرجع إلى داره حتى يفرغ من المطمورتين".[3]

يذكر عبد الرحمان ابن خلدون أن البيئة الحارة تولد الجفاف، والجفاف ينتج عنه نقص التغذية، ونقص التغذية تعود إلى الحيطة والحذر، فلهذا اتخذ الناس أماكن كالأهواء والخوابي من أجل تخزين المنتوجات والأغذية لسنين القحط، فالمغرب الأوسط منطقة نصفها صحراء جافة حارة صيفاً، وباردة شتاء، وقليلة الأمطار، فمن هذا المناخ ينتج قلة الانتاج وسوء التغذية ويتبعه الوباء.[4]

وعلى إثر ذلك تميزت قبائل المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط بالجود والكرم وحماية المظلوم وإطعام الجائع وتقديم الأدوية والمساعدات الطبية للمرضي، حيث أسسوا مارستانات وزوايا لتداوي المرضى من مختلف الأمراض كالجذام والطاعون، وكان المشرف على هذه المؤسسات الصحية والخيرية يجمع الأموال والدعم من(المحسنين، شيوخ القبائل، موظفي السلطة السياسية)، ليقضي بها حاجة المريض (فيشفى جميع المجذومين من المرض، وكذلك

[1] الطاهر منزل، **المرجع السابق**، ص ص 90 – 91.

[2] خالد بالعربي، **المرجع السابق**، ص 22.

[3] أبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التِّلمساني (781هـ)، **المصدر السابق**، ص ص 190 – 191.

[4] ابن حسان الوسياني ، **المصدر السابق**، ج01، ص ص 46 – 47.

البرص والأمراض المزمنة التي انتشرت خلال تلك الفترة بالمغرب الأوسط) ويقضي حاجة عابر السبيل ، فكانت المارستانات منتشرة في المناطق العمرانية.[1]

و هو الذي وصفه ابن بطوطة[2] لما سار إلى مدينة قسنطينة فلقي الاحترام والكَرَم والجود بعد أن نزل المطر الكثير على رفاق الرحالة الجغرافي ابن بطوطة وهم ينامون داخل الأخبية، بعد أن تبللت وتلوثت ملابسهم، فأكرمهم السلطان والقوم من ملابس ومأكل، فهذه من معاملات المسلمين وحماية المستضعفين من جوع ونوم وعدوٍ [3] وتعتبر حقوقا مجتمعية تفرضها أخلاق و تديّن ساكنة المغرب الأوسط لما تميزوا به من صفات الجود والكرم، تتوافق مع تدينهم وحسن منبتهم وتكافلهم وتراحمهم.

جاء في المدونة أنّ الجوائح الطبيعية التي تأتي من عند الله تعلى منها:" الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم" فهم جوائح، أما الناس واللصوص والعسكر إن لم يعرفوا فهذا يعتبر جائحة، أما الفقيه ابن نافع قال: اللص هو جائحة، أما الفقيهان ابن رشد والباجي ذكر بأن العسكر ليس بجائحة كاللص، أما الفقيه عبد الحق قال: السارق إن لم يعرف جائحة، وإن عرف يغرم ويدفع لشاري وليس جائحة، قال الفقيه ابن رشد:" أن لا جائحة في السارق ولا ما يأخذه السلطان"[4].

فهناك بعض الفقهاء يعتبرون السارق جائحة ومنهم من لا يعتبر أنه جائحة بل يغرم السارق ويحبس، فتمثل السارق في سرقة أملاك الناس والدولة، لذلك قال الفقيه مالك بعد أن سئل عن جماعة من بلاد المغرب الأوسط تشكل خطرًا على أهل البلاد وسلب أملاكهم، قال: " في أعراب قطعوا الطريق جهادهم أحب إليَّ من جهاد الروم"، مما جاء في الحديث:" من قتل دون ماله أو دون المسلمين فهو أعظم لأجره"، حيث قال الفقيه ابن القاسم: إتباعهم وقتالهم، أما ابن سحنون قال: يتبعون ويقتلون بدون توبة، أما الفقيه أبو مهدي سيدي عيسى بن أحمد بن مُحَمَّد الغبريني قال: يقتلوا، من حديث رسول الله ﷺ:[إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعًا من الناس،

[1] مُحَمَّد حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج01، ص 278.

[2] عبد الرحمان شرنولي، **البحث الجغرافي**، دار القاهرة، مصر، 1978 م، ص30 – 31 .

[3] حسن مؤنس، **المرجع السابق**، ص 34.

[4] ابن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1 ، ص 1615.

ولكن يقبض الْعلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُترك عالما اتخذ الناس رؤُوسًا فأفتواْ بغير علم فضلُّوا وأضَلُّوا] فطبقها على أهل الحرابة.[1]

قال الله سبحانه وتعالى:{ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يُقَتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا وله في الآخرة عذاب عظيم} المائدة 33[2]، فهذه الآية شرحها الإمام مالك والشافعي والثوري في كتاب الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لأبي عبد الله مُحَّد أبي أحمد ابن الشماع.[3]

2- المجاعات الناتجة عن الجوائح الطبيعية:

تعتبر المجاعات من الأسباب التي تؤدي إلى هلاك الإنسان وموتهم من الجوع وترتب الوباء عنه حيث قال عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمته: " إن المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه: إما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرت الخوارج لهرم الدولة فيقل احتكار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر والزرع والثمار والضرع على نسبته إلا أن الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار ... توقع الناس للمجاعات فغلاء الزرع ... فشمل الناس الجوع وأن كثرة الموتان لها أسباب من كثرت المجاعات ... فساد الهواء بكثرة العمران ... وهذه هي الطواعين"[4].

ونلاحظ أن بلاد المغرب الأقصى كان يصيبها الجفاف والمجاعات والأوبئة أكثر من بلاد المغرب الأوسط وهذا يرجع إلى كلام عبد الرحمان ابن خلدون أن الهواء العفن والمجاعة التي نتجت عن الجفاف يتسببا في ظهور الوباء الذي قتل الآلاف من البشر في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، ودام هذا الوباء في بلاد المغرب الأقصى حوالي 37 سنة الممتدة من سنة (614هـ / 1217م) إلى سنة (651هـ 1253م)، بعد أن بقي هذا الوباء الذي انجرت عنه مجاعة حتى القرن الثامن الذي مسّ الكيان الديمغرافي[5].

---

[1] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج06، ص ص 153 – 155.

[2] سورة المائدة، **الآية** 33.

[3] أبو عبد الله مُحَّد بن أحمد بن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر بن مُحَّد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص 134.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، **المصدر السابق**، ج01، ص 242.

[5] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص 47.

كان المؤرخون والفقهاء يصفون المجاعة بالعاصفة التي حلت بالبلاد، " فمن آثار القحوط والمجاعات الشديدة التي ألمت بالحوض المتوسطي عموما إبان القرن (08هـ / 14م) وفي هذا الصدد عصفت مجاعة عظيمة ... قحطاً شديداً عام (746هـ / 1374م) مما مهَّد الظروف لتفشي الطاعون الأسود" لذلك نستنتج أن المجاعات عصفت العديد من المرات في بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة خلال القرنين (07 هـ – 08هـ / 13م – 14م) حتى انتشرت في بلاد الأندلس وجلبها للوباء القاتل المفرط في حق الناس، مثل مجاعة الممتدة بين سنتي (770 – 777هـ / 1369 – 1376م)[1].

ففي سنة (927هـ / 1520م) شهدت بلاد المغرب الأوسط مجاعة شديدة توفي فيها خلق كثير، وارتفع الغلاء وشدة البلاء وقلة الغذاء، إلى أن ضعفت الدولة ، والمجاعة تسبب ضعف الدولة وزوالها وكذلك ظهور الوباء بعد المجاعة التي مست أهل المغرب الأوسط[2].

و نلاحظ أن الجوائح الطبيعية تؤدي إلى المجاعة مثل الفيضان والسيول والجفاف الذي كان في بلاد المغرب الأوسط من فترة إلى أخرى ويأتي في بعض السنين، فبسبب الجفاف المتتالي على البلاد فيقل الغذاء وتظهر المجاعة، ومن هذه المجاعة ينشأ الوباء الذي يمس بالإنسان ويقتله، وهذه المجاعة ظهرت في بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط، مقارنة بالقرن التاسع عشر ميلادي نلاحظ ظهور المجاعة مثلما كانت في العصر الوسيط، أي من سنة (1209 – 1312هـ / 1795 – 1895م) باتت مجاعة مفرطة حتى أصبح الإنسان لا يتحمل الجوع وبعد هذه المجاعة انتشر الوباء فقتل الكثير من العباد، حيث انتشرت الكوليرا البحر الأبيض المتوسط سنة (1264هـ / 1848م)، وعادت من جديد سنة (1281هـ / 1865م)، ثم ظهرت سنة (1284هـ / 1868م)، وفي سنة (1305هـ / 1888م) مرض الماء بروائح كريهة[3].

3 – الوباء والأمراض الناجمة عن المجاعة:

[1] عبد الهادي البياض، **المرجع السابق**، ص 35.

[2] أبوا العباس أحمد بن خالد الناصري، **المصدر السابق**، ص 160.

[3] دَانْيِيْل شْرُوْتَرْ، **تجار الصويرة المجتمع الحضريُّ والإمبرياليةُ في جنوبي غربِ المغربِ (1844 – 1886م)**، تعريب خالد بن الصغير، سلسلة النصوص والأعمال المترجمة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة مُحَمَّد الخامس، دار النجاح الجديدة بالبيضاء، المملكة المغربية، 1997، ص ص 367 – 368.

و سئل الفقيه عمّن اشترى أمة بصحة جيدة ولكن بعد البيع مرضت بالجذري ثم ماتت، فهل المشتري يرجع على البائع أم لا؟ فأجاب: أن الجذري ليس من الأمراض الأربعة منها: الجنون والجذام والبرص والحمْل، فالجذري ليس مذكور في هذه الأمراض، لكن بعض الفقهاء قالوا أن الجُذْرِي من الجذام[1].

سئل الفقيه ابن رشد عن رجل قام بكراء أرضه لرجل أخر لمدة وقبل انتهاء هذه المدة توفي صاحب الأرض بالوباء أو بأحد الجوائح الطبيعية أو البشرية، هل تأخذ أرضه إلى الورثة أو يأخذها المكتري أو تحبس؟ حيث أجاب: تعود الأرض إلى ورثته، وإن لم يوجد ورثة تحبس، أما إذا قام الورثة بأخذ أرضهم من المكتري قبل وصول وقت إنهاء اكتراء الأرض، فيأخذ المكتري قطعة بمقدار القيمة التي تبقت لهذه المدة[2].

سئل الفقيه عمن تزوج بِكْرًا وكان بها جذري من قبل ولكن برئت منه عند العقد وبعد الزواج عاد إليها الجذري وتوفيت وادعي وليها بأن زوجها كان يصب عليها الماء البارد لتداوي لكنها توفيت، هل يلزمه الصداق أملا؟ فأجاب الفقيه: إن الصداق لازم له، أما الجذري مرض وبرئت منه[3].

يتضح لنا من هذه الجوائح الطبيعية التي تسببت في المجاعة والأمراض والأوبئة والترحال من منطقة إلى أخرى من أجل كسب الكلأ، ونتج عنها الحرابة والسرقة والقتل والزنا والرذائل والمنكر والجهل والخراب والفساد وأخذ أموال الناس بالغصب وغيرها من المشاكل السلبية الاجتماعية، حتى أن سماها الفقهاء المهمشون، فمن هذه الأحداث صدرت بعض فتاوى الفقهاء من أجل تحريم والنهي عن هذه المنكرات التي ارتكبها أهل بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م)[4].

المبحث الثالث: تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة السياسية والعسكرية

يحرص السلطان في سائر الأوقات على رعاية أحوال الرّعية و تحسين أحوال الكسب و المعاش لديهم لينال رضى العامة و الخاصة، و يكون الأمر في غاية الأهمّية عند حدوث الجوائح و الكوارث بشتّى أصنافها خاصة ما يكون منها عاما شاملا يؤثر في مجالات حكم السلطان و قطر دولته، لقد سجلت كتب النوازل انخراط السلطان

[1] أبو عبد الله سيدي مُحَمَّد المهدي (1342هـ)،**المصدر السابق**، ج 03، ص 43.
[2] بن رشد القرطبي المالكي ، **المصدر السابق**، ج1، ص ص 1540 - 1541.
[3] أبو عبد الله سيدي مُحَمَّد المهدي ،**المصدر السابق**، ج 02، ص 154.
[4] مُحَمَّد حسن، **المرجع السابق**، ج01، ص 635.

و النخب في محاولة تخفيف آثار تلك الجوائح على تفاوت بين الحكّام و السلاطين و إمكانياتهم المادية و قوّة استحكام دولهم.

1- أثر الجوائح الطبيعية على السلطة الحاكمة:

عند ظهور أي وباء أو مرض أين كان فله تأثير على الدولة أو السلطة الحاكمة واقتصادها، فتتصدى له بأي محاولة للتخلص منه، مثل: الوباء الذي ظهر بالمغرب الأوسط و بلاد إسبانيا خلال العصر الوسيط، حيث قامت السلطة الحاكمة في إسبانيا ببناء دور للذين أصابهم الوباء وحدهم والاعتناء بهم حتى الحد من انتشار هذا الوباء الذي كانوا يسموه بالبرص، وأهل تونس كانوا يطلقون عليه اسم داء الإفرنج.[1]

وعندما وصل هذا الوباء إلى المغرب الأوسط حصد الكثير من الأرواح، فتقلص النشاط الاقتصادي واضطربت الأحوال الأمنية والسياسية داخل الدولة الزيانية، ونشأ الصراع داخل الأسرة الحاكمة، مثل النزاع الذي حدث بين أبي حمو موسى الزياني وابن عمه أبي زيان بن سعيد خلال القرن (8هـ/ 14م)، وانقسام البلاد إلى قسمين، فشرق المغرب الأوسط إلى أبي زيان وتلمسان وغربها إلى أبو حمو موسى الثاني.[2]

ومما زاد من وطأة الأحوال الأمنية والسياسية بالدولة الزيانية، هو تكالب الحفصيين والمرينيين عليهم، وتأزم الأوضاع الاقتصادية نتيجة تأثير الجوائح الطبيعية السالفة الذكر أو الصراعات البشرية، فكثر المجاعات ونتج عنها الأمراض والأوبئة.[3]

كان الحكام والولاة في الأيام الصعبة التي تصادف فيها المجتمع جوائح طبيعية قاتلة يعودون إلى إيجاد حلول وتدابير تخلص الناس من هذه الجوائح مثل ما حدث في عهد الخليفة الفاطمي القائم (322 – 334هـ / 934 – 946م) الذي قام بناء مطامير والادخار فيها الحبوب إلى أيام القحط والكوارث الطبيعية، فعندما انحبس المطر وجفت الأرض وزادت الأسعار ارتفاعًا ونقص في قيمتها، فأرسل إلى أبي القاسم الذي كان من موالاة أبيه، من أجل أن يسأله عن البيع لصعوبة العيش، من أجل تحقيق العيش بالنسبة للإنسان والحيوان.[4]

---

[1] خالد بلعربي، **المرجع السابق**، ص 5

[2] عبد الهادي البياض، **المرجع السابق**، ص 22 .

[3] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج11،ص 185.

[4] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص 50.

شهد القرنين (07 هـ - 08 هـ / 13 – 14م) مجاعة شديدة وأوبئة بالمغرب الأوسط حتى أصبح الناس يتنافرون من بعضهم البعض بسبب الوباء وكثرة الحرابة وتدني المستوى المعيشي حيث أن سنتي (693 – 695هـ / 1294 – 1296م) اشتد فيهما الوباء وكثرت الموت، وأشتد القحط في سنتي (723 / 724هـ / 1323 – 1324م) وأدى هذا إلى ارتفاع الأسعار، فسعى حكام الدولة الزيانية إلى فتح المخازن أمام السكان، وقدّموا الإعانة لهم.[1]

كما تعرض سكان المغرب في العديد من المرات للمجاعة والطاعون الأسود الجارف الذي هلك الناس، مثل مجاعة تلمسان سنة (776هـ / 1373م).[2]

ومن هذه المجاعات التي وصفها لنا يحي ابن خلدون بقوله: " مجاعة شديدة أكل فيها الناس بعضهم البعض"، فهذه المجاعة خلفت الوباء الكثير الذي عمّ جميع بلدان المغرب الإسلامي حتى بلاد الأندلس، فمن سنة (873هـ / 1468م) إلى سنة (899هـ / 1493م) شهدت بلاد المغرب الأقصى والأوسط والأدنى مجاعة شديدة التي نتج عنها الخراب والوباء والحروب ووفاة خلق كثير، حيث بلغ عدد الوفيات أربعة عشر ألف متوفى في اليوم الواحد[3]، ومن الأسباب التي خلفت المجاعة منها الجوائح الطبيعية مثل: الرياح والأعاصير والصرِّ والفيضان والسيول والثلوج والبرد والقحط والجفاف والزلزال وغيرهم من الجوائح الطبيعية، كذلك الجوائح البشرية مثل: الحرابة والسرقة والنهب والحروب وغيرهم من الجوائح البشرية.[4]

كما تعتبر الجوائح البشرية التي تتمثل في الحرابة وقطاع الطرق من بين الأسباب التي أدت إلى الاضطرابات الأمنية والسياسية، وانعكست سلبا على الحياة الاجتماعية.

و يؤكّد هذا مسألة من النوازل عند المازوني مضمونها أنّ الفقيه أبي العباس أحمد المريض سأل شيخه ابن عرفة: « عن قتال بني عامر و سويد عام ستة و تسعين و سبعمائة....و هي جماعة بمغربنا من العرب تبلغ ما بين فارسها و راجلها قد عشرة آلاف أو تزيد، ليس لهم حرفة إلاّ شن الغارات و قطع الطرقات على المساكين و

[1] نبيل شريخي، **المرجع السابق**، ص 33.

[2] أبو عبد الله محمّد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، ص 50.

[3] نبيل شريخي، **المرجع السابق**، ص 34.

[4] محمّد الحبيب بشاري، **التوسعات الرومانية وانعكاساتها على الزراعة المغاربية**، مجلة الدراسات التاريخية مجلة دورية محكمة، العدد الرابع عشر 14، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، الجزائر، 1433هـ – 2012، ص 20.

سفك دمائهم و انتهاب أموالهم بغير حق ....مع أنّ أحكام السلطان أو نائبه لا تنالهم بل ضعف عن مقاومتهم فضلا عن ردعهم... »[1].

و جاء في نازلة أخرى في نفس السياق حول أموال قطّاع الطرق الغصّاب في بلاد المغرب الأوسط الذين يمنحون من أموالهم المغتصبة أهل رباط فقراء يتعيشون على الصدقات و ما إن كان يحلّ لهم الانتفاع بتلك الصدقات فأجاب سيدي عبد الرحمن الوغليسي بما يفيد حرمة أخذ تلك الأموال لأنّها مال و كسب حرام و تعين الظّالم على ظلمه[2].

والجوائح الطبيعية أثرت على النشاط الزراعي والصناعي والتجاري بالمغرب الأوسط، هذا الأخير الذي يعتبر همزة وصل بين العالم الخارجي والمراكز التجارية بالمغرب الأوسط، فخلال القرنين (07هـ - 09 هـ / 13 – 15م)[3]، كانت التجارة رائجة ومربحة في هذه الفترة لكن في بعض الأحيان تظهر الحروب والجوائح الطبيعية، التي تؤثر في الحياة السياسية، مثل الحصار الذي تعرض إليه المغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية من طرف الدولة المرينية، حصار سنة (665هـ / 1266م)، (656هـ /1258م)، وغيرهما من الهجمات التي شكلت ضرراً على الأوضاع الحضارية للمغرب الأوسط.[4]

2- تأثير الجوائح الطبيعية على الجانب النظامي:

تميز تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط بالعديد من الحروب والهجمات الخارجية التي سببت المجاعة وبعد هذه المجاعة نتج عنها الوباء الذي هلك العباد، فنلاحظ بين سنتي (697 – 702هـ/ 1297 – 1302م) شكل السلطان أبو يوسف يعقوب المريني (685 – 706هـ/ 1286 – 1306م) حصارا على بلاد تلمسان، فنشب جرّاء هذا الحصار مجاعة شديدة إلى أن توفي مئة وعشرون شخصًا، كذلك هجوم السلطان

[1] المازوني أبي زكرياء يحي بن موسى بن عيسى المازوني ت 883هـ، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تح: قموح فريد، مذكرة ماجستير في علم المخطوط العربي، قسم التاريخ و الآثار، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011، ص125.

[2] المازوني أبي زكرياء يحي بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني ت 883هـ، **كتاب الجامع**، تح: نور الدين غرداوي، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر 2، الجزائر ، 2010-2011، ص286.

[3] نورالدين غرداوي ، **المرجع السابق**، ج01، ص 71.

[4] مُحَمَّد بن ساعو، **المرجع السابق**، ص 27.

أبي سعيد المريني (710 – 731هـ / 1310 – 1331م) على مدينة تلمسان حيث أن أهل مدينة تلمسان قاموا بتخزين كل الأغذية فنشب احتكار السلع وانتشار المجاعة وظهور الوباء.[1].

المبحث الرابع: تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة الثقافية:

لم تكن النخب العالمة المتمثلة في الفقهاء و المتصوفة بعيدة عن نبض المجتمع و عن إيقاع الحياة الاجتماعية، خاصة إذا استحضرنا أنّ أغلب الفقهاء كانوا متصوّفة و زهّادا و نسّاكا يلازم غالبيتهم المساجد و يرابطون في زوايا التعليم القرآني يتدارسون علوم الشريعة و يجتهدون في الفقه و في تعليمه، لذلك سجّلت مختلف النوازل حضور و تدخّل تلك النّخب لتخفيف وطأة تلك الكوارث بما كان تحت أيديهم من إعانات و أملاك و مؤن، و بتدخلاتهم لدى السلطان لتسخير إمكانات الدولة و مقدّراتها لخدمة الفئات الهشّة في المجتمع و الدّولة.

1– موقف الفقهاء من الجوائح الطبيعية ومعالجتها:

عرف المغرب الأوسط مثل باقي المناطق الأخرى الأمراض والأوبئة، مثل: الطاعون والجذام والجذري والحصبة والحمى ...الخ.، وكان للجوائح الطبيعية دورا كبيرا في هذه الأمراض والأوبئة، وانعكست سلبا على مجتمع المغرب الأوسط، فتصدى له نخبة من العلماء والفقهاء، كابن مرزوق الخطيب الذي كان يصنع دشيشا ويطبخه وعند نضجه يخرج به إلى المرضى والمنقطعين ويعطي كل واحد ما يشبعه، وعندما يكمل عمله يتجه نحوى المرضى العاجزين لخدمتهم من تغذيتهم وغسل أجسادهم وملابسهم ويحلق لهم رؤوسهم ويكنس لهم البيت.[2]

وبعد ظهور الكثير من الجوائح الطبيعية بالمغرب الأوسط لجأ العلماء والفقهاء إلى إيجاد حلول لهذه الجوائح مثل: توعية الناس وتثقيفهم بأن هذه الجوائح الطبيعية تعود إلى مشيئة الله ويجب أن نتعامل معها بحكمة وفطنة، وتقديم لهم يد العون في حلولها من مأوى وغذاء، والالتزام بالحيطة والحذر، ومهما كانت هذه الجوائح وصعوبتها يجب التصدي لها وعدم الفرار إلى مناطق أخرى حتى تمنع التنقل من إنسان إلى آخر.

[1] نبيل شريخي، **المرجع السابق**، ص 34.

[2] أبو عبد الله محمّد بن مرزوق التلمساني، **المصدر السابق**، ص 246 .

أما ابن خلدون لما رأى كثرة الموتى من هذه الجوائح لجأ إلى البحث عن أسبابها، وذكر بأن مصدر هذه الأوبئة والأمراض التي هلكت سكان المغرب الأوسط يعود سببها إلى المجاعة التي حلت بهم، وسبب المجاعة نقص المحاصيل الزراعية، بسبب الجوائح الطبيعية، منها الكوارث الطبيعية وفساد الهواء.[1]

تعرض المغرب الأوسط إلى العديد من الجوائح الطبيعية التي مست بالبلاد والعباد، فاهتم بها الأئمة والعلماء والفقهاء، لأن هذه الجوائح أثرت على المستوى المعيشي والجانب الحضاري، فأصبح جل الناس يسألون عن مصيرهم الاجتماعي والحضاري بصفة عامة، مثل الطاعون الذي قتل الآلاف من الناس وتدهور المستوى المعيشي.[2]

ففي حديث لابن مرزوق مع السلطان أبي الحسن المريني: "عندما توالت الأمراض على السلطان أبي الحسن المريني، ومرض بمرض الحمى فقال له: اذهب إلى تلمسان فخاف ابن مرزوق وقال له: والله لا فارقتك.[3]

كما أن الفقيه الصوفي ابن صعد نادى السلطان بفتح أبواب الغذاء أمام المجتمع وحدث الناس عن إعانة بعضهم البعض حتى تجتاز هذه الأزمة التي حلت بهم من وباء وطاعون، وابتعاد الناس عن الحرابة التي سادت في بلاد المغرب الأوسط، ونهيهم عن السرقة وأخذ أموال الناس بالباطل، فعالج أمور الغلاء والغش في السلع والنقود، فنصح الأطباء الناس الابتعاد عن الوباء، كذلك نجد الفقيه المتصوف أبي يعزا كانت مهمته معالجة المرضى".[4]

وكان العلماء والأئمة والفقهاء يقومون بالاستفسار عن هذه الأوبئة والأمراض، ثم يأمروا الناس بالتباعد، ثم يدعون الله عز وجل بأن يذهب هذا الوباء، والقيام بصلاة الاستسقاء، من أجل التخلص من هذا الوباء، حتى أن جل الأطباء كانوا ينصحون بالفرار منه.[5]

وسار على نحوهم الفقهاء والمتصوفة والصلحاء والأولياء وقدّموا لهم يد العون وكيفية التخلص منه، وتم طرح بعض الأسئلة الخاصة بهذا الوباء[6] عليهم، فأجاب الرصّاع بقوله:" أجمعت الأمة على أن الفرار ليس بواجب، وإنما الخلاف هل هو جائز أو مكروه أو حرام".[7]

---

[1] الحسين بولقطيب، **المرجع السابق**، ص 30.

[2] **المرجع نفسه**، ص 42.

[3] **المرجع نفسه**، ص 249.

[4] الطاهر منزل، **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب لابن صعد التلمساني (901هـ / 1496م)** ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 02، الجزائر، 2011 – 2012م، ص ص92 – 93.

[5] مُحَمَّد حسن، **المرجع السابق**، ج01، ص607 .

[6] أبو عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني ، **المصدر السابق**، ص 50.

[7] مُحَمَّد حسن، **المرجع السابق**، ج01، ص608 .

أشار حسن الوزان إلى كيفية التعامل مع الوباء بقوله:"...كثيرا ما يتلهى في المساجد يوم الجمعة في الوقت الذي يجتمع عادة ألاف الأشخاص، فإذا وصل الخطيب إلى أحسن فقرة في خطبته واتفق أن سعل آخر (ثم آخر) وهكذا حتى يسعل الجميع في نفس الوقت تقريبا إلى نهاية الخطبة فيفترقون دون أن يسمع أحدا إليها".[1]

فهذه الجوائح التي حلّت بسكان المغرب الأوسط وقتلت الكثير منهم خلال القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م)، فلجأ الأئمة والمحدثون والعلماء إلى التضرع الله سبحانه وتعالى ودعوا أن يخلصهم من هذه المصائب الطبيعية التي حلت بهم وعكرت حياتهم ومعيشتهم وراودهم الخوف في كل ليلة، فاعتمد ابن حجر العسقلاني دعاء الشيخ ولي الله الملولي سنة (760هـ / 1358م)، أما المصريون فقد أكثروا الصلاة على النبي مُحَمَّد ﷺ والتسبيح والتضرع إلى الله تعالى من أجل النجاة من الطاعون الجارف الذي حلّ بهم، كذلك الطاعون الجارف الذي حلّ بتونس سنة (783هـ / 1381م) فقتل الكثير من الناس إلى أن عاش الناس خوفاً شديداً.[2]

أما ابن هيدور فيجزم في قوله أن للغلاء والأمراض علاقة تلازميه، " إذا كان الغلاء وطال واشتدت أسبابه لزم عنه الوباء " أي كلما زاد الغلاء اشتد المرض.[3]

لذلك نستطيع القول أن المجاعة غالبا ما تكون مقرونة بالوباء والأمراض الفتاكة التي أحدثت نزيف في الحياة البشرية، لأن هذه الأوبئة كانت تنتقل من منطقة إلى أخرى وبأسرع وقت".[4]

و سئل الفقيه الشيخ أبو الحسن القزويني عن فرار الناس من بعضهم البعض في فترة الوباء؟ فأجاب من حديث الرسول ﷺ قال:"[لا عدوَى ولا طِيَرَةَ]"[5]كذلك قال:"[لا يحلُ المُمْرِضُ محلَّ المصِحِّ حيثُ شاء]" [6]، [6]، فهذه الأحاديث كل فقيه كيف فسرها، بينما يرى الونشريسي أن هذا الحديث ينطبق على الناس في فترة الوباء الوباء وتمسك الناس به.[7]

[1] حسن الوزان، **المصدر السابق**، ج01، ص 84 .

[2] مُحَمَّد حسن، **المرجع السابق**، ج01، ص 609.

[3] عبد الهادي البياض، **المرجع السابق**، ص22 .

[4] **المرجع نفسه**، ص 24

[5] البخاري أبي عبد الله مُحَمَّد إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، الراوي عبد الله بن عمر، المحدث البخاري، خلاصة حكم المحدث صحيح، ص 5753.

[6] البخاري أبي عبد الله مُحَمَّد إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، الراوي أبو هريرة، المحدث البخاري، خلاصة حكم المحدث صحيح، ص 5751.

[7] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 11، ص 352.

شهد مجتمع المغرب الأوسط المجاعات الناتجة عن الجوائح الطبيعية، فالبعض منهم نزحوا إلى المدن وأخلوا القرى و المداشر من أجل البحث عن قوت يومهم، رغم الأمراض المتواجدة في المدن، و هو الذي اعتبره الفقهاء والمؤرخون أحد أهمّ أسباب النزوح الريفي بالمغرب الأوسط خلال القرنين (07 – 08هـ / 13 – 14م).[1]

و سئل الفقيه أبو الحسن القزويني على حق المجذوم من الناس والأطباء؟ حيث أجاب : أن المريض بالوباء له حق على الناس والأطباء من أجل التداوي وشفائه من المرض، لكن المعاملة مع المرضى تكون بالحيطة والحذر، حتى لا يتفشى المرض وينتقل من شخص إلى آخر، وإن توفى المريض له حق الغسل والدفن وتطبق كل شروط الميت.[2]

قام الفقهاء بإرشاد الناس وإعطائهم تعاليم مواجهة الجوائح الطبيعية، مثل: ممارسة النشاط الفلاحي وعدم التوقف إذا أصابت محاصيلهم جوائح طبيعية، ودعمهم من طرف السلطة السياسية، إضافة إلى العودة إلى الله بطاعته والتوبة من ذنوبهم والصيام وصلاة الاستسقاء[3]، مثل ما عمل به أهل أجلو " الذين وقع فيهم وباء في أحد أحد السنين فأضر بأهلها في جناتهم، وآذى كثيرًا، فاقتضى نظرهم أن يجتمعوا ويصوموا يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وربما استعان بعضهم بالأولياء وذوي الكرامات، وفي هذه الظروف شكا أهل تلمسان إلى أبي زكريا يحي بن يوغان الصنهاجي قحطا مسهم فاستسقوا به فسقوا".[4]

المبحث الخامس :النصوص المتعلقة بالجوائح الطبيعية:

اهتمت نصوص خبرية بتوصيف حالة الأوطان أثناء نزول الوباء خاصة العام منه، و ذلك لعظم تأثيرها على الفرد و الجماعة في الأقاليم المتصلة كبلاد المغرب الإسلامي، و لشموليتها لمناخي الحياة، و بين أيدينا نصوص تحدّد المجال الجغرافي الذي انتشرت فيه تلك الأوبئة، و كذا الاحتياطات الشرعية و الصّحية للتعامل مع الوباء و كيفيات الاحتراز و الوقاية منه.

1–الوقاية من الوباء وطريق التحفظ منه:

[1] محمّد حسن، **المرجع السابق**، ج01، ص 620.
[2] الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 11، ص 358.
[3] أمين كرطالي، **المرجع السابق**، ص ص 41 – 42..
[4] نوال بلمداني، **المرجع السابق**، ص 50.

في النصوص التالية مادة خبرية تقريرية مهمة لبعض الفقهاء و التجار و الإخباريين تتبيّن فيها مدى انتشار الأوبئة في عصور كتابة النصوص و يتحدّث عن انتقال الأوبئة من بلاد الإفرنج نهاية الفترة الوسيطة إلى بلاد المغرب و هي إشارة مهمّة عن تطور الحالة الوبائية في العالم و انتشار الأوبئة من الشمال إلى الجنوب و تأثيرها على حركية التبادل التجاري.

أ- الوباء وطريق التحفظ منه:

يتحدّث تاجر فقيه بدقّة عن الأوضاع العامة في بلاد المغرب و عن قبلها "....فمنذ مائتين من السنين والاحتراز على الوجه المسمى كرنتينة موجود في البلاد الفرمجية، و في بعض بلاد المسلمين، مثل تونس ، وطرابلس الغرب وتطوان من مراسي فاس ولم يسمع بوقوع الوباء في تلك البلاد. ولم يتخلّل في الأكثر ما عاداها من البلاد الإسلامية من الوباء، فالمغرب الأوسط يتصل شرقيه بتونس كما يتصل غربيه بتطوان وقل ما تخلو من الوباء ولم يسمع وقوع الوباء بتونس ولا بتطوان بعد حدوث الكرنتينة فيهما ...

و يصف بعض الاحترازات و إن كانت متأخّرة عن فترة بحثنا إلاّ أنّها تبيّن مدى تطوّر الاحترازات من تطوّر الحالة الوبائية و طرق الوقاية منها، "وأنا العبد الحقير وقعت الوباء بالجزائر وأنا بها فالتزمت بأقل مما يحتاط الإفرنج، فكنت أصلي الجمعة وأحضر الجزائر مع أصحابي وأقاربي من غير أن أقتحم مجتمع الناس ولا أمسى أحدا ولا قماشا، ثم ارجع واتجر فسلمني الله سبحانه أنا ومن معي، وتكرر ذلك أزيد من عشرين سنة"

و ممّا يدلّ على اتصال الرجل بالفقه و المعرفة الدينية هو العبارة التالية التي تدلّ على إلمامه و فقهه للضوابط الفقهية لكيفيات التعامل مع النوازل المرتبطة بالوباء"... وليس في القواعد الدينية ما تترتب عليه الكراهة فضلا عن التحريم، إذ الاحتراز عن مقاربة المرضى بالوباء من جملة السباب جائز أخذ الإنسان بها مع الإسناد التأثير والسلامة إلى الله سبحانه ..."

و يضيف صاحب النصّ بما يفيد بإلمامه بأصل الأمراض و كيفيات انتشارها و انتقالها إلى سبل الوقاية منها، أنّ" أصل تولد هذا المرض، هو تعفّن الهواء وتولد السمية فيه كما صرح به الحكماء و وافقهم عليه طوائف الفرنج فاعتنوا بإصلاح الهواء وإزالة العفونات في مصر حين دخلوها سنة (1212هـ / 1798م)، فلم يساعدهم عوام أهل مصر في مقترحهم وإنّي أتوهم إن تلك السمية الحاصلة من العفونة قد تشتد في بعض الأفراد وتتكون قوتها بحيث تَشَبَّثُ بكل ما يجاورها ما يحفظ السمية كالقطن والصوف ونحوهما كما تحفظ الروائح فيكون ذلك سبب

لسريانها بأن الله، وأطباء الإسلام لم يقع لهم ممارستها ولا استقراء ما تتشبث به، فلم يصرحوا إلا بكونها من الأمراض المعدنية وأظن أنهم لم يتحققوا بماذا تعدى "[1]، فهذه الأمراض والأوبئة باتت تلاحق الإنسان إلى يومنا هذا، حيث أن يتصدى لها الإنسان بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى والأطباء بالتداوي.

2- الطاعون بالمغرب الإسلامي:

أ- الطاعون:

أمّا في نهاية الفترة الوسيطة فإنّ نصا مهمّا و إن كان يصف حالة وباء خارج الإطار الجغرافي للبحث إلاّ أنّه يحمل توصيفا للتأثير الأفقي للجائحة و لمدى شموليتها لمناحي الحياة و تأثيراتها العامة على الأحوال المجتمعية و الوضع الاقتصادي" ومن أعجب ما يحكى في هذه السنة (1088 – 1089هـ / 1677 – 1678م) لحم العيد السمين والهزيل لم ينضج، وفي أوائل العام ظهر طاعون بتطوان في حوز بني زيّات، ثم فشا في البلد و وقع الموت، وكان الشتاء في هذا العام دافئا وغلب نزول المطر في الصيف وبرد الجوّ و وقع بفاس ريح وسعال، وظهر الجراد بحوز مراكش إلى سلا إلى تافيلالت، فافسد الجريد واشتدّ الغلاء، وسلّم الله فاسا وحوزها، وفي قبل نصف الليل من ليلة الخميس عاشر شعبان وقعت زلزلة فطن لها كثير من الناس ولم يشعر بها البعض، ثم في يوم الجمعة سابع عشر شعبان وقعت زلزلة أخرى، ثم وقعت أخرى في سابع وعشرين من الشهر"[2].

و يكمل صاحب النص توصيفه لانتشار الوباء و لتعامل السلطة الحاكمة مع آثاره "وفي حوادث هذه السنة (1088 -1089هـ / 1677 – 1678م) ظهر الطاعون أولا بتطوان إلى أن بلغ الموتى بها خمسين نفسا في اليوم الواحد، وظهر بالقصر إلى أن بلغ موتاهم مائة وخمسين في اليوم الواحد، وبلغ خبره إلى الخليفة إسماعيل الحسني فوجه عبيده إلى وادي سبوا وأمرهم أن لا يترك أحد يعدوه، وخرج أمير المؤمنين إسماعيل من مكناسة إلى الحركة، وخرجت المحلة فاس في رابع عشر ربيع الأول فقدمت عليه، وظهر الطاعون بفاس الجديد المرينية، فصلىّ بها ليلة المولد على عشرين، وكثر بها وخلت مدرستها وسدّت ثامن ربيع الأول، وكثر بالقرى المجاورة لها بعين الخميس وبموضع الخميس اليوم، وبتلك القصابي وافركان حتى خليت.

---

[1] حمدان خوجة، **اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء**، تحقيق محمّد عبد الكريم، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1988م، ص ص 119 - 133 - 134.

[2] محمّد القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تح: محمّد حجي ، الرباط، د س، ص ص 22 – 23.

ووجّه السلطان المولى إسماعيل عبيده إلى إحراق تلك القرى التي خلاها الطاعون فاحرقوها عن أخرها وخربوها وتركوها خرابا في خامس عشر ربيع الأول وأمر عبيده ألا يتركوا من يريد المرور من فاس إلى مكناسة الزيتون، فكانوا يحرسون الطرق ليلا ونهارا ومن لم يسعفهم في لرجوع عن المسير إلى مكناسة قتلوه، وظهر الطاعون بفاس وكثر إلى أن بلغ الموتى في اليوم الواحد أربعمائة إلى ثمانمائة إلى ألف وأزيد إلى أن ضعف في من سلخ رمضان، فبلغ الموتى في اليوم الواحد عشرة ثم ظهر الطاعون بمكناسة الزيتون دار الملك إلى أن بلغ الموتى بها ثلاثمائة إلى أن ضعف، فبلغ الموتى في اليوم الواحد خمسين، وظهر بمراكش فبلغ الموتى بها في اليوم الواحد نحو ألفين وأكثر ومات بمدغرة و تافيلالت وتوات وسائر بلاد الصحراء ملا يحصى"[1].

لقد شكلت الأوبئة إذن خطرا كارثيا على الساكنة في بلاد الغرب الإسلامي و بلاد المغرب عموما، و في بلاد المغرب الأوسط خصوصا خلال الحكم الزياني في العصر الوسيط، والتي أصبحت عائقا أمامهم أو في حياتهم اليومية مثل : ما حدث اليوم من تفشي بعض الأمراض في المغرب الأوسط أي الجزائر حاليا، مثل : الطاعون ،الكوليرا ، الكورونا ...الخ.

و تعرض المغرب الأوسط خلال العهد الزياني خاصة في القرنين (07 - 08هـ / 13 – 14م)، إلى الكثير من الأوبئة التي كانت تندثر وتزول ثم بعد سنوات تعود كما وضح بعض المؤرخين أنها تعود كل أربع سنوات، وتزامنت هذه الأوبئة مع ظهور الحروب والصراعات المتوالية على المغرب الأوسط.

فمن أنواع الأمراض والأوبئة التي كانت تظهر في المغرب الأوسط خلال الحكم الزياني، منها : الوباء، الطاعون، الجذري، الجذام، الحصبة، الحمى، البرص، السعال، نزع الشعر (القرع) ، و هي الأمراض ذات الطابع الوبائي العام الذي يحمل صفة الجائحة و الكارثة دون غيره من الأمراض الأخرى التي تعرف لها انتشارا جزئيا .

حيث أدى ظهور هذه الأمراض والأوبئة التي حصدت الكثير من أرواح البشرية، والشيء البارز أن هذه الأوبئة لا تفرق بين قوي أو ضعيف وغني أو فقير فهي ليس مثل : الحروب والنزاعات .

و من المعلوم أن الأوبئة تؤثر على الجانب الاجتماعي، بداية من ظاهرة الجوع الذي ينتج عنها النهب، والسرقة، والسلب، والقتل ، وكذا تأثيرها على المنحى الثقافي ، حتى أصبحت الأمية منتشرة لأن الخوف من الوباء

[1] مُحَمَّد القادري، **المصدر السابق** ، ص 23.

وعدم الخروج للدراسة ومخالطة الناس ، وتركيز الدولة على الجانب الطبي والأمني دون غيره ، وكذلك الجانب السياسي المتمثل في مواجهة السلطة الحاكمة لهذا الوباء، وارتباك الحركية الاقتصادية من الجوائح الأخرى، منها الطبيعية ومنها البشرية النّاشئة عنها ، علاوة على ذلك الأوبئة الفتاكة .

ومن جرّاء الأوضاع السائدة في المنطقة يبدأ الإنسان بالبحث لإيجاد حلول موازية للتقليل من آثار هذه الأوبئة و الجوائح التي فتكت بالكثير من الأرواح ، سواء في أوروبا أوفي المشرق العربي وكذلك في المغرب الإسلامي خاصة المغرب الأوسط خلال عهد الدولة الزيانية في القرنين (07 - 08هـ / 13 – 14م).

الخــــــــــــــــــــــــــاتمة

الخاتمة

الاعتماد على مصادر الفقه و مدوّنات النوازل و الكتابات المنقبية للبحث في موضوع ذو طابع اجتماعي اقتصادي ، يعاني فيه الباحثين من انعدام المادّة المصدرية في كتب التاريخ العام، خاصة في موضوع الجوائح و الأوبئة و الكوارث الطبيعة كإشكالات تاريخية لا كمعضلات جغرافية طبيعية تتعلّق بالأرض و شكل السطح، و ما يطرأ عليها من ظواهر قاهرة و إنّما من حيث تفاعل الفرد و الجماعة معها إلى جانب مؤثّرات أخرى كحضور عامل السياسة و الاقتصاد و أوعية الفكر و الثقافة و الدين.

انتقل التأليف في الفقه و النوازل و الأجوبة الفقهية من مرحلة التأسيس في النصف الأوّل من الفترة الوسيطة إلى مرحلة التدوين و التصنيف و تبادل الاجتهادات و تعمّقها في تفاصيل الحياة الاجتماعية، و غدت تزداد غزارة و كثافة و اختصاصا في ما يطرأ على تعقيدات تعاملات بنى المجتمع في ميادين حياتهم اليومية، فكان العلماء يرصدون كل تلك التعاملات للبحث عن تفسيرات فقهية لها ليتطوّر معها الفقه، و يختصّ بمهمّة مرافقة تطوّر مسار المجتمع خاصة فيما يطرأ عليه من نوازل حادثة، تستدعي اجتهادات معاصرة لها، و تقتضي من الفقهاء حلولا تبيّن الحقوق و الواجبات.

ظهرت المدوّنات النوازلية الكبرى كنوازل البرزلي و الدّرر المكنونة و كتاب المعيار للونشريسي الذي حوى اجتهادات شاملة لميادين الحياة في بلاد المغرب الأوسط ، و مثّل دستورا جامعا لتفاصيل الفقه المالكي ليشكّل فيما بعد خاصيته المميّزة له عن باقي المذاهب الفقهية، فقد أشارت الكتب المتخصّصة في تاريخ المذاهب إلى سلاسة الاجتهاد الفقهي للمذهب و توافقها مع الانتقال المادي و الحضاري لمعتنقيه المتمذهبين به في بلاد المغرب و إفريقيا و بلاد الغرب الإسلامي ككل.

إن دلالات حضارية عميقة صاحبت انتشار الفقه المالكي في بلاد المغرب الأوسط، بعد أن كان المغرب الأوسط على وجه الخصوص عرضة لأن تكون ملاذا للمذاهب المضطهدة في الشرق الإسلامي، بداية من الإباضية إلى الشيعة الإسماعيلية التي كادت أن تقضي على المذهب المالكي السنّي الذي تدافع مع تلك المذاهب إلى غاية استقراره، ثم سيادته من جديد و ثرائه و شموليته و توغّله في حياة الساكنة، و تطوّر تفريعاته مع الرقيّ المادّي و الاجتماعي لإنسان هذا الإقليم كما سجّلت ذلك مدوّنات الفقه و النوازل.

إنّ المغرب الأوسط و رغم حالة التدافع السياسي و المذهبي التي سادته طيلة النصف الأوّل من الفترة الوسيطة، استطاع أن يوفّر مجالا خصبا لعمارة الفرد و الجماعة لأرض هذا الإقليم، رغم قسوة مربكات الاستقرار التي ستكون الجوائح الطبيعية و الأوبئة و القحوط أحد أهمّ المعضلات التي واجهت بنى المجتمع و أثّرت في استقرارها، و في تغلّبها على مصاعب الحياة اليومية و على تحدّيات مربكات أنشطتها المعاشية التي ترتبط أساسا بالأرض و المياه و بالنبات الطبيعي و بالزروع و الثمار و الأنعام و الحيوانات و الدّواجن و بالحيوانات البرّية، و ما ينشأ عنها من حركية تجارية هي عماد الاقتصاد و شريانه و معيار جودة أدائه.

و بالإضافة إلى المشكلات الناجمة عن نزوع الأفراد و الجماعات و أجهزة الحكم و التي سجّلت كتب التاريخ أنّها المؤثّر الرئيس في حالات الرقي و الرفاه و الاستقرار، و في المدنية و العمارة سلبا و إيجابا إلاّ أنّ الجوائح الطبيعية كحالات الجفاف و السيول و القحط و الجراد و الأمراض الوبائية الكبرى، شكّلت عامل تأثير سلبي قوي ساهم بشكل رئيس في خلق حالة من الإرباك العام الذي يمسّ عامّة الناس مباشرة، و بالضبط الإضرار بطبقته الضعيفة المسئولة عن الأنشطة الأفقية للاقتصاد والتي كانت تتكفّل بالرّعي و بتربية الحيوانات و بالإنتاج الحيواني و بزراعة الأرض .

و إذا كانت أجهزة الحكم تجد صعوبة في مواجهة تلك الأخطار الطبيعية الكبرى، فإنّ طبقة العامة ستكون أكثر عرضة للتدمير و التفكّك عندما تتهاوى قدرتها على حماية مقدّرات عيشها، خاصة في ضلّ شحّ موارد الدّولة جرّاء استنزافها في الحروب و الفتن و المقاتل و الصراعات الداخلية و الخارجية التي طبعت تاريخ بلاد المغرب الأوسط.

لقد ساهمت المرجعيات الدينية و الفقهية كالمتصوفة و شيوخ الزوايا كما أفادت بذلك كتب المناقب و السير و الفتاوى في التقليل من آثار تلك الكوارث على الفئات الضعيفة، فكان كبار المتصوّفة يجمعون المعدمين في دورهم و في مساجدهم و في مدارسهم و زواياهم ويطعمونهم، حدث ذلك في بجاية و في تلمسان بوصفهما مدينتان عرف فيهما كبار الصوفية استقرارا و ظهرت التصوّف كمنحى تعبّدي تغلغل بصورة شكّلت سمة مميزّة للعباد و الزهاد و النسّاك، فلا تجد الفقيه إلا صوفيا في النصف الثاني من العصر الوسيط.

لم تكن جهود أرباب الفكر و القلم و الدّين وحدها في مواجهة أخطار تلك الكوارث على المجتمع، فقد ساهم الأمراء الحفصيون و الزيانيون في تذليل صعوبات تلك الكوارث و فتحوا المارستانات و دعّموها بالمطببين و الخدم للتقليل من آثارها المجتمعية على فروق بين الأمراء و الحكّام، كما ساهم الأطباء في توفير مستلزمات التطبيب و ظهرت التآليف في هذا المجال تتبارى في توفير العلاجات الطبيعية للأوبئة الجماعية خاصة البكتيرية و الفيروسية منها، خاصة المستجلبة منها من الأندلس مع بداية الهجرات الكبرى إلى بلاد المغرب على إثر حروب الاسترداد المسيحي.

إنّ آثار تلك الكوارث الطبيعية على بنيات المجتمع ستكون شيئا منطقيا نظرا لعظم الكوارث الطبيعية وفجائيتها، و شدّة واطئتها على الفرد و الجماعة و الدّولة، كما أنّ قوّتها و استحكامها ستزداد شدّة عند تحالف عوامل أخرى معها لتضعف من المسار الطبيعي للدولة و للأمّة ككل، و تجعلها عرضة للتخلّف و التأخّر و الانكماش.

و رغم ذلك لم تكن الكوارث ستشكّل خطرا عميقا يؤثّر بقوّة في حالة التردّي الحضاري و المادي و الفكري العميق لبلاد المغرب الأوسط ، ذلك أنّ توجّها فكريا عميقا سيطر على مرجعيات الدين و العلوم و الثقافة حيث انتشر التصوّف العامّي بين العامّة و انتقل من المدن إلى الأرياف عن طريق الزوايا، وشاع الجهل و الخرافة و الإيغال في الإيمان بالكرامات و شاع التواكل و التقاعس و الزهد في المادّيات و في عمارة الأرض، و سيطر التصوّف في صورته الخرافية على علوم الدين و تدحرجت العلوم العقلية إلى الحضيض، و لم تستطع مسايرة الزمان و فشلت في تسخير المادة لعمارة الأرض، و قد ظهر ذلك جليا عند هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب، و لاحظوا حالة التردّي المادّي العميق لبلاد المغرب مقارنة بالأندلس ووجدوا صعوبات في الاندماج في الحياة الاجتماعية و في الانخراط في الأنشطة الاقتصادية و الحرفية.

إنّ أطر الفكر و المعرفة و العلوم و الثقافة ستضلّ هي المسئولة عن قيادة قاطرة التقدّم و حل مشكلات التنمية في كلّ العصور و الأزمنة، فمخرجات أفكار النخب يجب أن تعرف لها مجالا تنفيذيا خصبا على أرض الواقع كي تكون للعلوم و المعارف و الأبحاث جدوى.

الملاحـــــــــق

الملحق < 01 >

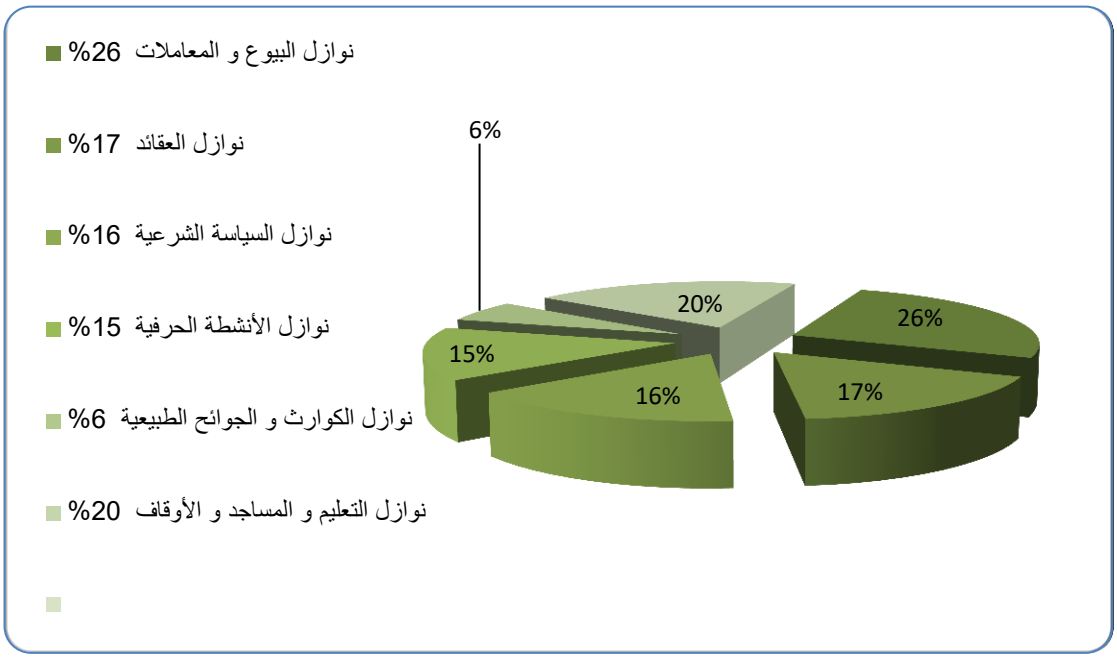

مقاربة إحصائية لمقارنة نوازل الجوائح بباقي النوازل من كتاب المعيار

الملحق < 02 >

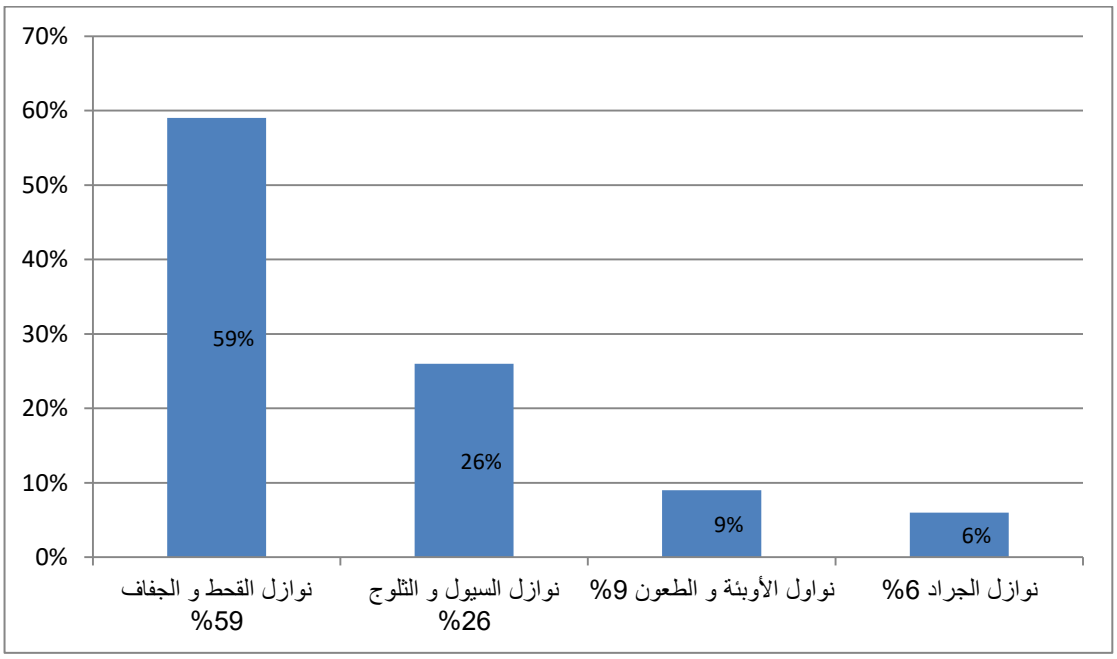

مقاربة إحصائية لأنماط النوازل في مصادر الفقه و كتب النوازل

الملحق < 03 >

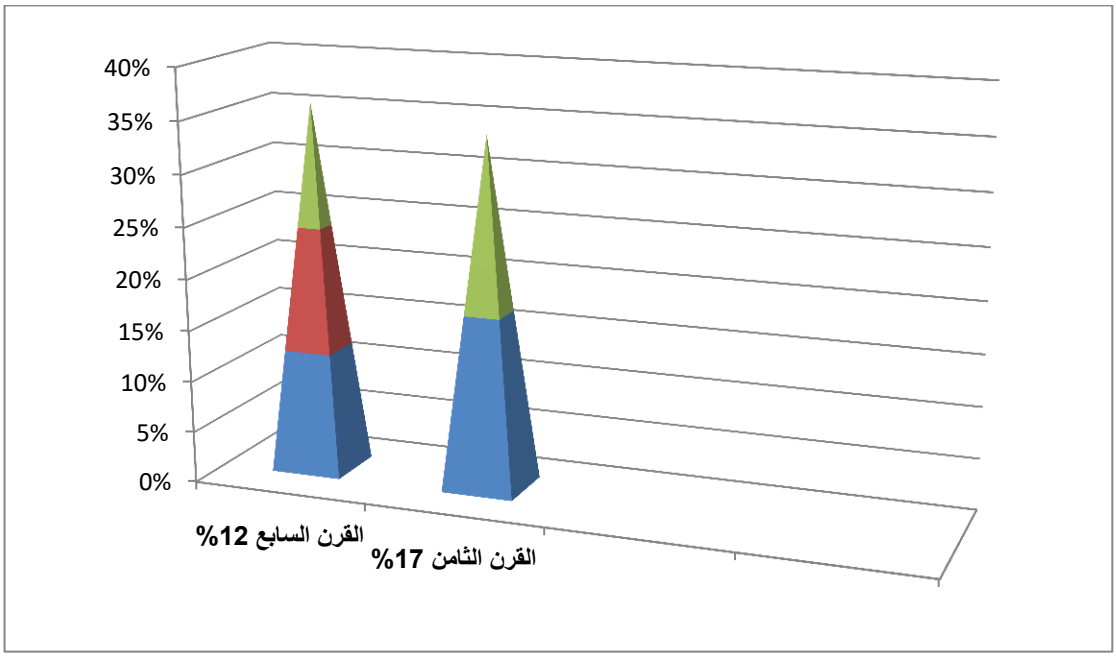

نسبة حدوث الكوارث الطبيعية و الأوبئة في القرنين 7-8 ه/13-14م

الملحق < 04 >

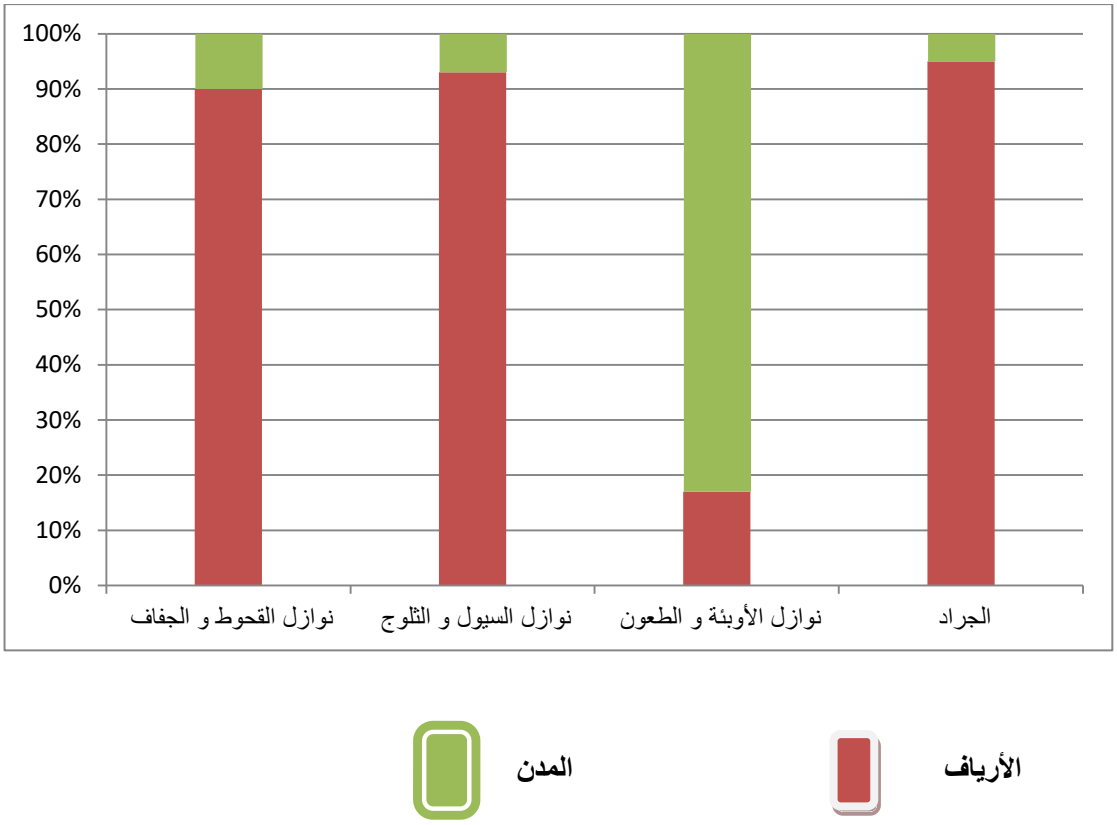

مقاربة إحصائية لانتشار الكوارث الطبيعية و الأوبئة ما بين الأرياف و المدن

الملحق < 5 >[1]

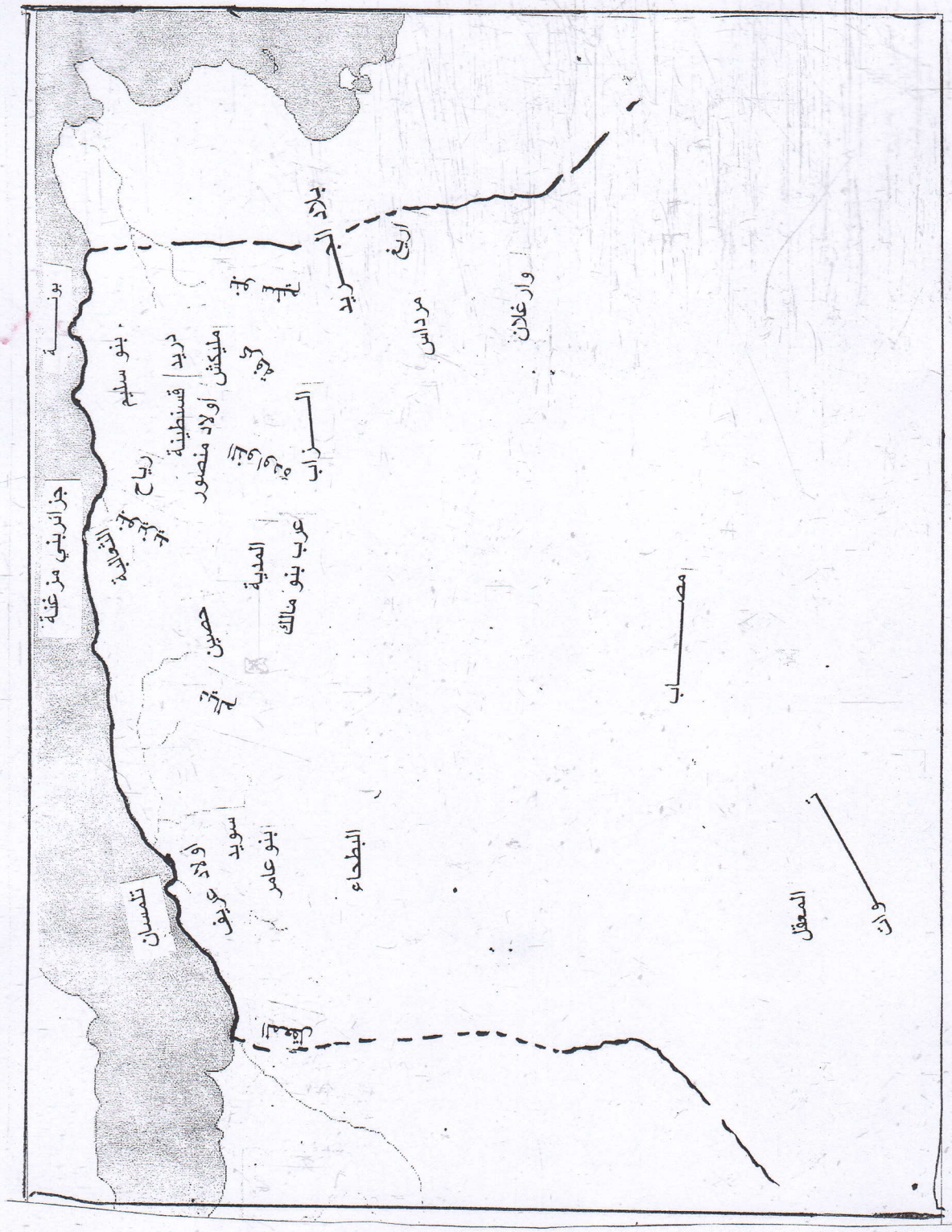

خريطة توزيع القبائل العربية في المغرب الأوسط القرنين 7 و 8 هـ

[1] يزير بشير، المرجع السابق،ص 336 .

الملحق < 6 >[1]

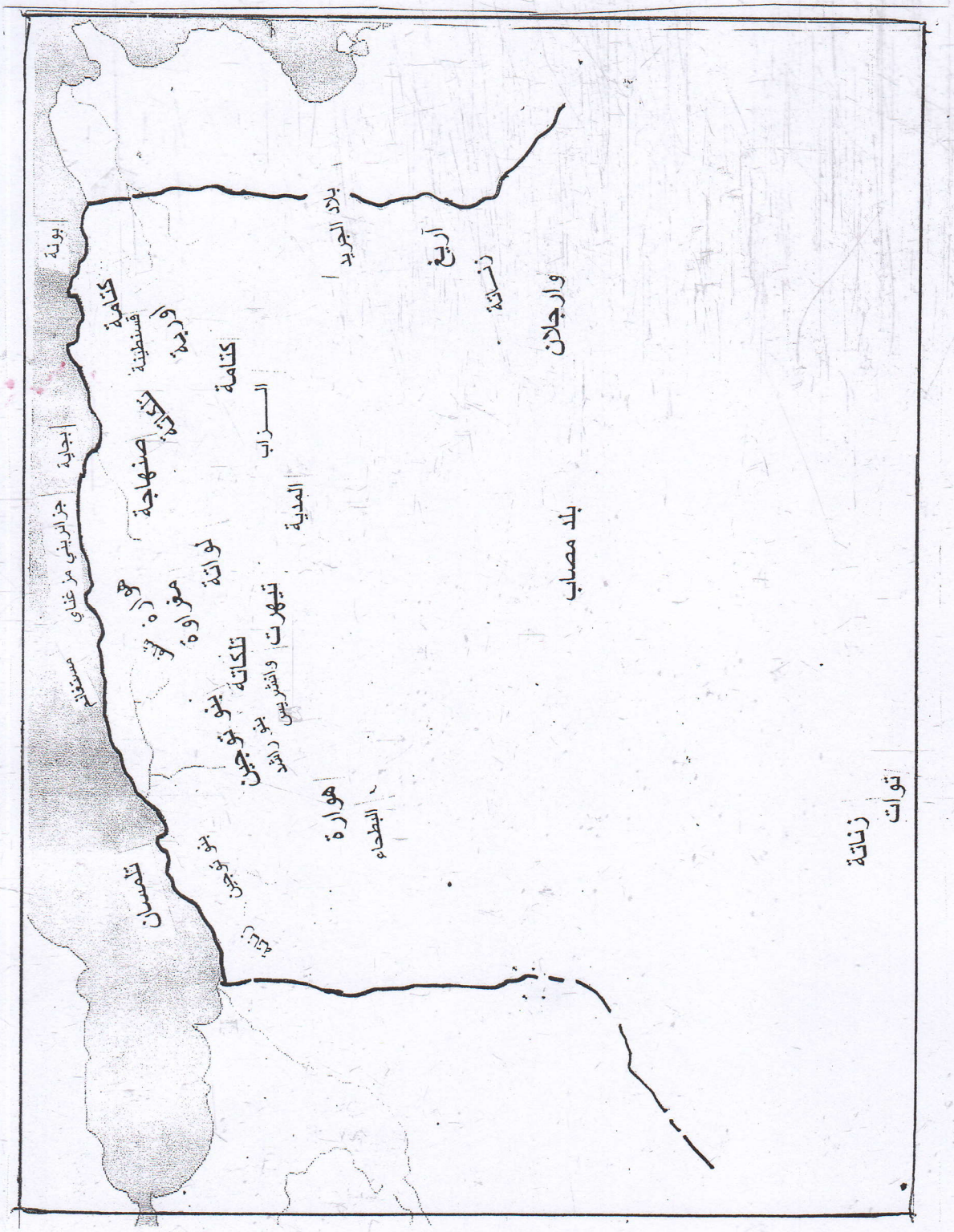

خريطة توزيع قبائل البربر في المغرب الأوسط القرنين 7 و 8 هـ

[1] يزير بشير، المرجع السابق،ص 337 .

الملحق < 7 >[1]

خريطة أقاليم الريف الكبرى للمغرب الأوسط القرنين 7 و 8 هـ

[1] يزير بشير، المرجع السابق،ص 338 .

قائمـــــــــــــة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

01 - القرآن الكريم

02 - الأحاديث النبوية الشريفة

03 – المصادر:

أ ـ المصادر المخطوطة:

01 - ابن خاتمة أبو جعفر أحمد الأندلسي ، **مخطوطات ومطبوعات تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد 747هـ**، شبكة الألوكة، *w ww. alukah.net* ، دت.

02 - مجهول ق 8هـ ، **رسالة في ما ضبطه أهل النقل في خبر الفصد بالطاعون لمؤلّف مجهول**، نسخة مصوّرة عن معهد الثقافة و الدراسات الشرقية ، طوكيو اليابان ، رقم 1169 ، مكتبة المصطفى الالكترونية www.al-mostafa.com .

ب – المصادر المطبوعة:

01 - ابن الأثير(555 – 630هـ)، **الكامل في التاريخ**، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية، د سنة.

02 - الأصبع عيسى بن سهيل بن عبد الله الأسري (ت 486)، **الإعلام بنوازل الأحكام المعروف الأحكام الكبرى**، تح: نورة مُحَمَّد عبد العزيز التويجري، دار بلد، 1995.

03 - الانطاكي داود عمر، **بغية المحتاج في المحراب من العلاج**، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1995.

04 - البرزلي أبي القاسم، **فتاوي البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من قضايا المفتيين والأحكام**، تح مُحَمَّد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

05 - ابن رشد القرطبي المالكي أبي الوليد مُحَمَّد بن أحمد بن أحمد (520هـ / 1126م)، **فتاوى ابن رشد**، تح: المختار بن الطاهر التليلي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987م.

06 - التنبكتي أحمد بابا (ت 963هـ / 1036م)، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**، تح: عبد الحميد عبد الله الهرّامة، دار الكتاب، طرابلس، 1999م.

07 – التنسي مُحَمَّد بن عبد الله، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان**، تح: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية، قسنطينة، الجزائر، 1985 م.

08 – التنسي مُحَمَّد بن عبد الله، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، تح: محمود أغا بوعياد، تلمسان، الجزائر، 2011 م .

09 – الثعالبي أبي يزيد، **تفسير الثعالبي، جواهر الحسان في تفسير القرآن**، تح: عبد الفتاح أبو سنة، دار حياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1997م.

10 – ابن الجوزية ابن قيم ، **الطب النبوي**، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان. .2006

11 – الجوهري سيرى، **جغرافية البحر المتوسط**، د ط، دار المعارف بالإسكندرية، مصر، 1984م.

12 – ابن حوقل النصيبي أبي القاسم، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1992 م.

13 – ابن خلدون 808هـ عبد الرحمان، **رحلة ابن خلدون**، دار العلمية بيروت، لبنان، 2004م.

14 – ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ / 1405م)، **العبر ودوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: خليل شحادة و سهيل زكار، دار الكتاب اللبناني لطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1959م.

15 – ابن خلدون عبد الرحمان ت 808 هـ، **مقدمة ابن خلدون**، تح: عبد الله مُحَمَّد درويش، مكتبة الهداية دمشق،سوريا،2004م.

16 – ابن خلدون عبد الرحمان، **العبر ودوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1431هـ / 2009م.

17 – ابن خلدون عبد الرحمان، **المقدمة ابن خلدون**، تح: خليل شحادة و سهيل زكار، ط01،دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م.

18 – ابن خلدون عبد الرحمان، **شفاء السائل وتهذيب المسائل**، تح: مُحَمَّد مطيع الحافظ ، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، 1996م .

19 - زاكور الفاسي ت 1120هـ – 1708م، **رحلة المسماة نشر أزهار البستان فمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكبار الأعيان**، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

20 - ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

21 - ابن سينا، **القانون في الطب** ، مكتبة جمهورية مصر،القاهرة، مصر، د ت.

22 - السيوطي جلال الدين عبد الرحمان (ت 911هـ)، **تاريخ الخلفاء**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2003م.

23 - الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، **من آثار فقهاء الأندلس فتاوى الإمام الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي صاحب الموافقات والِاعتصام المتوفي 790 هـ / 1388 م**، تح: مُحَمَّد أبوا الأجفان، دار الكواكب، تونس ، 1985 م.

24 - الشماع أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر المعموري بن مُحَمَّد، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.

25 – أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، قسم2، دار البيضاء للكتاب، الإسكندرية، 1955م.

26 - عبد الحكم ت285هـ، **فتوح مصر و المغرب**، تح: علي مُحَمَّد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، .2004

27 - العبدري البلنسي(ت نحو سنة 730هـ)مُحَمَّد، **الرحلة المغربية**، تح: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عاصمة الثقافة العربية، عنابة، الجزائر، 2007م.

28 - أبو عبيد البكري ت487هـ، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، د ت.

29 - أبو عبيد البكري، **المسالك والممالك**، تح: أدريان فان ليوفن و أندري فيري، دار الغرب الإسلامي، 1992م.

30 - الفشاوني مُحَمَّد بن عسكر الحسني، **دوحة الناشر**، تح: مُحَمَّد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط، المملكة المغربية، 1977.

31 - ابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تح: مُحَمَّد الأحمر أبو الثور ، دار الكتب، الجزائر، ج01، 1971م.

32 – القلقشندي أبي العباس مُحَمَّد، **صبح الأعشى**، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915 م.

33 – كربخال مارمول، **إفريقيا**، تر مُحَمَّد حجي، دار المعارف الجديدة، الرباط، ج02، 1989م.

34 – كولين ماكيقيدى، **أطلس التاريخ الإفريقي**، تح: مختار السويفي، مصر، 1987م.

35 – المازوني أبوا زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي ت 883هـ، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تح إسماعيل بركات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ج01، سنة 2009- 2010م.

36 – مجهول، **النخبة الأزهرية في تخطيط الكرة الأرضية – 47 خريطة و66 صورة وشكلا –**، مطبعة أندريا كوستا جليو، مصر، 1903م.

37 – مجهول، **تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي**، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 10 ، المملكة المغربية، جامعة مُحَمَّد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ، الرباط، 1988م.

38 – مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الامصار**، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار انشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985م.

39 – مجهول، **كتاب الجغرافيا**، تح: مُحَمَّد حاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د س.

40 – المراكشيّ ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج. س. كولان و إ. ليقبروقنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983 م.

41 – ابن مرزوق أبي القاسم بن مُحَمَّد بن عضوم المرادي (ت 1009هـ)، **كتاب الأجوبة**، تح: مُحَمَّد الحبيب الهيلة، دار الحكمة، تونس، 2009م.

42 – ابن مرزوق التلمساني أبي عبد الله مُحَمَّد ، **المناقب المرزوقية**، تح: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية، المغرب، 2008.

43 – المقري أحمد بن مُحَمَّد، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر ما لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، الملكية ، الرباط، 1983م.

44 – الوزان الزياني (ليون الإفريقي)الحسن بن مُحَمَّد ، **وصف إفريقيا**، تر: عبد الرحمن حميدة ، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1399م.

45 – الوزان حسن، **وصف إفريقيا**، تر مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983.

46 – الوسياني أبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان (ق6هـ / 12م)، **سير الوسياني**، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة ، وزارة التراث والثقافة مسقط، سلطنة عمان، 2009م.
47 – الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي (ت 914هـ)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تح: مُحَمَّد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، الرباط ، بيروت، 1981م.
48 – ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977 م.

49 – ابن يشتغري أحمد بن سعيد (ت 516هـ)، **اللورقي المالكي**، تح: قطب الريسوني ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2008.
50 – اليعقوبي ت 3284 هـ ، **البلدان** ، دار العلمية، بيروت لبنان، 2002 م .

04 – المراجع:

01 – بالفقيه مُحَمَّد، **الجغرافيا القول فيها والقول عنها**، النشر العربي الإفريقي، المغرب، د س.

02 – بوتشيش عبد القادر، **العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي في المغرب والأندلس خلال القرن 06هـ / 12م**، دار الطليعة، بيروت لبنان، 1422هـ / 2002م.
03 – بوشقيف مُحَمَّد، **تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (07هـ و 08هـ)/ (13 – 14م)، 2011م**.

04 – بولقطيب الحسين، **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط 2002.
05 – البياض عبد الهادي، **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والاندلس (ق6–8هـ/12–14)**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2008م.
06 – تلسي بشير رمضان، **الاتجاهات الثقافية في المغرب الإسلامي**، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2003.

07 – تلي رفيق، **المجاعات والأوبئة في الوطن العربي عبر العصور**، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية ، برلين، ألمانيا ، 2021م.

08 – التهامي إبراهيم، **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان، 2002 م.

09 – الجنابي عبد الزهرة علي، **ابن خلدون جغرافيًا**، كلية التربية، جامعة بابل، د س.

10 – الجيدي عمر، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديد بالرباط، الرباط، 1993م.

11 – حجي مُحَمَّد، **المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، ندوة الإمام مالك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار الهجرة، فاس، 1980م.

12 – حجي مُحَمَّد، **نظرات في النوازل الفقهية**، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، 1999م.

13– مختار حساني: **تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الاجتماعية)**، ج3، دار الحضارة، الجزائر، 2009م.

14– مختار حساني، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني**، مخبر المخطوطات، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2004.

15 – الحريري مُحَمَّد عيسى، **المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، دار القلم لنشر والتوزيع، الكويت، 1987.

16 – الحفناوي مُحَمَّد، **تعريف الخلف برجال السلف**، تح: خير الدين، دار كردادة، الجزائر، 2013م.

17 – بن حميدة عبد الرحمان، **أعلام الجغرافيين ومقتطفات من أثارهم**، دار الفكر، دمشق، 1995م.

18 – خصباك شاكر، **الجغرافيا عند العرب**، دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1986م.

19 – الخفاف مُحَمَّد علي و المومني مُحَمَّد أحمد عقيلة، **دراسات في التراث الجغرافي العربي الإسلامي**،دار الكندي النشر والتوزيع، الأردن، 2000 م .

20 – خوجة حمدان، **اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء**، تح: مُحَمَّد عبد الكريم، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1988م.

21 – دَانْيِيْل شْرُوْتَرْ، **تجار الصويرة المجتمع الحضريُّ والإمبرياليةُ في جنوبي غربِ المغربِ (1844 – 1886م)**، تعريب خالد بن الصغير، سلسلة النصوص والأعمال المترجمة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة مُحَمَّد الخامس، دار النجاح الجديدة بالبيضاء، المملكة المغربية، 1997.

22 – دبوز مُحَمَّد علي، **تاريخ المغرب الكبير**، دار علم المعرفة، الجزائر، 2013 م.

23 – دّلو برهان الدين، **مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي** ، دار الفرابي، الجزائر، 2001.

24 – دويب عبد الرحمان، **الأعمال الكاملة للشيخ المهدي أبوا عبدلي**، تر الشيخ المهدي أبوا عبدلي ويلة، قسم التراجم، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013 م.

25 – رزوق مُحَمَّد ، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين(16 – 17)م**، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1998م.

26 – زكي مُحَمَّد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، السفارة، القاهرة، مصر، 2013م.

27 – الزليطي الحلول، **المسائل المختصرة من كتاب البرزلي**، تح مُحَمَّد أحمد الخليفي، ط1 ، دار المدار الإسلامي، بنغازي ليبيا، 2001 م.

28 – الزيادي حسين عليوي ناصر، **تطور الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة**، مجلة أوروك، جامعة ذي القادر، م 07، ع 01، 2014 م.

29 – سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي من الفتح: إلى بداية عصر الاستقلال**، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2003م.

30 – سعدون عباس نصر الله، **دولة الأدارسة في المغرب** ، دار النهضة العربية بيروت، 1987 م.

31 – الشاهدي الحسن، **أدب الرحالة بالمغرب** ، دار الليمون، الرباط، 1990م.

32 – شاوش مُحَمَّد بن رمضان، **باقة السوسان في تعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.

33 – شرنولي عبد الرحمان، **البحث الجغرافي**، دار القاهرة، مصر، 1978 م.

34 – شلبي أحمد، **الفكر الإسلامي**، دار العلوم ، القاهرة ، سنة 1986م.

35 – الصمدي مصطفى، **فقه النوازل عند المالكية تاريخياً ومنهجاً**، دار مكتبة الرشيد، المملكة العربية السعودية الرباط، 2007م.

36 – عبد الله سيدي المهدي، **النوازل الصغرى المسماة المنح السامية في النوازل الفقهية**، دار مطبعة الفضالة المحمدية، ج03، 1993م.

37 – عبد الله مُحَمَّد جمال الدين، **الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب** ، القاهرة، مصر، 1991 م .

38 – أبو العلا محمود، **الفكر الجغرافي**، دار اللواء للطباعة، جامعة الأزهر مصر، 1979 م.

39 – فتحة مُحَمَّد، **النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ / 12 – 15م)**، سلسة الأطروحات والرسائل، جامعة الحسن الثاني عين الشق، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، مطبعة المعارف الجديدة، الدار البيضاء، الرباط، 1999م.

40 – فخري مرسي نجاة، **عباقرة من التاريخ**، أنيس مرسي، بيروت، لبنان، 1994م.

41 – الفندي جمال، **الجغرافيا عند المسلمين**، بيروت، لبنان، 1982 م.

42 – فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، رغاية، الجزائر، 2002م.

43 – القادري مُحَمَّد بن الهيب، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تح: مُحَمَّد حجي وأحمد التوفيق، مكتبة الطالب، شارع مُحَمَّد الخامس، الرباط، 1402هـ / 1982م.

44 – بن قربة صالح ، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، وزارة المجاهدين، دار المركز الوطني لدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2009م.

45 – بن قربة صالح، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، طبعة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

46 – الكردين علي إبراهيم، **أدب الرحلة في الأندلس والمغرب**، وزارة الثقافة، دمشق، 2013م.

47 – مجاني بوبة، **التيارات السياسية والدينية في الجزائر**، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

48 – مُحَمَّد حسن، **الجغرافيا التاريخية لإفريقيا**، دار الكتب الجديدة المتحدة، بنغازي ليبيا، 2003 م.

49 – مُحَمَّدين مُحَمَّد محمود، **التراث الجغرافي الإسلامي**، دار العلوم، المملكة السعودية، 1999 م.

50 – أبو مصطفى كمال الدين، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال النوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، دار الإسكندرية، مصر، 1996م.

51 – منزل الطاهر، **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب لابن صعد التلمساني (901هـ / 1496م)** ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 02، الجزائر، 2011 – 2012م.

52 – المنوني مُحَمَّد، **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالرباط، المملكة المغربية جامعة مُحَمَّد الخامس، الرباط، 1404هـ / 1983م.

53 – المواق مُحَمَّد والرصاع مُحَمَّد، **الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية (886هـ–1481م)** ، نص جديد حول الأندلس وإفريقية قبل سقوط غرناطة، تح: مُحَمَّد حسن، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، 2007م.

54 – مؤنس حسن، **ابن بطوطة ورحلاته** ، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2003 م.

55 – الميلي مُحَمَّد مبارك ، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 2007.

56 – نوابع واصف مُحَمَّد يوسف، **الرحلات المغربية والأندلس**، مكتبة ملك فهد الوطنية، الرياض، 1996م.

05 – الرسائل الجامعية:

01 – بركات إسماعيل، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني (883هـ / 1478م)**، عبد العزيز فيلالي، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وأثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009 – 2010.

02 – بلمداني نوال، **نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (10 – 11م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الأثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013 – 2014م.

03 – بوحلوفة مُحَّد أمين، **أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي**، بوركبة مُحَّد، تاريخ وحضارة إسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013 – 2014م.

04 – بوساق رحيمة، **دور المكتبات في نشر العلوم بالمغرب الأوسط تاهرت الرستمية (2 – 3 هـ / 8 – 9 م) وتلمسان الزيانية (8 – 9هـ / 14 – 15م)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة مُحَّد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2017 – 2018م.

05 – البياتي بان علي مُحَّد، **رسالة ماجستير النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (03 / 06 هـ)**، صباح إبراهيم الشيخلي، قسم التاريخ، كلية التربية للبنات، بغداد، 2004م.

06 – حوالة يوسف بن أحمد، **الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح: وحتى منتصف القرن الخامس هجري (90 / 450)**، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى، مركز البحوث الدراسات الإسلامية مكة المكرمة، 1421 هـ / 2000 م.

07 – بن خروف عمار، **العلاقات بين الجزائر والمغرب (922 – 1069هـ) / (1517 – 1659م)**، ليلى الصباغ، مذكرة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1403هـ / 1983م.

08 – شقدان بسام كامل عبد الرزاق، **تلمسان في العهد الزياني (633 – 962 / 1235 – 1555هـ)**، أبو رميلة هشام، رسالة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ – 2002م.

09 – ضيف شوقي، **الرحلات**، دار المعارف، القاهرة، 2000م. شريخي نبيل، **دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع هجري (14 – 15 هـ)**، رسالة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2009 – 2010 م.

10 – طوهارة فؤاد، **المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، تخصص علم المخطوط العربي، عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010 – 2011م.

11 – عميور سكينة، **ريف المغرب الأوسط في القرنين 05 و06هـ / 11 و 12م**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة02، الجزائر، 2012 -2013م.

12 – قموح فريد، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المازوني (ت 883هـ) دراسة وتحقق لمسائل الجهاد والأيمان والنذور** ، مذكرة ماجستير في تاريخ الوسيط تخصص علم المخطوط العربي، قسم التاريخ والآثار ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010 / 2011م.

13 – نورالدين غرداوي، **كتاب الجامع للقاضي أبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني " المتوفي سنة 833هـ / 1478م" (الجزء الرابع من ديوان الدرر المكنونة في نوازل مازونة) دراسة وتحقيق**، عبد العزيز مُحَمَّد لعرج، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، ج01، 2010 – 2011م.

14 – كربوع مسعود، **نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي جمعا ودراسة وتحليل**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012 – 2013..

15 – كرطالي أمين، **الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (09 – 10هـ / 15 – 16م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، مُحَمَّد بوركبة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران، الجزائر، 2013 / 2014م.

16 – مزدور سمية ، **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588 – 927 هـ / 1192 – 1520 م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وأثار كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، (1429 – 1430 هـ / 2008 – 2009 م).

17 – نميش سمية، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (07 – 10 هـ / 13 – 16 م)**، عبدلي لخضر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبوا بكر بالقايد تلمسان، الجزائر، 2013 – 2014 م.

18 – هواري موسى، **تربية الحيوانات في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (ق 01 – 07 هـ / 07 – 13م)**، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008 / 2009م.

19- يزير بشير، الحركة الاقتصادية في ريف وبادية المغرب الأوسط وآثارها الاجتماعية في العصر الوسيط، ق7-8هـ/ 13-16م، أحمد شريفي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، 2018-2019م.

06– المراجع باللغة الأجنبية:

01 – E.F.Gautier,**le passé de l'Afrique du nord** , petite bibliothèque payant, Paris, 1952 .

02 – Mercier. **E, Histoire de l'Afrique septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française**, Edition Ernest Leroux, Paris, 1888,t 2.

03 – Mrs. N. morsy.**Gentusesinhisiory**.Dr. M. A. Morsy. T01. Topmibayrot.A 1994.S 98.

04 -Edmonde Dotté ,**Magie et religion dans L'Afrique du nord**, typographie Adolphe Jordanne ,Alger , 1909 .

05 - R.Basset,**L'histoire des religion** , , Erneste raux Editeur, Paris , 1910.

07 – الدوريات والمجالات والمقالات:

01 – إبراهيم أحمد سعيد، **إسهامات المقدسي في الجغرافيا والدراسات الإقليمية**، مجلة دراسات التاريخية، العدد 117 – 118، كانون الثاني، حزيران، 2012م.

02 – بالعربي خالد، **المجاعات والأوبئة في تلمسان في العهد الزياني(69 – 845هـ/1299 – 1442م)**، قسم التاريخ، كلية الآدب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، دورية كان التاريخية إلكترونية محكمة ربع سنوية – العدد الرابع – يونيو 2009.

03 – يخلف حاج عبد القادر، **مصطلح المغرب الأوسط في المصادر الإسلامية الوسطية**، عصور الجديدة– المجلد 07 –العدد 26، ردمك 1636 – 2170 issn ، الايداع القانوني : 2014 – 1156 depotlegal ، شتاء – ربيع أفريل 1438 هـ / 2016 – 2017 م.

04 – مُحَّد الحبيب بشاري، **التوسعات الرومانية وانعكاساتها على الزراعة المغاربية**، مجلة الدراسات التاريخية مجلة دورية محكمة، العدد الرابع عشر 14، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر 02، بوزريعة، الجزائر، 1433هـ – 2012.

05 – نور الدين غرداوي، **قضايا المياه بالمغرب الأوسط في العهد الزياني من خلال نوازل المازوني**، جامعة الجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 09، العدد 01، السنة 2008م.

06 – نور الدين غرداوي، كتب الفتاوى مصدراً لكتابة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمغرب الأوسط نوازل المازوني نموذجاً، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 09، العدد 01، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2008م.

08 – البوابات والمواقع الالكترونية:

01 – عبد الله الجمعان، **كيفية تكون البرد موقع مركز العاصمة**، طريقة فيزيائية، تحجم خسائر بشرية ومادية، يوم 07 / 03 / 2010م..https://www.storm.ae/vb/showth

02 – منظمة الصحة العالمية (07 تموز / يوليو 2022م)، **منظمة الصحة العالمية** – جمع الحقوق محفوظة،*www.who.int*:***https<detail<plague***،سنة2022م.

http://adresse complète (consulté le jour/mois/année)

فهرس الـــــــــــــــــــموضوعات

المقدمة

الفصل الأوّل: بلاد المغرب الأوسط «الموقع ، المجتمع، الدولة»:.....18

المبحث الأول: المعنى اللغوي لبلاد المغرب الإسلامي:.....19

1- لغةً:.....19

2- اصطلاحاً:.....20

المبحث الثاني : الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي:.....24

1-الإطار الجغرافي:.....24

المبحث الثالث :الإطار التاريخي لبلاد المغرب الإسلامي:.....29

1-الإطار التاريخي:.....29

المبحث الرابع: الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط خلال القرنين(7-8هـ/ 13-14):.....33

1-الإطار الجغرافي :.....**33**

المبحث الخامس: الإطار التاريخي للمغرب الأوسط خلال القرنين(7-8هـ/ 13-14).....39

1-الإطار التاريخي:.....**39**

المبحث السادس : العنصر البشري لبلاد المغرب الأوسط:.....44

1- التركيبة البشرية للمغرب الأوسط.....44

الفصل الثاني:الأوضاع الحضارية للمغرب الأوسط خلال القرنين(7-8هـ/ 13-14):.....49

المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية والدينية:.....49

1- الأوضاع الاجتماعية:.....49

2- الأوضاع الدينية:.....55

المبحث الثاني: الأوضاع الفكرية والثقافية:.....56

1- الأوضاع الفكرية والثقافية:.....56

المبحث الثالث: الأوضاع السياسية والعسكرية:.....57

1- الأوضاع السياسية والعسكرية:.....57

المبحث الرابع: الأوضاع الاقتصادية:.....69

1- الأوضاع الزراعية :.....69

2- أوضاع الصناعة و الحرف:.....71

3- الأوضاع التجارية :.....72

الفصل الثالث: المدونات الفقهية والنوازلية " دراسة في المضمون والمصطلح":.....76

المبحث الأول : المصطلحات و المفاهيم" المنحى الفقهي و الدلالات التاريخية".....76

1- تعريف الفقه والنوازل والفتاوى والأجوبة ومسائل الأحكام أو المسائل.....76

أ- التعريف بالفقه :.....76

ب- التعريف بالنوازل :.....77

ب- 1النوازل لغةً:.....78

ب- 2 الاصطلاح:.....79

ج- التعريف بالفتاوى:.....80

ج- 1الفتاوى لغة:.....81

ج- 2 الفتاوى اصطلاحا :.....83

د- الجوابات والأجـوبـــة :.....84

هـ- مسائـــل الأحكـــام والأسئلة:.....86

2- خصائص ومميزات كتب النوازل الفقهية لدى علماء وفقهاء المغرب الأوسط:.....88

أ-خصائص كتب النوازل الفقهية في بلاد المغرب الأوسط:.....88

أ – 1 الواقعية:.....88

أ – 2 التعامل مع النوازل وإسقاطها على أرض الواقع:.....88

أ – 3 المحلية (المكان والزمان):.....88

ب- مميزات مؤلفات النوازل عند فقهاء بلاد المغرب الأوسط:.....89

ب- 1 تبدأ النازلة بطرح السؤال المراد الإجابة عنه:.....89

ب- 2 الإجابة على النازلة بدون اختصار:.....89

ب- 3 استعمال اللهجات المحلية:.....89

ب- 4 الاختصار عند الفقهاء في الجواب:.....89

ب- 5 مكاتبة المذهب من طرف الفقهاء في بلدان أخرى:.....90

3-كتب النوازل وأهميتها في الكتابة التاريخية:.....90

أ - كتب النوازل وقيمتها الاجتماعية:.....90

ب - كتب النوازل و قيمتها الاقتصادية:.....93

ج - كتب النوازل وقيمتها الفكرية والثقافية:.....97

د - كتب النوازل و قيمتها السياسية:.....100

هـ - كتب النوازل وقيمتها العسكرية:.....101

4-نماذج من كتب النوازل الفقهية:.....103

أ - جامع مسائل الأحكام مما نزل بالمفتيين والحكام لأبي القاسم بن أحمد ابن مُحَمَّد البلوي القيرواني البرزلي (738هـ - 1337م / 15 ذي القعدة 841هـ - 20 ماي 1438م):.....103

أ-1- وفاته من خلال المصادر الفقهية والتاريخية:.....104

أ – 2- و من الكتب التي درس عليها الشيخ البرزلي يمكن تصنيف بعضها على حسب نمط العلم الذي يتحدث عليه:.....106

أولا- القراءات والدراسات القرآنية:.....106

ثانياً –كتب الحديث:.....106

ثالثًا – أصول الفقه:.....107

رابعًا – فروع الفقه:.....107

خامسًا – التصوف:.....107

سادسًا – أمداح الرسول ﷺ:.....107

سابعًا – النحو: 107

ثامنًا – فنون مختلفة: 107

تاسعًا – الإجازات:.....107

عاشرًا – رحلاته:.....107

الحادي عشر – تلاميذه:.....108

ب – الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت883هـ/ 1478م) : ج – المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة:.....110

ب – 1 – نسبه ومكانته:.....110

ب – 2 – مولده ونشأته:.....110

ب – 3 – تعلم ودرس عند مجموعة من الفقهاء:.....111

ب – 4 – حياته العلمية:.....112

ب – 5 – التدريس والإقراء:.....112

ج – المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (834 – 914هـ / 1430 – 1508م):.....115

ج – 1 – نسبه ومولده:.....115

ج – 2 – حياته العلمية: 116

ج – 3 – تأليفه:.....118

د – المناقب المرزوقية لأبي عبد الله مُحَمَّد بن مرزوق التلمساني (781هـ / 1379):.....125

المبحث الثاني: الكوارث الطبيعية:.....127

1 – تعريف بالكارثة:.....127

الفصل الرابع(الجوائح الطبيعية، طبيعتها، أسبابها، أنواعها).....131

المبحث الأول: التعريف بالجوائح الطبيعية:.....132

1 – تعريف بالجائحة.....132

المبحث الثاني: أنواع الجوائح الطبيعية المناخية :.....133

1- جوائح الغلاف الجوي.....134

أ- جائحة الهواء.....134

ب- جائحة الجوّ.....135

ج- جائحة الحرارة.....135

.د- جائحة الرطوبة والتكاثف.....136

د – 1- الرطوبة:.....136

د – 2- التكاثف:.....136

2- جائحة القحط (الجفاف).....136

3- جائحة التصحر.....140

4- الرياح.....141

أ – الرياح التجارية:.....141

ب - الرياح الموسمية:.....141
د - الرياح البر والبحر:.....141
ج - الرياح المتغيرة:.....141
5- جائحة الصقيع.....143
6- جائحة الفيضانات والسيول.....144
7- جائحة البرد.....147
8- جائحة الثلوج.....149
المبحث الثالث : جائحة الحيوانات.....151
1- جائحة الجراد.....151
2- جائحة الحيوانات المفترسة والهوام.....154
المبحث الرابع: الحرائق، الزلازلْ والكسوف والخسوف.....157
1- جائحة الحرائق.....157
2- جائحة الزلزال والكسوف والخسوف.....157
المبحث الخامس: جائحة الأوبئة:.....158
1ـ الوباء.....158
2 - جائحة الطاعون:.....159
أ- الجذري والجذام والحصبة والحمى:.....165
ب – تبيين الجوائح الطبيعية في جدول:.....167
ج – الجوائح في بلاد المغرب الإسلامي:.....173
الفصل الخامس: أثر الجوائح الطبيعية على الاقتصاد و الدولة و المجتمع.....176
المبحث الأول: تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة الاقتصادية: 176
1- تأثير الجوائح الطبيعية على النشاط الزراعي والرعوي:.....176

2- تأثير الجوائح الطبيعية على النشاط الحرفي والصناعي:.....**183**

3- تأثير الجوائح الطبيعية على النشاط التجاري:.....184

المبحث الثاني: تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة الاجتماعية.....**186**

1- المجتمع.....186

2- المجاعات الناتجة عن الجوائح الطبيعية:.....190

3 – الوباء والأمراض الناجمة عن المجاعة:.....191

المبحث الثالث: تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة السياسية والعسكرية.....**192**

1- أثر الجوائح الطبيعية على السلطة الحاكمة:.....192

2- تأثير الجوائح الطبيعية على الجانب النظامي:.....195

المبحث الرابع: تأثير الجوائح الطبيعية على الحياة الثقافية:.....**195**

1- موقف الفقهاء من الجوائح الطبيعية ومعالجتها:.....196

المبحث الخامس :النصوص المتعلقة بالجوائح الطبيعية.....**199**

1-الوقاية من الوباء وطريق التحفظ منه.....199

أ- الوباء وطريق التحفظ منه:.....199

2- الطاعون بالمغرب الإسلامي:.....200

أ- الطاعون:.....200

الخاتمة **204**

الملاحق:.....**209**

قائمة المصادر و المراجع.....**217**

فهرس الموضوعات **231**